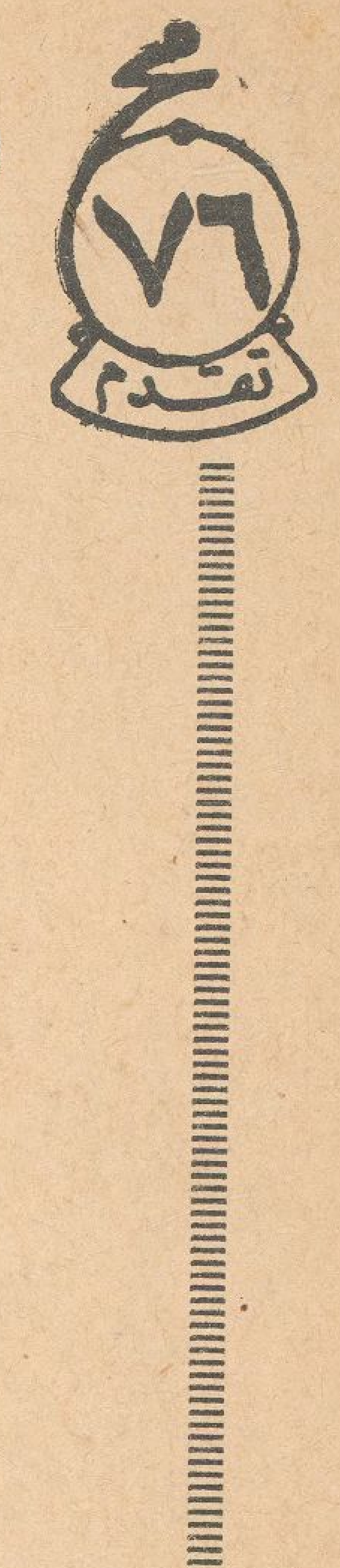


القومية

فى عالم ما بعد الحرب

بقلم

د ٠ و ٠ كروولى

NATIONALISM IN THE POST-WAR WORLD

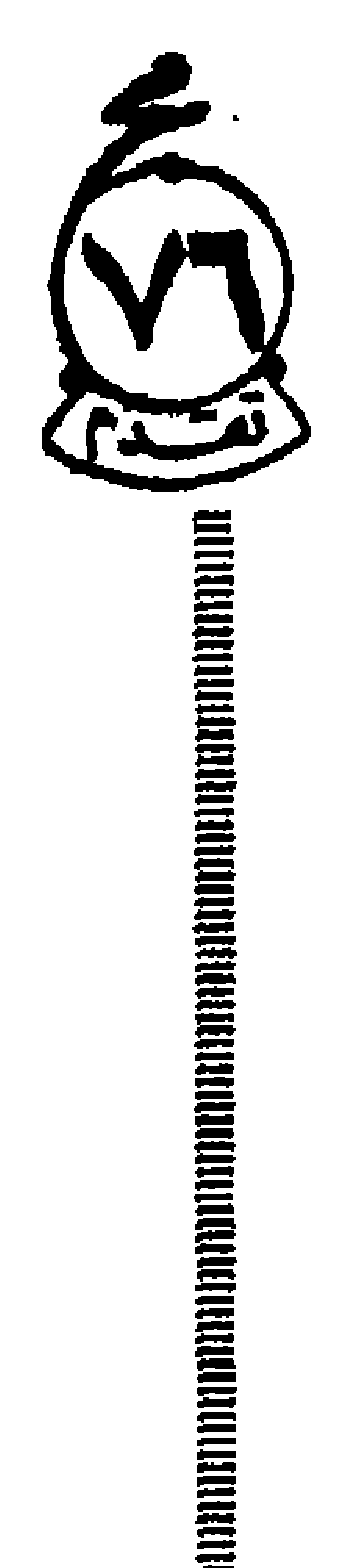
عن كتاب

CURRENT AFFAIRS

BY

D. W. CROWLEY

1961 ـ ١٩٦١

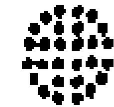


القوميــــة

فى عــالم ما بعــد الحــرب

بقــلم

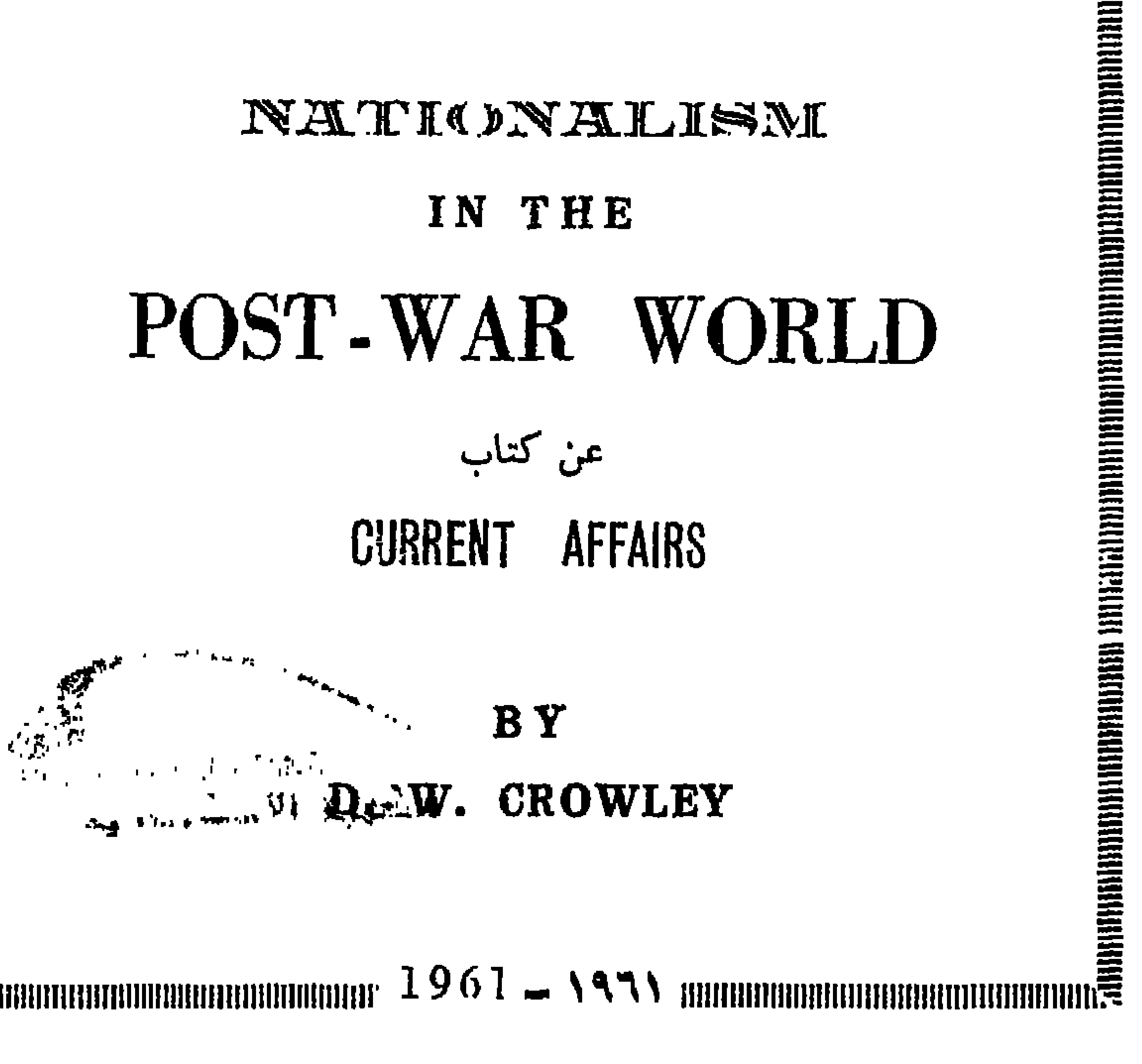
د . و . كروولى



NATIONALISM
IN THE
POST-WAR WORLD

عن كتاب

CURRENT AFFAIRS



BY

D. W. CROWLEY

1961 ـ ١٩٦١

الكتاب والكاتب

كتاب أصدرته فى سنة ١٩٥٩ شركة ماكميلان بلندن ونيويورك بشغل ستة عشر فصلا فى قسمين :

أولهما : الدولة فى عالم ما بعد الحرب ٠

ثانيهما : القومية فى عالم ما بعد الحرب ٠

مع بعض الخرائط التوضيحية لدراسات الكتاب فى قسميه ٠

وقد استهدف المؤلف من كتابه أصلا تقديم قاعدة للقارىء يستطيع معها أن يتفهم الحوادث التى تشغل الصحف اليومية فى تقديمها لمجريات الامور فى العالم ، ولكنها لم تقدم هذه القاعدة فى مجرد سرد زمنى لسير الحوادث ، بل عمد الى عرض دراسات مختزلة تدل على أصالة ودقة فى البحث وتكشف عن القوى الدينمائية وراء الحوادث والاحداث ، والتى تجمل العوامل الاساسية الدافعة لسير الامور المعاصرة منذ سنة ١٩٤٥ الى اليوم ٠

ومع أن الهدف كان مجرد الايضاح لا فرض اراء معينة الا أن المؤلف بأسلوبه القوى كان يسير بالقارىء مخترقا سجف المشكلات العالمية حتى يصل به الى تصوير وتسطير استنتاجات لا يتردد فى الايحاء والاقتناع بها ٠

وقد صدر هذا الكتاب أصلا سنة ١٩٥٨ ثم أعيد اصداره سنة ١٩٥٩ بعد أن مر به قلم مؤلفه من جديد ٠

والدكتــور ديزموند كروولى خريج جامعة نيوزيلنــد مع أجــازة الدكتوراه من جامعة لندن عمل محاضرا مساعدا للتاريخ فى جامعة أوتاجو ثم فى جامعة ليدز معنيا بالشؤون المعاصرة وبخاصة لضباط الوحدات وللضباط المتقدمين لكلية أركان الحرب البريطانية ٠

ومن ثم كان لدراساته الاهمية التى تجعل من النفع ترجمتها الى العربية وهذه الترجمة العربية هى القسم الثــانى من الكتاب ٠ أى القسم الذى يعنى بدراسة « القومية فى عالم ما بعد الحرب » ويشتمل على الفصول من ١١ ــ ١٦



محتويات الكتـــاب

الفصل الرابع – ١٤ :

الشرق الأوسط
العرب والغرب

العالم العربى ـ اسرائيل ـ قاعدة قناة السويس ـ حلف بغداد ـ ناصر ـ سد أسوان ـ حادث السويس ـ الولايات المتحدة والعرب

الفصل الخامس – ١٥ :

الشرق الأوسط
البلدان المتاخمة

قبرص ـ السودان ـ المحميات العربية ـ تركيا ـ اليونان ـ فارس (ايران) شمال أفريقية (الفرنسى)

الفصل السادس – ١٦ :

مشكلة الأسلحة النووية

القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية ـ المقابلة بالمثل والقوة الرادعة ـ مناقشات نزع السلاح ـ هل يمكن اغفال الأسلحة النووية ـ بريطانيا والمستقبل

* * *

الفصل الأول «١١»

العملاق الجديد فى الشرق الأقصى

(الصين الشيوعية والبلدان التى تجاورها)

اذا تأملنا الجهود التى تبذلها الدول الغربيـة فى تخطيط أشكال مناسبة تصلح لتنظيم العالم لوجدناها صادرة عن الاعتقاد بأن الشعور بالقومية أمر قد انقضى عهده وحل مكانه الاهتمام بالتقدم الصناعى . وهذه مفارقة عجيبة ، فنحن الآن حيال مشاكل قامت بسبب حقيقة ملموسة هى تخلف الناس فى انحاء كثيرة من العالم عن بلوغ مرتبة القومية التى لم يبدأ ظهورها بينهم الا منذ عهد قريب . وسوف نبدأ بدراسة الصين بين هذه القوميات الناشئة فهى تنفرد باتجاهات عديدة لم تسبقها اليها دولة أخرى وذلك مما يجعلها خير الامثـلة فى هـذا المقام . فان أغلب الامم الحديثة مهيضة الجناح وليس لها هم الا البحث عن أفضل الوسائل للمحافظة على استقلالها ومحاولة دعمه بين قوى السياسة العالمية ، أما الصين فانها احدى قوى العالم الكبرى . ولكنها ظلت رغم اتساع رقعتها غاية فى الضعف الى عهد قريب ، بل الواقع أن كلمة الصين كانت اصطلاحا جغرافيا أكثر مما هى دلالة على دولة أو أمة . وقد تشكلت فى مرحلة بلوغها مصاف الدول العظمى ــ وذلك لسوء حظ الغرب ــ بالطابع الذى اتخذته الحركات القومية الحديثة عامة من تأكيد لاستقلالها والعمل على وقايته من سلطـان الغرب أو تدخله . ولذلك فان الامم الحديثة ترقب الصين باعتبارها واحدة منها الى حد بعيد ، وهى تتطلع اليها فى اعجاب قـد يخـالطه الضيق اذا تشابكت الحدود بينها . وليس ثمت ريب فى أن ظهور الصين بين الدول العظمى هو مظهر خطير للتوسع الثورى .

كانت الصين رجل الشرق الاقصى المريض فى أواخر القرن التاسع عشر . فقد تطرق الفساد الى أسرة مانشو آخر السلالات التى حكمت ذلك البلد طويلا وفقد الاباطرة سلطـانهم على الولايات القصيـة ،

فشرعت تحوم حولها دول حديثه العهد بالتصنيع أخذت ترقبها فى شراهة متعجلة سقوطها حتى تنال مغنمها منها • ولكن كان من مصلحة كل من بريطانيا والولايات المتحدة أن يحولا دون سقوط الامبراطورية وتقسيمها ، وهكذا بقيت للصين وحدتها ولو فى الظاهر على الاقل • فلقد ظفرت بريطانيا قبل ذلك فى خلال التسابق الاستعمارى فى أفريقيا وجنوب شرقى آسيه على ممتلكات لم تستطع هضمها وقتذاك بسهولة فلم يعد بها حاجة الى تملك بقاع أخرى ، ولكنها لم تشأ من ناحية أخرى أن تراها قد وقعت فى أيدى أمم أخرى قد تحول بينها وبين أسواقها الغنية ومصادر المواد الخام فيها • أما الولايات المتحدة فكانت شديدة الاهتمام بالسوق الصينية ، ولكن كان من تقاليدها الراسخة ما يحول بينها وبين الاستعمار • وكان يستحيل عليها أن تلحقها بهـا ، ولكن كان رجـال الاعمـال الامريكيون يعتقـدون أن باستطاعتهم لقرب وطنهم من آسيـا أن يتغلبوا على منـافسيهم وان يسيطروا على تجارة الصين لو توفرت أمامهم حرية المنافسة • وقد كانت المصالح الاقتصـادية مسيطرة آنذاك على الحكومـة بأكثر من المعهود ، ولذلك أتبعت — بمؤازرة قوية من بريطـانيا — سيـاسة « الباب المفتوح » فى الشرق الاقصى ، بنجاح •

واذا كانت بريطانيا والولايات المتحدة قد تمكنتا من الابقاء على كيان الصين الا أنهما لم تذهبا أبعد من ذلك المدى • فلم تحولا بين سواهما من الدول الغربية الكبرى وبين الحصول مثلهما على امتيازات تجارية وقضائية لرعاياها ، ولم تلبث أن نالت هذه الدول من الحكومة الصينية التى كان الوهن قد أدركها ، على بعض السلطان فى الموانى• واذا كان منح هذه الامتيازات قد أدى الى قيام قلائل — كثورة البوكسير مثلا — فان هذه الدول كانت تقوم بكبتها كما لو كانت الصين احدى مستعمراتها • ولذلك كان أول أهداف الوطنيين فى الصين أن يلغوا معاهداتها مع الدول الاجنبية حتى تقف على قدم المساواة مع الغرب • وفضلا عن ذلك ، فقد كان ثمت دولتان لم تستطع بريطانيا والولايات المتحدة أن تكفا جماحهما تماما هما الروسيا واليابان • فلقد اتجهت الروسيا فى ذلك العهد نحو التوسع فى الاستعمار الامبريالى شأنها فى ذلك شأن باقى الدول الاوروبية لا يفرقها عنها الا أنها اختارت مجالها الاستعمارى فى القـارة الآسـيويه • ولذلك لم تسـتطع بريطانيـا والولايات المتحدة أن تحولا بينها وبين الحصول على مغانم جديدة فى

منشوريا ومنغوليا وسنكيانج فى أواخر القرن الماضى • وكانت اليابان دولة صناعية هي الاخرى تبحث لنفسها عن أسواق وتتطلع الى الحصول على المواد الخام ، وقد حالت مجاورتها للصين دون امكان التدخل بينهما • هذا ، وقد كانت بريطانيا تشعر بأن مواردها قد اعتراها الاجهاد فلم يعد لديها الا القليل لتضحى به فى الشرق الاقصى ، ولم تلبث أن تبينت أنها ستحل مشكلتين اذا هى تعاونت مع اليابان فأتاحت لها أن تتدخل بقواتها الحربية فى هذه المنطقة بقيود فرضتها عليها نظير تأييدها السياسى لها ، وذلك أمر عظيم القيمة • ولكن لم تلبث اليابان أن أخذت تغالى بين وقت وآخر فى تقدير ثمن خدماتها بما كانت تطلبه من الموافقة على ضم بعض البقاع اليها مما أدى الى فتور العلاقات بين بريطانيا وأمريكا فيما يتصل بهذه المنطقة • وهكذا استولت اليابان على فرموزا عام ١٨٩٤ وبورت أرثر عام ١٩٠٥ ثم استخلصت كوريا لنفسها تدريجيا خلال الفترة بين عامى ١٩٠٥ — ١٩١٠ . ولكن كان أهم ما شهده الشرق الاقصى من أحداث التاريخ اندلاع نار الحرب بين الروسيا واليابان فى سبيل الحصول على منشوريا •

وقد تفاقم شعور الوطنيين الصينيين بالخزى مما تعانيه بلادهم ودفعهم ذلك الى العمل حتى تأخذ الصين مكانها اللائق بين الامم الكبرى ، وأن يكن ذلك قد استغرق منهم زمنا طويلا • فكان أول ما صنعوه أن تخلصوا من أسرة مانشو الحاكمة فى عام ١٩١٠ فلقد أطاحت بها قوات الكومنتانج Kuomintang التى قادها مؤسسها دكتور سن يات سن • ثم لم يلبث أن أعلن قيام النظام الجمهورى فى الصين . ولم يكن العداء لطبقة الملاك الاثرياء أقل حدة من العداء للاسرة الحاكمة نقد انهال سن يات سن باللوم على هذه الطبقة مرجعا أهم الاسباب فى ضعف الصين الى جشعهم الاقطاعى • ولم يكن يحدد الكومنتانج فى هذه الحقبة الا الحماس المثالى الهادف الى الاصلاح مما دفع الحكومة الشيوعية القائمة الآن الى تكريم ذكرى دكتور سن واعلانها أنه أحد مؤسسى الصين الحديثة • ولكنه ظل أعواما على أى حال غير مستطيع أن يدعم سلطانه على كل أنحاء وطنه • فغشيت الفوضى كثيرا من المقاطعات ولم يحد منها الا رهبوت « سادة الحرب » المحليين الذين عينهم الكومنتانج عقب تسلمه مقاليد الحكم فى البلاد • وقد توفى سن يات صن عام ١٩٢٥ فخلفه شيان كاى — تشيك • وكانت العلاقات

طيبة للغاية في تلك الآونة بين الكومنتانج والحزب الشيوعي في الروسيا ، بل لقد قضى شيانج فترة دراسة تدريبية في موسكو . والواقع أن الكومنتانج كان يضم عنصرا شيوعيا بين قادته منهم ماوتسي تونج .

استطاع شيانج أن يعرض سلطانه على أغلب بقاع الصين ، ولكن لم يلبث أن انشق عليه الشيوعيون بعد ذلك عام ١٩٢٨ . ولم يمنحهم الاتحاد السوفييتي من عونه الا أقل من القليل ولكنهم استطاعوا رغم ذلك أن يحفظوا علم الثورة مرتفعا فيوجه الكومنتانج حتىعام١٩٣٧ وقد انتهزت اليابان فرصة انشغال الغرب بالازمة التى استحكمت في عام ١٩٣١ فأغارت على منشوريا . ثم فعلت بعد ذلك ما فعله من قبل كل غزاة هذه المنطقة الشمالية الغنية بخيراتها فاتجهت فى عام١٩٣٧ الى الاغارة على وسط الصين . فاضطر ذلك قوات الشيوعيين والكومنتانج الى الاتفاق حتى يتعاونا معا فيصدها . ثم أغارتاليابان في عام ١٩٤١ على بيرل هاربر وبذلك تشابك القتال الدائر في الصين بالحرب العالمية . ولم تلبث الصين أن أصبحت احدى قوات الحلفاء وتم الاتفاق على انتزاع كوريا ومنشوريا وفرموزا من يد اليابان حالما ينعقد النصر للحلفاء .

أن كفاح الصينيين الطويل المدى ضد الغزاة لم يشغل الشيوعيين والكومنتنج الا قليلا عن صراعهما الداخلي — بل الواقع أن الهدنة المعقودة بينهما قد انتهكت مرات عديدة في أماكن مختلفة . وقد ظلت الولايات المتحدة تمدهما فى هذه الاثناء بكميات طائلة من العتاد الحربى . ثم أخذ كلا الحزبين يبدى — مع تقدم الحرب في الميادين المختلفة — فتورا فى مقاتلة اليابانيين مضى يزداد مع الايام . فقد آثرا أن يتركا للحلفاء عبء دحر اليابانيين ومضى كل منهما يختزن كل ما يمكنه الحصول عليه من سلاح استعدادا لتجدد القتال بينهما ، بل لقد نشبت اشتباكات صريحة بينهما في بعض المناطق عام ١٩٤٤ . وقد ناشدت الولايات المتحدة كلا الجانبين طويلا أن يتناسيا خلافاتهما ويبذلا بعض جهدهما فى مناجزة العدو المشترك ، ثم كفت بعد ذلك عن امدادهما بالعتاد .

لم تكد تستسلم اليابان للحلفاء حتى شبت الحرب الداخليه في الصين فورا . وقد نال الشيوعيون ميزة هامة منذ البداية لم ينل

الكومنتانج مثلهما . ذلك أن الاتحاد السوفييتى قد أعلن الحرب على اليابان يوم تدمير ناجازاكى ، فلم تكد تستسلم اليابان حتى سارع الاتحاد السوفييتى الى احتلال منشوريا واضعا يده فيها على كميات ضخمة من عتاد اليابان الحربى متعهدا أن يسلمها الى الكومنتانج بوصفه الحكومة الشرعيةللصين. ولقد اندفع الشيوعيون والكومنتانج بقواتهما نحو منشوريا ولكن الاتحاد السوفييتى كان يعمد عادة الى تأخير أخطار الكومنتانج عن المواضع التى يجلو عنها ، وبذلكتسنى للشيوعيين الصينيين أن يسبقوا الى احتلال تلك المواضع وان يحصلوا على ما بها من مخازن عسكرية . وكان ذلك أكبر عون قدمه الاتحاد السوفييتى للشيوعيين الصينيين فأحدث تأثيرا فعالا فى مجريات الحرب الاهلية .

ولكي يرجع السبب في انتصار الشيوعيين أخيرا الى نجاحهم فى استهواء جمهور المزارعين . فقد أخذ حزب الكومنتانج يتضائل عاما بعد آخر الى أن دب العجز والفساد فى الحزب فلم يعد يرجى له صلاح وارتبط بصنوف الرجعيين . بينما ازداد ما يناله الشيوعيون من التأييد الشعبى . ولقد وضح خلال مجريات الحرب للمراقبين أن الشيوعيين مهتمون بالاصلاح الزراعي ونشر الوعى القومي بأكبر من اهتمامهم بالمذهب الشيوعى حسب تطبيقات الروس له ، حتى ليبدو للعين أنهم يتعمدون اظهار قلة الاهتمام بالمذهب . ولكن ليس الامر كذلك ، بل هو مجرد خداع . وحتى لو كانوا أظهروا حقا قلة الاهتمام بالمذهب الشيوعى فانه لم يكن لهذه الخدعة تأثير ذو بال فى مجريات القتال ، فأن الشيوعيه كما يراها ماو انما تعطى الفلاح مكان الصدارة فى المجتمع . وقد عامل الشيوعيون أصحاب الاملاك بفظاظة ولكنهم أعطوا غالبية الشعب ماهم بحاجة اليه ؛ أعنى أرضا يفلحونها ونظاما حكوميا لا يعتوره ظل من فساد . ثم طردوا الكومنتانج فى عام ١٩٤٩ فأجلوه عن أرض القارة الى جزيرة فرموزا وأعلنوا من بكين قيام « جمهورية الصين الشعبية » ولم يلبثوا الا قليلاحتى اعترفتبريطانيا ودول أخرى كثيرة بالامر الواقع de facts فيها (وهذا لا يعنى التأييد ، بل هو مجرد اعتراف بقيام حكومة نافذة السلطان .) وبدت الولايات المتحدة على وشك أن تحذوحذو بريطانيا رغم تبرمها الشديد بسقوط الكومنتانج الا أنه لم يلبث أن شبت الحرب الكورية وبذلك لم يعد مجال لهذه الخطوة السياسية .

لقد ألغت الصين كافة معاهداتها السابقه مع الدول الاجنبيه فلم يبق للغرب من ثمة الا هنج كنج ، فقد أرتضت الصين بقاءها تحت حكم بريطانيا حتى تظل منفذا لتجارتها مع الدول غير الشيوعية ، فاذا طالبت بها فلن يستطيع أحد مـدافعتها عنهـا • ولذلك فان أغلب الشركات الاجنبية التى ما تزال تعمل فى هنج كنج قد باعت ما تملكه بها من عقارات رفضت الانتفاع بها بالايجار • وتصبح هذه المستعمرة فى الوقت الحالى بمشكلة ايواء مئات الالاف من اللاجئين الذين وفدوا اليها •

لقد اصاب سقوط الصين في يد الشيوعيـة عواطف الامريكيين بهزة بالغة • ويرجع ذلك الى أسباب عديدة أهمها ما يخالجهم دائما من الاعتقاد بأن الصين هى المجال الطبيعى لنفوذ أمريكا الاقتصادى والثقافى ، هذا اذا لم يمكن اخضاعها مباشرة لنفوذها السياسى كما هو مشاهد فى سياسة « الباب المفتوح » التى اتبعتها فى أواخر القرن الماضى • وليست العلاقة بين الدولتين بقائمة على الاقتصاد فحسب ؛ فلقد ظلت الصين طويلا خير مجال لارساليات التبشير الامريكية ويقال أنه لا يوجد أمريكى ولا أمريكية الا وتبرع يوميا بما تجود به نفسه فى صندوق الاعانات المبذولة لـ « للصين المسكينة » ولذلك بدا ازدياد ميل الصينيين الى الشيوعية كالطفل الذى يعض يدا أطعمته ، والواقع أن المرء لا يكاد يصدق حقيقة رد الفعل الذى قابلت به أمريكا انتصار الشيوعيين فى الصين • وقد زاد من تأثرهم عداؤهم الشديد للنظام الشيوعى فانه من العسير على الامريكى أن يتصـور امكان اجتـذاب أغلبية الشعب فى أى دولة كانت الى الرضا بالحكم الشيوعى ، ولذلك مالوا الى الاعتقاد بأن الشيوعية لم تقم الا بسبب خيانة قد وقعت أو شىء من ذلك القبيل • ولقد أثرت هذه الضربة العاطفيه التى نتجت عن انتصار الشيوعيين فى سياسة أمريكا حيال الصين •

وثمت عامل آخر قد أثر فى عواطف الشعب الامريكى هو الاهمية الاستراتيجية التى تضفيها الولايات المتحدة على منطقة الشرق الاقصى • فالامريكيون يرون — رغم اتساع المحيط الهادى الشاسع — أن مامن حادث يقع فى جانبه الآخر الا وكان ذا أثر يمس سـلامتهم • وقد ساورت أوروبا فى الحرب العالمية الثانية مخاوف شديدة كانت محقة فيها نظرا لاتجاه أمريكا التقليدى المعروف فى سياستها الخارجيـة •

كما كان مدى رأى معظم الامريكيين فى ذلك الوقت أن تركزحكومتهم كل قواها أولا فى الحرب الدائرة فى المحيط الهادى • وقد كان من المحتمل أن تصنع أمريكا ذلك لولا أن كان على رأسها فى ذلك الحين لحسن الحظ ـ رجلان عرفا بنزعتهما الاوروبية هما روزفلت والجنرال مارشال • (يتفق الآخذون بسياسة العزلة فى أمريكا مع القائلين بمبدأ « آسيا أولا » • فان مؤدى سياسة العزلة أن ما يتبع فى أوروبا لا يعنى الولايات المتحدة فى شىء ، أما آسيا ـ وخاصة فى رأى دعاة العزلة ـ فانها وثيقة الارتباط بالولايات المتحدة •) ومنذ أن عقدت بريطانيا حلفها مع اليابان فى عام ١٩٠٢ حدث عكس ما كان منتظرا فقد أخذت تخفض قواتها العسكرية تدريجيا فى الشرق الاقصى ، ثم زادت من تخفيضها لها لدرجة كبيرة منذ انتهت الحرب العالمية الاخيرة • ويبدو جليا أن أهمية هذه المنطقة قد هبطت الآن الى الدرجة الثالثة فى رأى بريطانيا ، فلقد أجهدت أوروبا والشرق الاوسط مواردها فلم تعد مثل هذه المنطقة لتعنيها فى كثير • وقد أدى هذا التباين فى التقدير بين بريطانيا والولايات المتحدة الى اختلاف فى سياستهما قد بلغ حدا ملحوظا فى هذه المنطقة • ولعل موقف كليهما من حكومة الكومنتانج وفرموزا أوضح مظاهر ذلك الخلاف •

لقد رفضت الولايات المتحدة أن تعترف بالنظام الشيوعى القائم فى بكين واستمرت تشير الى الكومنتانج باعتباره الحكومة الشيوعية لنصين (وان كانت قد أبدت فى الفترة الاخيرة ما ينم عن نظرة أكثر واقعية) كما أعلنت أنها على استعداد لترد عدوان بكين عن فرموزا حتى لو أدى ذلك الى نشوب حرب عالمية • ويرجع انتهاج أمريكا لهذه السياسة الى ثلاثة أسباب : أولها كراهية الرأى العام الامريكى للشيوعية وهى كراهية عميقة تقوم على أساس عقائدى من اختلاف المبادىء • (بينما يلاحظ أن الاغلبية فى غرب أوروبا وأن تكن فى معارضتها للشيوعية الا أنها لا تقوم عندهم على مثل ذلك الاساس العاطفى الذى قامت عليه فى أمريكا) • وثانى هذه الاسباب اعتقاد أمريكا الثابت أن شيانج كاى ـ شيك هو حليفها ضد الشيوعية رغم كل أخطائه ، ولذلك لا يمكنها التخلى عنه ، ولو أنها فعلت ذلك فان كافة المعارضين للشيوعية فى الشرق الاقصى خليفون بأن يفقدوا

ثقتهم فى أمريكا • أما السبب الثالث فهو نظرة أمريكا الى جـزيرة فرموزا باعتبارها حلقة هامة فى سلسلة دفاعها فى الشرق الاقصى التى تمتد من جزر الفلبين الى جزائر اليوشان فتحقق بذلك « عزل الصين » • وهذا خط دفاع أمريكا الاول •

وتبعية جزيرة فرموزا موضع خلاف معقد • فقد استقر الرأى أثناء الحرب فى مؤتمر القاهرة عام ١٩٤٣ ومؤتمر بوتسدام عام ١٩٤٥ على انتزاع هذه الجزيرة من اليابانيين وردها الى الصين بعد انتهاء الحرب • وقد سلمت اليابان فى معاهدة صلح الباسفيك بالتنازل عن سلطانها الا أنه لم تخطر أى دولة رسميا بهذه المعاهدة • ورغم ذلك فان حكومة نكين تتمسك بطبيعة الحال بالقرارات التى صدرت خلال الحرب وتصر على أن فرموزا كانت دائما جزءا من الصين لم ينفصل عنها الا باستيلاء اليابان عليها عام ١٨٩٤ .

ويبلغ تعداد سكان هذه الجزيرة سبعة ملايين نسمة زادت فبلغت تسعة ملايين بانتقـال جيش الكومنتـانج اليهـا الذى يبلغ مقداره ٣٠٠ر٠٠٠ رجلا غير من يتبعهم • وانتاج فرموزا للارز يكفى استهلاكها منه عادة ، الا أن جيش الكومنتانج يكلف اقتصادها الآن فوق مايطيق ولذلك تمدها الولايات المتحدة باعانات ضخمة • وقد كان لفرموزا حكومتها قبل وصول الكومنتانج اليها ، فتوترت العلاقات بينهمـا فترة لم يلبث الكومنتانج أن استولى بعدها على مقاليد السلطة فيها •

من الأقوال التى تردد أن ما حل بالكومنتانج من نكبات قد طهر صفوفه وأن تشكيله قد أعيد على أسس جديدة • كما قيل أيضا أن ما قد اعتراه من فساد انتهى ، وأن رؤساءه يشهدون الآن الشيوعيين فيما بلغوه من سعة الافق ونبالة القصد • فقد قدم الحزب مشروعـا ضخما للاصلاح الزراعى فى الجزيرة يقوم على أسس ديمقراطيـة ، فراعى تعويض الملاك عن ممتلكاتهم بدفع ثمنها لهم على آجال • ولكن الجيش قد أدركه الهرم • فقد ظل محتفظـا بروح معنوية عاليـة على اعتقاد أنه سرعان ما سوف يعود الى الارض التى احتلها الشيوعيون • ولكن ما لبث أن انقشع ذلك الحلم • وان كان شيانج كاى ـ شيك ما زال مستمسكا بالاعتقاد بحتمية قيـام الثورة ضـد الشيوعيين وعندئذ يتدخل بمساعدة من الامريكيين ليستعيد الارض التى فقدها •

وهذا المسلك ينطوى على أمل خطر ليس يتحقق الا بقيام حرب من الممكن اثارتها بين الولايات المتحدة وبكين · ويرى معظم الغرب أن ذلك اعتقاد اجرامى ، بل مغامرة قد تؤدى الى قيام الحرب الذرية ·

ولقد تراجعت الولايات المتحدة أخيرا عن ذلك الخر ، ولكنها لم تتحرر منه نهائيا · ومن العوامل التى تدعوا الى تهدئة الموقف أن جزيرة فرموزا تبعد عن ساحل الصين بمائتى ميل وهذه مسافة شاسعة تجعل من المستحيل على الشيوعيين وهم لا يملكون الا اسطولا صغيرا أن يفكروا جديا فى مهاجمة فرموزا · ولكن يبدو الامر أكثر تعقيدا حين ننظر الى جزيرتى كيموى *Quemoy* و ماتسو *Matsu* اللتين يحتلهما الكومنتانج ، فانهما تقعان على مبعدة أميال معدودة من شاطىء الصين · وقد كانت هاتان الجزيرتان السبب الرئيسى فى التوتر الذى حدث أخيرا · وجزيرة كيموى تقع بمقربة من ميناء أموى *Amoy* على ساحل الصين وكذلك جزيرة ماتسو تقع على كثب من ميناء فوشو *Fooshow* ·

عندما نزل الكومنتانج فى فرموزا عام ١٩٤٩ عند نهاية الحرب الاهلية انتهى الرئيس ترومان الى وجوب وقوفها على الحياد ولذلك أصدر تعليماته الى الاسطول السابع بحراسة المضايق التى يبلغ عرضها مائتى ميل ليحول دون أى هجوم يقوم به أحد الجانبين · وقد ثبت الموقف على ذلك الوضع الى أن حل عام ١٩٥٢ فكانت هذه السياسة التى انتهجتها أمريكا أهم موضوع شغل الاذهان خلال انتخابات الرئاسه فى الولايات المتحدة · فهاجم الحزب الجمهورى منافسيه من الحزب الديمقراطى بأن اجراءاتهم كانت سلبية ازاء توسع الشيوعيين ، ووجة اليهم اللوم على سياستهم العامة بخصوص «عزل الصين» ونادى بوجوب اتخاذ اجراء حاسم يؤدى الى «دحر الشيوعية»، ولقد وعد الحزب الجمهورى الناخبين أنه اذا عاد الى الحكم فسوف «ينزع عن شيانج كل ما يعوقه» ويأذن له بالاغارة على الصين · فلما تولى ايزنهاور مهام منصبه وجد نفسه مرغما على اصدار تعليمات جديدة للاسطول السابع مكنت شيانج من أن يشن عددا من الهجمات على شاطىء الصين ·

كان طبيعيا أن تدفع تلك الهجمات بحكومة بكين الى اتخاذ اجراءات تضادها · فبدأ الشيوعيون يتحدثون عن وجوب « تحرير » فرموزا ،

وأخذوا يعدون العدة للهجوم على جزيرتي كيموى وماتسو وهما من يستطيعا الصمود أمامها • ولكن ــ لما كانت مساعدة الولايات المتحدة أمرا منتظرا لذلك بات من المحتمل أن تنشب الحرب بين الصين والولايات المتحدة ، وقد يمتد الصراع فيشمل العالم أجمع • وشرع كلا الجانبين ــ الصين الشيوعية والولايات المتحدة ــ يبدى أقصى ما يستطيع أظهاره من صور العداء للجانب الآخر • فاعلن الشيوعيون من جانبهم ، أن جزيرة فرموزا تابعة لهم وأنهم يرفضون مناقشةأحد فى شأنها • لقد سبق للحزب الجمهورى أن ندد بسياسة الحزب الديمقراطى ، كما كان من المتعذر بل يستحيل تقريبا سياسيا أن تقوم مفاوضة بين حكومتى الولايات المتحدة وبكين فطالما وصفت الاولى الاخيرة بأنها حكومة شرعية وانها لا ترعى للاخلاق حسابا • ولذلك لم تجد حكومة أيزنهاور ما تفعله الا أن تقترح مناقشة الموقف مع حكومة بكين بحضور مندوب منالكومنتانج • وقد رفضت حكومة بكين ذلك الاقتراح طبعا •

ان جزيرة كيموى وماتسو مكشوفتان أمامالخطر الصينى ، حتى لقد اعتقد معظم العالم أن الجلاء عنهما من دواعى الحكمة • ولكن كيف يتفق ذلك الجلاء مع ما سبق أن صرح به الحزب الجمهورى من أنه سوف « ينزع عن شيانج كل ما يعوقه » ؟ لقد كان ذلك الجلاء خليقا بأن يقضى الى الابد على أمل الكومنتنج فى العودة ظافرين الى الصين ، وذلك أخر أمل يشد أزرهم • ولكن لم يجد أيزنهاور مفرا ، فبدأ يرتد تدريجيا الى سياسة الحزب الديمقراطى • فأعلن ولا أنه قد صدرت تعليمات الى الاسطول السابع بأن يساهم فى الدفاع عن المواقع التى يراها ضرورية للمطافظه علىفرموزا ، وبذلكترك لقائد ذلك الاسطول أن يقرر ما اذا كانت جزيرتا كويمى وماتسو ضمن المواقع التىيلتزم بالدفاع عنها أم لا • ثم عمدت الحكومه بعد ذلك الى تقديم ضمان محدد ــ وذلكلاول مرة ــ الى شيانج تعهدت فيه بالمساعدة فى الدفاع عن فرموزا ، وقد تم ذلك على صورة معاهدة دفاع مشترك غير محدودة بزمن تنتهى فيه • ولكن لم تذكر هذه المعاهدة من الاراضى التى يستحوذ عليها الكومنتانج الا جزيرة فرموزا بسكادورز *The Pescadores* • وقد تعهد شيانج نظير ذلك ألا يقوم بأى هجوم على شواطىء الصين الا بعد موافقة أمريكا •

بدا بوضوح أن أيزنهاور يقوم بالانسحاب من هذا الموقف الخطر ، ولكن لم يكن بامكانه أن يسرع فى ذلك الانسحاب الا بقدر ما يعد الرأى العام الأمريكى لقبوله . على حين انصرف الشيوعيون الى اقامة المدافع الثقيلة الموجهة نحو الجزيرتين واعداد مواصلاتهم فى المنطقة المجاورة . وأصبح من المتوقع أن يتمكنوا من الهجوم عليها فى أبريل عام ١٩٥٥ وعندئذ تردد السؤال الحاسم : هل انسحبت الولايات المتحدة بما فيه الكفاية حتى لاتقوم الحرب ؟ ولقد انسحبت الكومنتانج من جزر تاشينى *Tachens* وهى مجموعة قليلة من الجزر تقع تجاه ساحل الصين الشمالى ، وتم انسحاب الكومنتانج تحت حماية الاسطول والطائرات الامريكية دون أن يحدث أى تدخل خلال هذه العمليه الدقيقة . ولكن ظل العالم فى غاية من القلق على مصير جزيرتى كويمى وماتسو كلما اقترب موعد وقوع الازمة المنتظرة .

ثم تدخلت الامم المتحدة . فانعقد مجلس الامن ووجه دعوة الى حكومة بكين لحضور المناقشة فى ذلك الامر (وقد عارضت الصين الوطنية فى توجيههذه الدعوة) ولكن — لما كانتهيئة الامم قدرفضت من قبل قبول الصين الشيوعية بين أعضائها ، فانها عمدت الى رفض الدعوة . كما رفض الشيوعيون الروس حضور هذه المناقشة الا اذا تنحى عنها مندوب الصين الوطنية . ولم يلبثوا بعد ذلك أن طلبوا ترك المناقشة الى قرار سوفييتى يعالج الامر بوصفه من شئون الصين الداخلية . كما دعوا الى نظر قيام كل من الولايات المتحدة وحكومة بكين بأى تحرك عسكرى الى أن يتم انسحاب قوات الكومنتانج من المنطقة كلها .

ذكرنا أنه كان من المتوقع أن يتمكن الصينيون الشيوعيون من غزو جزيرتى كيموى وماتسو فى ابريل عام ١٩٥٥ . ولكن ما كاد يحل ذلك الشهر (أبريل) حتى انعقد مؤتمر بندنج الافرسيوى فكان نقطة تحول هامة لم يكن أحد يتوقعها ، وقد التأم عقد ذلك المؤتمر ليناقش مواضيع عامة (سوف نعود اليها بتفصيل فى جزء آخر من الكتاب) لم تكن تهم الغرب كثيرا فى تلك الايام ، الا أنه لم يلبث أن وضحت أهمية ذلك المؤتمر الكبرى حيال كثير من شؤن العالم . ويعود الجانب الاكبر من أهمية ذلك المؤتمر الى مسلك المندوبين فيه ازاء الشيوعية . فلقد حضره شو — ين — لاى وزير خارجية الصين

الشيوعية ، وكان واضحا أن القلق يساور عددا كبيرا من الدول وخاصة دول جنوبي شرقي آسيه نحو نيات بكين . ولقد شعر شو اين لاى بذلك ، فبذل كل جهده لكسب ثقتهم ، كانت احدى وسائله الى ذلك أن مال بسياسة حكومته الى الاعتدال ، ثم لم يلبث أن أعلن فجأة خلال احدى دورات المؤتمر أنه على استعداد لمناقشة هذه المشكلة مع الولايات المتحدة ٠

وقد تناقضت تعليقات أمريكا على تصريح شو - اين - لاى فى الايام الاولى التى اعقبته ، ولكن لم تملك الحكومة الامريكية ازاء ما أبدته الصين من استسلام الا أن تقبل ذلك العرض منها ٠ ثم انعقدت محادثات بعد ذلك بين هاتين الدولتين الكبيرتين، فهدأت حدة التوتر ٠ ورغم طول المدى الذى استغرقته هذه المحادثات الا أن الطرفين لم يصلا الى نتيجة ينتهيان اليها ، وأن يكن من الممكن عودتهما الى تمام تلك المباحثات فى أى وقت ٠ وكانت كلتا الدولتين تحتفظ برعايا تابعين للدولة الاخرى ، فاتفقتا على اطلاق سراحهم ولكن لم تتقدم المحادثات على الاطلاق رغم أنها استغرقت الآن عامين (أن المراقبين متحيرون فى أى المواضيع يمكن ايجادها حتى تستمر هذه المحادثات ٠) ولكن العالم يستطيع أن يطمئن على نفسه مادامت هذه المحادثات دائرة لم تنقطع ٠

أن الآراء مختلفة فى فهم السبب الذى دعا الى ذلك التغيير المفاجىء فى مسلك الصين ٠ ومن رأى بعض المعلقين السياسيين أن روسيا قد ضغطت على الصين حتى مالت بها الى جادة الاعتدال ٠ ومن المحتمل حقا أن يخشى الاتحاد السوفييتى شأنه فى ذلك شأن الدول المحالفة للولايات المتحدة من قيام حرب عالمية لسبب مثل موضوع فرموزا ٠ وقد أدلى مستر دلاس بعد ذلك ببضعة أشهر بتصريح أومأ فيه الى أن تهديد أمريكا بشن حرب ذرية قد أدى الى تأثيرات هامة ، ولكن من الواضح أن سياسة أمريكا الاخيرة القائمة على التهدئة والتى قوبل بها اقتراح الصين الشيوعية ، انما بنيت على اساس الاعتقاد الفجائى لدى الرأى العام الامريكى بفداحة ما يصيبهم من كوارث هم أيضا لو أن حكومتهم شنت حربا ذرية حقا ٠ ولقد كان ذلك أمرا ملحوظا لدرجة جعلت التديد الامريكى يبدو كما لو كان خدعة مكشوفة ، ولكن ما من عمل يتم عادة الا وله اساس من دوافع مختلفة يختلط ببعض ٠

وسرعان ما نبهت الدولتان الى خطر قيام حرب عالمية ، وزاد شعور كليهما كما دلت الحوادث بعد ذلك ، على وجوب الاهتمام بالحصول على تأييد الدول غير المتحيزة فى كل من أفريقيا وآسيا ٠

* * *

الصين الجديدة

شرعت حكومة بكين منذ عام ١٩٤٩ فى اعداد مشاريع اقتصادية واجتماعية اعتزمت أن تنفذها بسرعة وعلى مدى واسع بقدر ما تتيحه لها مواردها وعون الاتحاد السوفييتى ٠ وقد أقرت فى عام ١٩٥٢ مشروع خمس سنوات لأعوام ٣ ـ ١٩٥٧ يشمل ما اعتزمته من توسع فى الزراعة والرى والكهرباء والصناعات الثقيلة والمواصلات والبعليم والخدمات الطبية ٠ وقد غالت الحكومة بادىء ذى بدء فى أهدافها ثم أعادت مراجعة المشروع فى عام ١٩٥٥ ٠ولكن مازالت أهداف المشروع رغم تخفيضها تهيىء تقدما بعيد المدى فى كثير من الميادين ٠ فالمشروع الخاص بالصناعة يحقق بعد مراجعته وتخفيضه تقدما يبلغ مقداره ١٠٤,١٪ والبيان التالى يوضح مدى التقدم فى ميادين أخرى :

الانتاج الصناعى من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٧

	مقدار الانتاج الفعلى	مقدار الانتاج حسب المشروع	قيمة الزيادة فى المائة
فحم بالطن	٦٣,٥٠٠,٠٠٠	١١٣,٠٠٠,٠٠٠	٨٠
صلب بالطن	١,٣٥٠,٠٠٠	٤,١٢٠,٠٠٠	٢٠٠
اسمنت بالطن	٢,٨٦٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠	١١٠
كهرباء (بالكيلوواوات فى الساعة)	٧,٢٦٠	١٥,٩٢٠	١٢٠

ومن المشارريع الكبرى انشاء ١٥ محطه لتوليد الكهرباء و ٣١ منجما لاستخراج الفحم و ١٣ خزانا ضخما على الانهار ٠ وتقوم الصين

الآن بصنع السيارات والجرارات والسفن وان كانت تستورد من الخارج الكثير من اجزائها • وقد خفضت الحكومه كثيرا من مشروعات الصناعات الخفيفة عند تعديلها مشروع السنوات الخمس ، فيما عدا صناعة النسيج • أما الصناعات الثقيلة فقد راعت فيها مطالب التوسع الزراعى فان ذلك أمر ضرورى لمواجهة مشكلة اطعام ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ صينى سريعوا التكاثر ، وهذه المشكلة تكاد تكون أهم ما تواجهه حكومة الصين من مشاكل • وتعتمد الصين فى أغلب ماتنشئه من الصناعات الثقيلة على عون الروسيا الاقتصادى والفنى • كما أنها تبذل جهدا خاصا فى استغلال موارد جديدة فى داخل البلاد ، وثمت مدن كثيرة كانت تنهج مناهج بدائية فيما مضى قد أصبحت الآن مراكز صناعية مزدهرة •

ويتضح من البيان التالى أن أهداف التوسع الزراعى بعيدة المدى :

	مقدار الانتاج الفعلى	مقدار الانتاج حسب المشروع	قيمة الزيادة فى المائة
حبوب (بالطن) • •	١٦٣,٠٠٠,٠٠٠	١٩٢,٨٠٠,٠٠٠	١٧,٦
قطن (بالطن) • • •	١,٣٠٤,٠٠٠	١,٦٣٥,٠٠٠	٤٥,٤
جوت وألياف (بالطن) •	٣٠٠,٠٠٠	٣٦٥,٠٠٠	١٩,٧
دخان (بالطن) • • •	٢٢١,٠٠٠	٣٩٠,٠٠٠	٧٦,٦
قصب سكر (بالطن) • •	٧,١٤٢,٠٠٠	١٣,١٥٠,٠٠٠	٨٥,٠

أعلن فى يناير عام ١٩٥٦ عن مشروع الاثنى عشر عاما للتوسع الزراعى للفترة ٥٦ ــ ١٩٦٧ ويشمل أيضا هذا المشروع الغاء الامية فى نفس الفترة • والمشروع يدل على اتساع مدى طموح الصين فهو يحقق زيادة تتراوح بين ٧٠٪ ، ١٨٠٪ من انتاجها الحالى فى ميادين شتى ، وقد روعى فيه مابين المناطق من تباين واختلاف • ولقد أعلن منذ زمن قريب أن التوسع فى الزراعة الجماعية قد زاد عما كان مقدارا بلوغه فى عام ١٩٥٥ فقد تم ادخال ما يزيد عن ٦٠٪ من مزارع صغار الملاك ضمن ذلك النظام حتى آخر ذلك العام مما أتاح الفرصة لاعادة

انتظر فيه (أى نظام المزارع الجماعية) • وكان من المقدر أن يستغرق تحقيق الاشتراكية والزراعة خمسة عشر عاما ولكن أصبح من الممكن الآن أن يتم في عام ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ـ هذا وان « شبه الاشتراكيه » الزراعية الذى تمر الصين به فى الآونة الراهنة على صورة « الزراعة الجماعية » هو مجرد تكوينات تعاونية يتشارك الفلاحون فيها فى الانتاج وباقى الموارد مع احتفاظ كل منهم بملكيته للأراضى والآلات التى تخصه ، أما الجماعية الكامله فذلك نظام المزارع المشتركة التى تصير فيها الارض والآلات ملكا للجماعة كلها ، وليس يشتد ميل الفلاحين الى ذلك النظام الاخير •

لقد مارس الفلاحون النظام التعاونى منذ زمن قديم بوحى من فطرتهم • ولكن الوضع يختلف اختلافا بينا اذا تطلب الامر منهم أن يتنازلوا للجماعة عن ملكيتهم للأرض التى لم ينالوها الا منذ زمن قريب • (يعتقد الآن بعض المطلعين أن الشيوعيين فى الصين سيقفون عند الحد الذى بلغوه فى تطبيق الاشتراكية الزراعية فلا يتعدونه بعد ما رأوا النذير فيما حدث للروسيا من تجربتها) وفلاحة الارض تتم الآن فى الصين حسب النظام الجماعى ، ولا يملك الفلاح فى ظل هذا النظام الا اقتناعه النظرى بأن له نصيبا منفصلا يخصه فى المزرعة، استنادا الى وثيقة ملكيته • كما أن له الحق نظريا فى الانسحاب منها ، ويقال أن بعض الفلاحين قد فعلوا ذلك •

ما يزال قادة الصين الجدد يبدون حتى الآن نفس اهتمامهم القديم بالارض الزراعيه • وقد خدع ذلك كثيرين ممن اتصلوا بهم فى بداية الحرب الاهلية فاعتقدوا انحرافهم عن أهداف الشيوعية ، ولكن الامر على عكس ذلك فهم شيوعيون ما فى ذلك شك • لقد قتل ملايين فى خلال الثورة أغلبهم من ملاك الارض فكان لزاما أن يجرى الاصلاح الزراعى بوسائل جديدة • أما فى ميدان الصناعة فقد سمح للكثيرين من أصحاب المصانع الذين أظهروا « مسلكا مقبولا » أن يستمروا فى ادارة مصانعهم ، وهم يكونون الآن « البورجوازية الوطنية » ولكن ذلك لا يعنى انحراف الصين عن مبادىء الشيوعية ، فقد مرت الروسيا فى مطلع ثورتها بفترة انتقال كهذه تحت نظام « السياسة الاقتصادية الحديثة » الذى اتبعه لينين عام ١٩٢٠ وهو نظام أملته الضرورة آنذاك بسبب الفوضى التى نشبت بعد استيلاء الدولة المفاجىء على المصانع

الخاصة قبل أن تعد الموظفين الصالحين لادارتها • وتشيع بين الصينيين الآن كل المظاهر التقليدية التى عرف بها الشيوعيون ؛ فهم يناقشون ما يطرأ من المشاكل باصطلاحات حرب الطبقات المعروفة ، ويصفون قادة الغرب بأنهم « تجار حرب رجعيون » ، وينشرون الدعاية على نطاق واسع بين الكبار ، ويغرسون مبادىء فى أنفس الصغار وطلاب المدارس ، كما يشيع بينهم الحد من حرية التفكير • لقد كانت الثقافة واسعة الانتشار دائما فى الصين ، ولذلك يكاد مما لا يصدق أن يخضع مثل هؤلاء العريقون فى ثقافتهم الى مثل هذه الحال • وقد يظن المرء أن اهتمام الصينيين الشديد بكيان الاسرة يدفعهم الى مقاومة الشيوعية ، ولكن لاريب أن أغلبية الصينيين يؤيدون حكومتهم القائمة الآن • وحتى المثقفون منهم لايبدون امتعاضا من تناول ذلك الدواء •

أن متوسط دخل الفرد فى الصين ضئيل للغاية ، ولكن كثرة تعدادها يتيح لها قوة حربية تجعلها أقوى دولة فى الشرق الاقصى • فقد بلغ تعداد جيشها النظامى ٢٫٢٥٠٫٠٠٠ مقاتل فى عام ١٩٥٥ عدا الاحتياطى المدرب وعدده كبير أيضا • وقد غالت الصين فى تطوير جيشها منذ عام ١٩٤٩ بما يناسب النظم العصرية الحديثة وصار من الممكن مقارنة القوة الضاربة فى احدى فرقها بمثيلتها الامريكية أو الانجليزية ، الا أن سناد قادتها من المدفعية والطيران أقل • وبالرغم من ذلك فان قدرة جيوش الصين الحديثة فيما يتعلق بالسلاح قوية للغاية خاصة اذا حسبنا تعدادها الكثيف • والصين شديدة الاعتناء باسطولها الذى يضم عددا كبيرا من السفن الصغيرة أمدها بها الاتحاد السوفييتى • أما سلاح الطيران فيها فانه أقوى أسلحة الطيران فى الشرق الاقصى ، فيشتمل على نحو ١٠٠٠ طائرة نفاثة حسب آخر طراز ابتدعته روسيا • وليس ثمت من ضعف فيه الا قلة المطارات الملائمة وعدم مدارج الطيران فيها وباقى معداتها • ولكن الصين معنية فى الوقت الراهن باعداد الكثير من هذه المطارات ، وخاصة قرب فرموزا •

* * *

الصين والاتحاد السوفيتى

ما هو مستقبل العلاقة بين الصين الشيوعية والاتحاد السوفيتى ؟ ذلك السؤال من أهم الاسئلة التى نجمت فى أعقاب الحرب وأبعثها على الحيرة • وتبدو الدولتان – فى الظاهر على الاقل – متفاهمتين فى الوقت الحالى ، وهما تكونان معا قوة عظمى لها امكانيات هائلة • فلو أنهما افترقتا لاى سبب ، فسيكون مؤدى ذلك أن يتغير ميزان القوى فى العالم • فهل من الممكن أن يقع ذلك التغيير ؟

أن الاجابة عن ذلك السؤال مختلفة ، مما كان بعض السبب فى التباين الواقع بين سياستى بريطانيا والولايات المتحدة حيال الصين الشيوعية • فبريطانيا تعتقد فى امكان وقوع انشقاق بين الدولتين الشيوعيتين فترى لذلك أن معاداة الصين أمر خاطىء يؤدى الى ازدياد وقوعها بين ذارعى الروسيا • أما الامريكيون فيعتقدون أن الشيوعية فى أى صورة كانت هى الشيوعية ، ولذلك لا يهتمون بتمعن الفروق الدقيقة بين مدارسها المختلفة • فالشيوعية نظام خارج على الاخلاق بل هو نظام اجرامى فى كل صوره فعليها أن تجاهر بالعداء السافر لكل دولة تعتنقه • واذا كان احتمال نشوب نزاع بين الدولتين الشيوعيتين قد تراجع حقا ، الا أن فى طبيعة موقعها مجالا لمنازعات يمكن تأجيلها ولكن من العسير تجنبها اطلاقا •

وهناك بضعه أمور تتشابه فيها كل من الصين ويوغوسلافيا • فالشيوعيون الصينيون وشأنهم فى ذلك شأن تيتو ، لا يدينون بنجاحهم الى الجيش الاحمر ، كما أن مساعدات الروس لهم ليست الدعامة التى يرتكزون عليها • وقد رأينا من قبل أن مساعدات ستالين التى قدمها الى ماو فى خلال حربه الاهلية كانت قليلة للغاية • ومن الحقائق المعروفة أن ماو قد سأل ستالين النصيحة عقب صلح الباسفيك هل يقوم بالثورة أم يتعاون مع الكومنتانج • فكانت نصيحة ستالين له أن يتعاون مع الكومنتانج • وقد اعتقد البعض أنه انما أدلى بهذه النصيحة حتى لاتخرج الصين الى منافسة الروسيا على زعامة الشيوعية ، ولكن الادنى الى الاحتمال أن ستالين كان يعتقد أن استعداد الصينيين

الثورة لم يتم ، كما كان يعتقد أيضا أن قيـام حكومة يشترك فيهـا الشيوعيون والكومنتانج خليق بأن يتيح للروسيا أن تكون معها على خير العلاقات • وبتطبيق النظرية الماركسيـه تلوح الصين فى ذلك الوقت بلدا زراعيا لم تنضج بما فيه الكفاية لاعلان ثورتها الشيوعية ؛ فقد كانت ما تزال فى ظل نظام الاقطاع ، فعليها أن تبلغ أولا عصر الرأسمالية فتنشأ فيها الصناعات ومن ثم يكون للعمال شأن ، ومن هؤلاء تتكون البروليتاريا الصـناعية ، ولما كان الـكومنتانج يمثل الرأسماليه ، لذلك يصبح التعاون معه تطبيقا سليما للماركسية • فان ذلك التعاون وسيلة الى دفع عجلة التقدم الرأسمالى يؤدى فيما بعد الى قيام الشيوعيه •

مهما تكن دوافع ستالين الى نصيحته تلك ، فان ماو لم يأخذ بها • فكف عن تعاونه مع الكومنتانج وسارع الى الثورة مرتكزا على تأييد المزارعين له ، ثم نجح • وقد أدى هذا التشابه الى ظهور نقطة تشابه ثانية بين الصين ويوغوسلافيا • فان ماو بعد نجاح ثورته ما لبث أن نال اعتراف الدوائر الشيوعية بأنه مجتهد أو مبتكر قد أرسى الاساس لمبدأ جديد فى الشيوعية ، وهذا تقدير قلما يناله أحـد فى الدوائر الشيوعية • فماو — حسب مبدأه الجديد — يعطى الفلاح مكان الصدارة فى المجتمع الشيوعى ، بينما لم يكن ستالين يكف عن القول بأن العمال الصناعيين هم وحدهم الشيوعيون الحقيقيون • وقد يبدو هذا الخلاف طفيفا فى رأى الدوائر غير الشيوعية ولكنه عند الشيوعيين أمر حيوى للغاية • بل الواقع أن ستالين لم يعاد تيتو ويتهمه بالمروق على النظام الشيوعى الا لهذا السبب ! وهكذا نجد ماو انما يتسامح رسمى من الحزب بوصفه أحد أعلام الهرطقة أو المروق المذهبى •

وثمت عامل آخر لعله أشد أهميـة فى امكان وقوع الخـلاف بين الدولتين ذلك وقوفهما طويلا موقف النزاع بخصوص مصالحهما على طول الحدود المشتركه بينهما والتى تبلغ ٤٫٠٠٠ ميل تشمل منشوريا ومنغوليا وسنكيانج • فلقد سبق ذكر توسع روسيا الاستعمـارى وانه امتد حتى بلغ هذه المنطقة فى انصف الثانى من القرن التاسع عشر • وأن أكثر الفضل فيما بلغته هذه المنطقـة من عمـران ليرجع اليها — أى الروسيا — وثمت مثل واضح هو انشاؤها خط سكة حديد سيبريا عبر القارة جاعلة مساره خلال منشوريا حتى ينتهى فى بورت

أرثر وهناك بديل لهذا الخط ينتهى فى فلاديفستك • ولكن الخط الذى ينتهى عند بورت أرثر أكثر قيمة وأبعد أهمية) • ولما كانت منشوريا أعنى مناطق الشرق الاقصى من حيث المواد الخام اللازمة للصناعة فانها تصبح بذلك ذات أهمية كبرى لروسيا فى نشر العمران فى سيبريا ، اذ تكفيها مشقة جلب ما تحتاجه هــذه المنــاطق من المواد الخــام من الجمهوريات المتوسطة فى الاتحاد اسوفييتى ، والطريق طويل بينها وبين سيبريا • ولم يكف الاتحاد السوفييتى عن الاستفادة من ضعف الصين حتى عهد قريب مستغلا اتحاد الجنس بين السكان على جانبى خط الحدود ، فقد مضى ينشر نفوذه فى هذه المناطق • ولقد نفذ الاتحاد السوفييتى كثيرا من أعمال العمران فى سنكيــانج ومنغوليــا منهــا انشاء مواصلات ترتبط طبعا بخط سكه حديد سيبريا •

ولم يتجنب الاتحاد السوفييتى اثارة أصحاب الميول الانفصــالية الموجهة ضد السلطة المركزية فى الصين بين شعوب هذه المنــاطق • وقد بلغ هذا النشاط مداه فى منغوليا الخارجية فان وكلاء الروسيا حثوا قوات الثوار حتى انشأت فى نهاية الامر ولايه شيوعية مستقلة نظريا ، وبذلك انفصلت عن سلطان الصين . قد اعترف الكومنتانج أولا باستقلال هذه المقاطعة ، وتابعتها بعد ذلك حكومة بكين • الا أنه من المحتمل جدا أن ذلك التوسع الروسى قد ألم الصين وأغضبها •

وفضلا عن ذلك فقد عمدت الروسيا ــ قبل تسليم منشوريا الى الصينيين بعد صلح الباسفيكى كما تقدم به القول فى هذا الفصل ــ الى تجريد المقاطعة من كل ما بها من مصانع بحجة أنها ملك اليابانيين!

وقد وقعت الدولتان اتفاقا فى عــام ١٩٥٠ وضعت بموجبــه كل المنشآت التى أقامتها الروسيا بمالها وجهودها فى الولايات المتحدة الواقعة على الحدود وهى لا تقل عن ١٤١ منشأة ، تحت ادارة مشتركة يتناصفها الروس والصينيون (على نسق السفورم *Sovorm* المعمول به على الروسيا فى أوروبا) فيتولى رئاسة الهيئة صينى بينما يكون مديرها العام روسى ، وللمدير العــام السلطــان الاعلى حسب النظم المعمول بها فى الروسيا • وقد أقيمت تنظيمات مشابهة لذلك فى ادارة سكة حديد منشوريا والقاعدة البحرية فى بورت أرثر حيث رخصت الصين للروسيا بالبقاء فيها حتى عام ١٩٥٢ (تنازلت روسيا

فى عام ١٩٥٢ عن نصيبها فى ادارة السكة الحديد ، ولكنها استجابت لرجاء الصين بالبقاء فى بورت أرثر بسبب قيام الحرب الكورية ٠)

من الواضح أن هذه التنظيمات كانت خليقة بأن تقود الى بعض النزاع ٠ فلما تم اتفاق آخر بينهما فى أكتوبر عام ١٩٥٤ تنازلت الروسيا بموجبه عن المتبقى لها من نصيب فى ادارة تلك المنشآت ، كان ذلك نقطة تحول هامة فى عالم ما بعد الحرب ٠ كما أن الروسيا تعهدت فى ذلك الاتفاق أن تنسحب من بورت أرثر فى مايو عام١٩٥٥ (وقد نفذت هذا الوعد عندما حل التاريخ المضروب) كما أنها تعهدت أيضا ببذل معونتها الاقتصادية لهذه المنشآت ولغيرها من المشاريع ٠ وبالاضافة الى ذلك وافقت على مساعدة الصين فى انشاء خطوط حديدية تسد بها الثغرات الموجودة حتى لانشو *Lanshow* بمدينة المآته *Alma Ata* (الواقعة على خط التركستان ـ سيبريا) وحتى تتصل مدينة أولان باتور *Ulan Bator* (عاصمة منغوليا الخارجية) بمتنمين *Tinmin* وهكذا يتصل داخل آسيا بالشاطىء ٠

ويبدو أن الدولتين صممتا على تجنب حدوث انشقاق بينهما ، ولذلك استبعدتا كل الاسباب التى قد تؤدى الى وقوعه ٠ فلم يعد من الممكن أن يقع بينهما نزاع فى المستقبل القريب بسبب اصطدام المصالح بينهما فى وسط آسيا ، وان كان المجال فسيحا لقيام المنافسة بينهما فى السنوات المقبلة ٠

يبدو فى الوقت أن الصين معتمدة اعتمادا كليا على مساعدة الروسيا لها فى تنفيذ مشاريعها الحيوية بحيث لم يبق مجال لتقوم بأى مخاطرة تؤدى الى فصم ما بينهما ٠ فليس لها من مورد سواها يمكنها أن تلجأ اليه ٠ ومن المحتمل أن يكون هذا عنصرا هاما من عناصر الموقف الحالى وأن يكن هذا الاعتماد الكلى يحمل فى أطوائه جرثومة الانشقاق ـ فانه من النادر أن تتوافق العلاقات بين المقرض وبين من يقترض منه ٠ ولسنا نعرف مدى مساعدة الروسيا للصين بدقة ولكن يبدو أنها لم تكن مسرفة فى كرمها فى هذه المساعدة ، كما أن الشروط التى أمكن معرفتها تدل فى الاعم على شح وعدم كرم ٠ فان الصين تدفع للروسيا بما تقدمه لها من المواد الخام ثمنا لمعظم ما تتلقى من عونها

لها . وقد ذكر من زاروا الصين أن الصينيين يمتنعون — فى حدود اللياقة — عن الاسهاب فى شكر الروسيا على معونتها . وأنهم لخليقون أن يعترضوا — نظرا لحاجتهم هم الماسة — على عروض المساعدة التى تقدمها الروسيا الى كثير من الدول الاخرى المتخلفة . وأنه لمن واجب المؤرخ أن يذكر أن قيام النزاع بين دولتين ناهضتين لا تفصل بينهما أقاليم متخلفة لهو أمر محتمل جدا ، خاصة اذا اعتمدت احداهما على الاخرى كما رأينا . ولكن عداء العالم وعدم تسامحه ازاء الشيوعية خليق بأن يجعل حاجة هاتين الدولتين الى الاتحاد تمتد الى سنوات كثيرة مقبلة ، حتى يمكنها الصمود .

* * *

التبت

ما كاد الشيوعيون الصينيون يتسنمون الحكم فى الصين حتى بادروا بعد أشهر قليلة الى النهوض لاخضاع التبت لسلطانهم . وولاية التبت تابعة من قديم للصين، وقد اعترفت الروسيا وبريطانيا بسيادة الصين فيها فى المعاهدة المعقودة عام ١٩٠٧ — ولقد بعث حاكم الصين من أسرة مانشو حملة الى لاسا عام ١٩١٠ ولكن منذ سقوط هذه الاسرة فى عام ١٩١١ نجحت التبت فى أن تدير أمورها تحت حكم الدلاى لاما *Dalai Lama* دون تدخل من أحد .

أرسل ماو جيشا بلغ ٣٠٫٠٠٠ مقاتل وأبدى فى ذلك مهارة بالغة . فقد تم انزال سيارات الجيب بواسطة الباراشوتات ، وفككت سيارات اللورى قطعا صغيرة حملت بالايدى فى جهات بالغة الوعورة ثم أعيد تجميعها مرة ثانيه . فلم يستطع أهل التبت أن يبدوا مقاومة . ولكن الشيوعيين عاملوهم رغم ذلك بشىء من الاحتراس . وقد حاولوا اغراء الدلاى لاما عقب هربه الى حدود الهند ، فدعوه الى زيارة بكين بصحبة بانشن لاما *Panchen Lama* أى مع نائبه وان كان ينافسه أيضا . ولقد رعى الشيوعيون البانشن لاما بعنايتهم فاعلن أخيرا موافقته على الوضع الجديد للتبت ، كما استعاد منصبه فى ظل من سلطان بكين .

وأنشأ الشيوعيون منذ عام ١٩٥٠ ثلاث طرق للسيارات ربطت لاسا بباقى أنحاء الصين ، وبذلك أنتهت عزلة التبت التى استمرت قرونا .

لقد أكثر الغرب من التعليق على مسلك الصين من احتلال التبت ووصفه بأنه عدوان واكراه . الا أن من حق الشيوعيين القول أنهم لم يصنعوا أكثر من اعادة سلطان دولتهم على منطقه كانت دائما تابعة لها . ولقد ذكرت أقوال كثيرة عن عدم رضاء أهل التبت ومعارضتهم فى حكم الصين لهم ، ولكن لم يكن من الممكن على أى حال أن تقوم أى دولة بالحيلولة دون مضى الصين فى فيما اعتزمته . وسوف نرى فى الفصل المقبل من هذا الكتاب أن الهند هى الدولة الوحيدة التى كانت لها مصالح فى التبت منذ قيام الحكم البريطانى فيها (أى فى الهند) . ولقد أبدت الهند بعض الشكوك حول استعادة الصين لهذه المقاطعة ، ولكن لم يكن أمامها مفر من الاعتراف بالتغيير الذى وقع والذى ترك فيها أثره .

* * *

اليـــابان

الهند واليابان أعظم دولتين يهتم بهما الاتحاد السوفييتى فى منطقة الشرق الاقصى بعد اهتمامه بالصين . وسوف نعقد للهند فصلا قائما بذلك ، ولكن اليابان هى الاخرى دولة يقوم حولها التساؤل . فهى تسير منذ انتهاء الحرب الماضية تتحسس طريقهـا ، غير واثقـة من نفسها خلال مسالك متعارضة . فاذا قر رأى اليـابان على الطـريق الذى ستسلكه فسيكون لذلك تأثير كبير على مستقبل الشرق الاقصى .

واذا كانت اليـابان منزوية الآن فى جـانب من المسرح الا أنهـا ماتزال ، وستظل الى سنوات كثيرة مقبلة الدولة الصناعية الكبرى الوحيدة فى الشرق الاقصى . لقد أرغمها بيرى *Perry* القائد البحرى الامريكى على فتح أبوابها لنفوذ الغرب فى عام ١٩٥٤ ومنذ ذلك الوقت أبدت اليابان كل مقدرة أهليها وامتيـازهم فى تقليـد

الغرب · فادخلت الصناعة في بلادها بسرعة وعلى نطاق شامل فلم يكد يحل عام ١٩٥٠ حتىاستطاع أسطولها أن ينزل الهزيمة الساحقة بالاسطول الروسى فى موقعة بورت أرثر · وكان هذا أول انتصار أحرزته دولة شرقية على أخرى غربية · بالاسلحة الحديثة ، كما كانت أيضا أحدى العلامات الهامة فى تاريخ العالم ·

ولكن اليابان وان مارست الصناعة بتكتيكها الغربى الا أنهـا لم تطبق تقاليد الغرب الا فى هذه المظاهر فحسب · فقد أنشأت واجهة برلمانية حتى تجارى طراز العصر الذى سادته حرية الديمقراطية ، ثم أتت بالإمبراطور ولم يكن قد مارس سلطانا حقيقيا منذ قرون عديدة، فجعلت منه حاكمها الدستورى · ولـكن البرلمان لم يكن الا مجرد مظهر فحسب · فلقد كان الفساد شائعا فى الاوساط الحكومية ، أما السلطان الحقيقى فكان فى أيدى الشركات الصنـاعيـه أو زاباتسـا *Zabatsu* (وأهمها شركتان هما متسوى *Mitsui* ومتزبيشى *Metsubishi*)ويشارك فى هذا السلطان رجال الحرب · وقد كان مجال النقاش والنشاط السياسيين محدود للغاية ، كما لم يكن وزير الدفاع يلقى بالا الى باقى الوزراء بل كان مسيـطرا الى حد كبير على السياسة الخارجية·ولما كان من تعاليم الديانة الشنتية *Shintoism* الايمان بألوهية الامبراطور ، لذلكصار دعامة هامة تسند البناء جميعه وتجعل بالامكان تنظيم الوطن على أساس من الشدة ·

لقد نشرت اليـابان الصنـاعه فى بلادها رغم نقص المواد الخـام الشديد لديها ، فادى ذلك الى البحثعن مصادر واسواق تمدها بها · وفضلا عن ذلك فقد كانت اليابان تعتقـد أنه مقدر لهـا أن تسـود الشرق ، وقد نجحت فى تنفيذ ذلك نجاحا رائعا فى تاريخها الحديث، فلم تفقد ابدا معركة هامة وظلت تمد فتوحاتها بانتظام · ولقد أثمرت الحرب لدى اليابانيين فاستوثق ايمانهم بقدرهم· ولذلك فان هزيمتهم الساحقة فى عام ١٩٤٥ هزت نفسياتهم هزة هائلة ·

لقد هزمت اليابان شر هزيمة عام ١٩٤٥ وعندئذ نشأ سؤال : هل بمكن اقامه الديمقراطية ونشر السلام فى ربوع هذا البلد ؟ ولم يتردد الامريكيون بل أقبلوا على تحقيق ذلك الرجاء بتفاءل عظيم · لقـد أصروا على الانفراد باحتلال اليابان ، ونالوا ما أرادوا · فعينوا الجنرال

دوجلاس مكارثر قائدا أعلى لقوات الحلفاء وخولوا له سلطة الاشراف على مجلس الحلفاء (الذى مثلت فيه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا والصين والاتحاد السوفييتى) ولم يكن لهذا المجلس الا حق استشارى ٠

ويمكن تقسيم سياسة أمريكا ازاء اليابان الى ثلاثة أطوار مرت بها٠ الطور الاول من عام ٤٥ — ١٩٤٧ وكانت أمريكا متفاءلة فى الطور تفاءلا بلغ حد السذاجة ٠ فعقدت انتخابات حرة كانت أول ما شاهده اليابانيون فى حياتهم ٠ واتخذت دستورا ديمقراطيا بل كامل الديمقراطية قد أملاه الامريكيون أنفسهم حتى لقد تعسر على اليابانيين أن يدركوا المقصود من بعض عباراته التى كانت تسميات أطلقت اجتهادا للتعبير عن مضامين يعرفهما الامريكيون ولكن ليس لهما ما يماثلها لدى اليابانيين ٠ وقد نص فى بند هام من ذلك الدستور على استنكار الحرب كاداة للسياسة ، وان لا تدعم أى قوة الا قوات الدفاع٠ وارغم الامبراطور على الظهور أمام الشعب مرات٠ كما شجعت النقابات أما زاباتسا فقد حلت ٠ وحررت النساء — وهذه ثورة مذهلة فى اليابان — ومنحن حق الانتخاب ٠ وقد أعدت كتب خاصة قدمت للاطفال فى مدارسهم حيث أخذوا يعلمون بغير انقطاع فضائل الديمقراطية ٠

هكذا بدأت اليابان السير فى الطريق الجديدة ٠ وأنه لمن دواعى التسلية أن ينظر المرء الى هذه التغييرات بعد مرور سنوات قليلة ليرى ماذا تبقى منها ٠ لقد أقبل اليابانيون — وهم قوم ميالون الى التقليد والمحاكاة بطبيعتهم — على النظام الجديد بحماس ، ومن المحتمل أن النتائج الاولى لهذا النظام كانت سطحية كما سنرى فيما بعد ، فان بعض الشخصيات الهامة ممن أيدوا النظام القديم ما لبثوا أن ظهروا من جديد ٠ وبالرغم من ذلك فان من المرجح أن يصمد الكثير من تلك التغييرات وان يكتب لها الدوام ٠ فان الشعب اليابانى يبدى اهتماما حقيقيا بالحكومة الديمقراطية ، ومما يؤيد ذلك أن نسبة الناخبين قد بلغت فى السنوات الاخيرة نحو ٨٠٪ ممن لهم حق الانتخاب ٠

أما الفترة الثانية من علاقة الامريكيين باليابان فتبدأ من عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٤٩ ونجد الولايات المتحدة قد عدلت من سياستها الاولى

خلال هذه الفترة .. فلقد اعتقدت في مبدأ الامر أنها لن تحتل اليابان الا لزمن قصير ، ولكن لم تلبث أن تبينت فى عام ١٩٤٧ أن انسحابها سوف يتسبب في انهيار اليابان الاقتصادى انهيارا كاملا فان اعادة بنائها الصنعي كان ما يزال فى حيز التكوين بعد أن دمرت ثلاثةأرباع مصانعها خلال الحرب وتلفت معظم آلاتها .وفضلا عن ذلك فانها فقدت مستعمراتها التى كانت أسواقا تبيع فيها منتجاتها كما كانت فى الوقت نفسه مصدرا للمواد الخام ، فادى ذلك الى تدهور مركز اليابان التجارى ونقص انتاجها الى نصف ما كان عليه قبل الحرب ، أما صادراتها فقد انخفضت الى عشر ما كانت عليه . فوجدت الولايات المتحدة أنه مازال من المحتم عليها أن تستمر فى دفع اعانة لها تبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠٠ دولار فى العام .

هكذا بذلت الولايات المتحدة المحاولات لزيادة الانتاج معتخفيض تكاليفه وتحسين نوعه . ولكنها لم تلبث أن تبينت أن من الافضل — حتى يمكنها الوصول الى ذلك الهدف — أن ترجع عن بعض القرارات التى سبق لها اتخاذها . فحدت من نشاط نقابات العمال وحرمت الاضراب وسمحت باعادة تكوين هيئة زاباتسا . وزادت فى نفس الوقت اجراءاتها الايجابية التى اتخذتها لتطوير اقتصاد البلد بما يناسب التقدم الصناعى الحديث . ويجرى أغلب الانتاج فى اليابان على نطاق ضيق — يشبه ما كان عليه الحال فيها فى أول نهضتها الصناعية — كما أن العلاقة بين صاحب العمل وعماله هى فى الغالب كعلاقة الاسرة الواحدة . وهذا مما يؤدى الى زيادة تكاليف الانتاج فان العامل الذى تقدم به العمر يبقى فى العمل حتى بعد أن يصبح لا جدوى من وراء بقائه ، كما يدأب صاحب العمل فى البحث عن شىء يشغل به العمال اللذين كان خليقا به فصلهم فى بعض الاحيان لعدم حاجة العمل اليهم . تحاول سلطات الاحتلال فى الوقت الحالى أن تدخل نظاما آخر يتمشى مع تطور النظم العماليه الحديثة ، ولكنها لا تلقى فى ذلك نجاحا يذكر فان المشكلة عميقة الجذورمنتشرةالفروع وسيستغرق حلها سنوات عديدة .

لقد تم انتصار الشيوعية فى الصين فى عام ١٩٤٩ ثم نشبتالحرب الكورية فى عام ١٩٥٠ وبذلك أصبحت اليابان جزءا من خط الحصار الذى تحاول الولايات المتحدة اقامته فى الشرق الاقصى ، بل لقد خول

لها موضعها أن تكون حلقة هامة منه . ولذلك بدأت المرحلة الثالثة من صور العلاقة بين الولايات المتحدة باليابان عندما حاولت الاولى أن تجعل من الاخيرة حجر الزاوية فى خط دفاعها . ولكن ماتزال تحول مصاعب جدية دون تحقيق ذلك . فلقد رأينا اليابانيين قد تعهدوا بموجب الدستور الذى سطرت لهم الولايات المتحدة أصوله أن يحدوا من قواتهم الحربية الى أقل عدد يكفى للدفاع عن شواطئهم . كمانشأت بين جمهورية الشعب رغبة قوية فى الاخلاد الى السكينة تطورت أخيرا الى نمو الرغبة فى الحياد فادى ذلك الى المعارضه فى عقد تحالف مع الولايات المتحدة مما جعل الحكومة اليابانية تأبى التسليم بما تريده أمريكا . ولقد أغرت الولايات المتحدة اليابانيين فى عام ١٩٥٠ أن يتفادوا المصاعب الدستورية بأن ينشئوا قوة تسمى « بوليس احتياطى » قوامه ٧٥٠٠٠ رجل مجهزين بمدافع المورتر والبنادق سريعة الطلقات ، وببعض الدبابات والطائرات أيضا . وقد تضاعف منذ ذلك الوقت عدد هذه القوة ، كما انشئت نوايا جديدة لقوات دفاعية أخرى . ولكن ماتزال الولايات المتحدة رغمذلكتناشد اليابان أن تزيد قواتها بحجة أنالقوات الموجودة حاليا لاتفى بما تفرضه عليها معاهدة الدفاع المشترك المعقودة بينهما ، وقد تتجاوز المناشدة أحيانا الى التهديد بالضغط الاقتصادى عليها . وتتوقف المفاوضات كلعام بين الدولتين بسبب هذا الامر ثم تعودان الى استئنافها ثانية . وقد انتظرت الولايات المتحدة سنوات آملة أن يبلغها الاتحاد السوفييتى والصين موافقتها على المشروع الذى تقدمت به ، ولكنها لم تظفر بطائل . فاعتزمت فى عام ١٩٥١ توقيع معاهدة الصلح مع اليابان والتى حدد بموجبها مدى تسليح الولاياتالمتحدة لها . وقد وقعتكل هذه المعاهدة كل الدول التى اشتركت فى الحرب فى المحيط الهادى وان كان بعضها قد أبدى الاعتراضات خاصة استراليا ونيوزلندا فلقد أبديتا الخشية من خطر احياء الروح الحربية فى اليابان ، ولم يوقعا المعاهدة الا بعد أن تعهدت الولايات المتحدة بضمان سلامتهما . وهكذا تم توقيع معاهدة كتلة انزاس *Anzus* فى وقت كانت الولايات المتحدة تأبى فيه أن تعطى مزيدا من التعهدات (فى الفترة التى وقعت فيها هذه المعاهدة كان التهديد الشيوعى أشد أثرا من أى خطر يمكن صدوره عن اليابان .)

ان أهم مشكلة تواجهها اليابان في الوقت الحالى هى المشكلة الاقتصادية ، وكانت هذه المشكلة مستحكمة فيها حتى قبل قيام الحرب فى المحيط الهادى ثم بلغت الآن درجة بالغة الخطورة بعد أن فقدت امبراطوريتها · ان تعداد اليابان يناهز تسعين مليونا على حين أن الارض الصالحة للزراعة لا تتجاوز الخمس فى جزائرها الاربع وهى جميعا ضئيلة المساحة جبلية السطوح ، فعلى اليابان اذن أن تستورد من الخارج نصف ما تحتاجه من الطعام ، كما أنها تعتمد فى تصريف منتجات مصانعها على تصديرها الى سواها من البلدان · وفضلا عن ذلك فان اليابان لا تكاد تملك مواد خام على الاطلاق · (حتى مصائد الاسماك التى تمدها بجزء هام مما تحتاجه من الطعام تقع حول جزر كوريل ــ وهى محتلة بواسطة السوفييت ــ وكوريا · وما تلقاه اليابان من عداء الاتحاد السوفييتى والرئيس الكورى يؤدى الى اعاقتها عن استغلال هذه المصائد) ·

وما كانت اليابان لتستطيع البقاء خلال السنوات التى أعقبت عام ١٩٤٥ لولا معاونة الولايات المتحدة لها وما كانت تتطلبه الحرب الكورية من مشتروات خارجية · فلما آذن القتال بالانتهاء فى كوريا بدا موقف اليابان خطرا ، ولكنها ما لبثت أن استطاعت تحسين أحوالها قليلا بما مكنها من البقاء · أن منشوريا هى مورد اليابان الطبيعى الذى يمدها بما تحتاجه من المواد الخام خاصة الفحم الحجرى والحديد والمخصبات ، ولكن الولايات المتحدة لا تنظر بعين الرضا الى تبادل اليابان للتجارة مع الصين · وهى قد فرضت قائمة بالسلع المحظور توريدها لاسباب استراتيجية ، وقائمة هذه السلع الممنوع تصديرها على اليابان أطول من التى ارتضت دول الحلفاء تنفيذها · وهذه القائمة حائل يقوم دون تبادل التجارة جديا بين الصين واليابان · (أن القائمة المختصرة التى فرضتها الولايات المتحدة على باقى الدول ــ وهى أطول من قائمة أخرى مفروضة على تبادل التجارة مع الاتحاد السوفييتى ــ تعتبر عائقا أمام تجارة هذه الدول التى رفضت بالاجماع منذ عام ١٩٥٧ قيام مراقبة على تنفيذها وذلك رغم اعتراض أمريكا ، أما اليابان فانها ما زالت تنفذ القائمة المفروضة عليها حتى الآن ·

من المتاح لليابان أن تحصل على أسواق هامة لتجارتها فى جنوبى شرق آسيا نظرا لاجراءات التوسع التى اتخذت بموجب مشروع

كولمبو . ولا تستطيع اليابان أن تسهم فى ذلك المشروع بالمال ولكنها تستطيع المساهمة بخبرتها الصناعية ولذلك قبلت عضوا هاما فى ذلك المشروع عام ١٩٥٤ وسياسة اليابان فى الوقت الحالى متجهة الى توسيع مدى تجارتها فى هذه المنطقة وان كان لا بد من انقضاء بضعة أعوام حتى تبلغ هذه التجارة مداها المنشود . وتنظر اليابان حاليا نحو دول الكومنولث باهتمام . فقد حاولت عبثا خلال أعوام كثيرة أن يتاح لها الالتحاق بالجات *Gatt* (هى شبه منظمة وقعت ميثاقها ٣٥ دولة فى جنيف عام ١٩٤٧ بقصد تنظيم التعاون الاقتصادى بينها . وقد انسحبت الصين وغيرها من هذه المنظمة قبل عام ١٩٥٢ حتى تحول دون زيادة تعريفة الجمارك على بضائعها فى دول الكومنولث وأن تسعى الى انقاصها . وقد كفت دول الكومنولث أخيرا فى عام ١٩٥٥ عن معارضة دخول اليابان فسمحت لها المنظمة بأن تصبح من أعضائها . الا أنها ما تزال مصرة حتى الآن على تأجيل تمتع اليابان بامتيازات المنظمة الى أن تقدم اليابان الضمان الكافى بأن لا تلجأ الى المنافسة غير الشريفة (كاللجوء الى تقليد تصميمات الاقمشة مثلا . ولقد أوضح وزراء اليابان لاعضاء المنظمة أن ذلك التعهد غير عملى ، فليس فى امكان أى حكومة أن تنفذه) .

وقد وافقت بريطانيا فى الاعوام الاخيرة على عقد اتفاقات تجارية بينها وبين اليابان بالرغم من المعارضة العنيفة التى تبديها لانكشير . فسمحت لليابان بحصة محدودة من البضائع تصدرها الى المستعمرات والمملكة المتحدة نظير رفع القيود المفروضة على دخول البضائع الانجليزية فى اليابان . ولكن مشتريات اليابان قليلة مما يجعل العودة الى المفاوضات فى هذا الموضوع أمرا متعذرا .

وهناك عبء اقتصادى آخر تحمله اليابان على عاتقها هو مبلغ التعويضات الضخمة التى تدفعها كل عام الى الاقطار التى احتلتها فى أثناء الحرب . وهذه المبالغ أقل بكثير مما طالبت به هذه الاقطار — ولم يمكن الوصول الى اتفاق فى كل حالة من طلبات التعويض الا بعد مفاوضات طويلة — الا أن المبالغ التى تم الاتفاق على دفعها تعتبر عقابا صارما لليابان ، وهى عبء ثقيل آخر على اقتصادها .

لقد كان مسلك اليابان فى السياسة عقب انتهاء الحرب سببا فى خيبة أمل الذين رجوا قيام ديمقراطية ثابتة الاركان فيها ، الا أنه مازال ثمت أمل واسع فى تحسين الاحوال • لقد تولى مستر يوشيدا زعيم الجناح الايمن رئاسة الحكومة واستمر فيها ثمانية أعوام ٤٦ - ١٩٥٤ ولكنه لم يحافظ على رئاسته طول هذه المدة الا باللجوء الى كثير من المناورات وما كان يحدثه من تغييرات دائمة على تكوين الوزارة وسياستها • وبعد أن سقط من الحكم عام ١٩٥٤ تبين أن الكثيرين من أعضاء وزارته قد تورطوا فى فضائح مالية تتعلق بأنشاء السفن • ولقد تأكد سقوطه بعد ذلك بشهور قلائل بانتصار هاتوياما الذى خلفه فى الحكم • وقد كانت وثاقه التعاون بين يوشيدا والولايات المتحدة سببا فى معارضة اليابانيين له ، فقد عدوا ذلك منه تحالفا معها ، ولذلك فاز هاتوياما عندما تقدم الى الانتخابات واعدا أن ينتهج مسلكا أقرب الى الاستقلال من سلفه •

وقد كان محظورا على هاتوياما الاشتغال بالسياسة فى ظل الاحتلال الامريكى بسبب أعماله السابقة ، فلما تولى الحكم اختار شيجمتسا الذى سبق أن نفذ الحكم بسجنه لفترة قصيرة باعتباره من مجرمى الحرب ، وكان لذلك الاختيار دلالته الواضحة • ولقد اشترك الاحرار والديمقراطيون فى الحكومة الجديدة التى قامت معتمدة على تأييد جماعات متناحرة لا ضمان لدوام تحالفها ، وكانت هذه الجماعات تشتمل على معظم الذين أيدوا يوشيدا من قبل وأغلبهم خاضعون لسيطرة المصالح التجارية • وكان أظهر ما فعله هاتوياما فى مسلكه الاستقلال نحو الولايات المتحدة أن اعتزم اعادة العلاقات بين اليابان والاتحاد السوفييتى • ولقد ظفر بتحقيق ذلك فى عام ١٩٥٦ ولكن بعد مفاوضات طويلة مضنية تحمل فيها ما الزمته به الروسيا من شروط قاسية - لجأت الروسيا الى زيادة التدخل فى شئون الصيد اليابانية - حتى تعجل بموافقة اليابانيين - مما أدى الى اعتقاد مؤيدى الحكومة أن الثمن الذى دفعته الحكومة لمسلكها الاستقلالى كان باهظا (وقد أنتهى ذلك بهاتومايا الى موقف خطر ! فقد نال من تأييد المعارضين أكثر مما نال من تأييد المناصرين لحكومته فى البرلمان •فان معارضيه وهم اشتراكيون قد وافقوا على اقرار المعاهدة بدافع من سياستهم الحياديه التى تميل الى معاداة الامريكيين •) وقد وافق الاتحاد السوفييتى على أن يكف عن المعارضة فى انضمام اليابان الى

الامم المتحدة وان يطلق سراح سجناء الحرب اليابانيين الذين مازالوا معتقلين لديه وهم يبلغون بضعة آلاف ، كما وافق أيضا أن يعيد اليها هابوما *Haboma* وشيكوتان *Shikotan* وهما جزيرتان ثار شعور اليابانيين بقصد استعادتهما وتعهد الاتحاد السوفييتى أن يفى بذلك بمجرد التوقيع النهائى لمعاهدة الصلح ٠ ولم تتمكن اليابان من الحصول على أن تعهد من الاتحاد السوفييتى فيما يتعلق بجزيرتى كوناشيرى *Kunashiri* و وايتوفورا *Etcforu* رغم أن أمل اليابانيين في استعادتهما كان عظيما للغاية ٠ ولقد كان الشعور عاما فى اليابان بأن هاتوياما قد أنتهى الى موقف لن يمكنها من الحصول على شيء آخر بعد ذلك من الروسيا ، كما أن محاولة الضغط عليها بقصد استعادة جزيرتى كوناشيرى و وايتفورا لم تكن له نتيجه الا تأخير ابرام معاهدة الصلح وبالتالى تأخير استعادة جزيرتى هابوما و شيكوتان ٠ (لقد يئست اليابان من استعادة سخالين وجزر كوريل ـ فقد وافقت الدول المشتركة فى مؤتمر بوتسدام عام ١٩٤٥ على منح سخالين وجزر كوريل الى الروسيا نظير اشتراك الاخيرة في حرب المحيط الهادى ـ وذلك رغم أحقية اليابان التاريخية فى هذاه الجزر وكثرة أموالها المستغلة التي أبرمتها مع الولايات المتحدة عن فرموزا ومنشوريا وكوريا كما تنازلت أيضا عن جزر بونين *Bonins* و روكو *Ryukyu* × التى استبقتها الولايات المتحدة فى كنفها بوصفها موقعا استراتيجيا ، وهى ـ اسميا ـ تحت رقابة مجلس الامن فى الامم المتحدة ٠)

كان هاتوياما كهلا يقاسى من عدة أمراض حين تولى رياسة الحكومة، فلما تم الاتفاق مع الروسيا وهذه هي المهمة التى تولى الحكم من أجلها، بادر الى الاستقالة ٠ ولقد تسنم هاتوياما الحكم مدة طويله وضح خلالها أنه وان كان بامكان حكومة اليابان أن تتظاهر بعدم الخضوع للولايات المتحدة الا أنها لن تصل فى ذلك الى نتيجة مقنعة ٠ فان اليابان مازالت معتمدة على الولايات المتحدة بما يجعل من المستحيل عليها أن تعارض

× روكو سلسلة من الجزر فى الباسفيك الغربى بين كيوشو وتيران سكانها ٨٣٣ر٠٠٠ كانت من ممتلكات اليابان (ويبستر ص ١٢٧٩) ٠

سياستها فى أى أمر جدى • وقد دفعت مصالح اليابان التجارية بهاتوياما الى مفاوضة الصين الشيوعية بقصد الحصول على اتفاق تجارى على مستوى رسمى • ولقد تمكن مندوبو اليابان - وهم غير ممثلين بينهما ، وهذا أمر مغر لليابانيين ، ولكنه رفض أن تجرى المناقشات للحكومة رسميا - أن يصلوا الى الاتفاق مع ممثلى الصين ولم يكن ينقص هذا الاتفاق الا اعتماد الحكومة له • ولكن كان ذلك الاتفاق يشمل نسبة عالية من « المواد المحظورة توريدها لأسباب استراتيجية » ولذلك رفضت الحكومة اليابانية اعتماد ذلك الاتفاق • ورغم الضغط الواقع لاستعادة العلاقات السياسية بينها وبين الصين، الا أن حكومة بكين رفضت دائما أن تناقش موضوع اعادة اسرى الحرب اليابانيين لديها الا اذا كفت اليابان عن الاعتراف بالكومنتانج ، ولذلك لم تتعد المناقشات مجرد استطلاع آراء أولى لم يزد عن ذلك •

بعد أن استقال هاتاياما خلفه فى الحكم ايشيباشى *Ishibashi* الذى لم يلبث أن سقط مريضا ، فحل مكانه نوباسوكى كيشى *Kishi* وكانت صلة كيشى وثيقة بالسياسة اليابانية قبل الحرب وخلالها وقد سجنه الامريكيون ثلاثه أعوام وان كانوا لم يوجهوا اليه التهمة بأنه من مجرمى الحرب • وهو معروف بأنه طموح مجترىء يحسن التآمر ، وان كل همه منحصر فى الحصول على السلطان دون نظر الى مبادىء سياسية •

ولقد وضح أخيرا أن كيشى يفضل توثيق علاقته بالولايات المتحدة باعتبار ذلك أجدى من محاولة الحصول على المزيد من الاستقلال فى سياسة اليابان • فبدلا من السعى لتوسيع نطاق التجارة بينه وبين الصين آثر أن يعمل للحصول على معاونة الولايات المتحدة الاقتصادى لدعم الصناعة اليابانية حتى يمكن توزيعها على مستوى مرتفع فى أقطار شرقى آسيا • وليرضى شعور الشعب اليابانى فانه مضى يجهر بتأنيب الولايات المتحدة من فترة الى أخرى ناعيا عليها تصرفاتها الطائشة حيال اليابان ناقدا اياها على ضيق أفقها • ويبدو أن شعور الشعب اليابانى بدأ يقترب نحو الاشتراكية - وذلك يعنى أن تتحرر اليابان من تبعيتها للولايات المتحدة التى تربطها بالمعسكر الغربى

فى حربه الباردة ، وان تقيم علاقات صداقه مع جيرانها من الدول الشيوعية ـ الا أن ذلك الاتجاه نحو الاشتراكية لم يكن قويا بما فيه الكفاية للتأثير فى نتائج انتخابات عام ١٩٥٨ فقد عاد كيشى الى الحكم بموجب هذه الانتخابات ولم تنقص أغلبيته الا قليلا • ولكن لم يعد باستطاعته أن يحصل على أغلبية الثلثين التى لم يكن ينقصه لينالها فى المرة السابقة الا أصوات قليلة حتى يتمكن من تعديل الدستور •

وللنتيجة الاخيرة أهميه بالغة • فقد كانت الاحاديث تدور فى دوائر المحافظين بأن فى الديمقراطية السريعة التى أخذت بها اليابان انتهاكا لتقاليدها الوطنية ، وان ما تحتاجه حقا انما هى « قيادة أكثر حزما » • لقد استطاعت الحكومات التى وليت حكم اليابان وكلها يمينية النزعة ، أن تعدل فى السنوات الاخيرة رغم المعارضة القوية التى أبداها خصومها الاشتراكيون ـ كثيرا من التنظيمات التى أدخلها الاحتلال بقصد وقاية الديمقراطيه • فقد استعادت الاشراف على البوليس بعد أن كان قد طبق عليه نظام اللامركزيه ، ثما استعادت الاشراف أيضا على التعليم • وتبدو مثل هذه التغييرات غير ضارة الا أن اليابانيين يرون فيها نذير شر •

أن اليابان تستيقظ ثانية ولكن فى بطء كما لو كانت تصحو من حلم ، لتستعيد شخصيتها • وأنه لمن الاهمية بمكان عظيم لباقى العالم وخاصة اقطار المحيط الهادى أن تعرف نوع هذه الشخصية التى ستتخذها اليابان • أما فى الوقت الراهن ، فان من الاشياء التى لا تبشر بخير أن المؤمنين بالحياد والدعوة الى التهدئة هم المعقود عليهم الرجاء فى أن يكونوا حفاظا على بذرة الديمقراطية الحرة التى لم تزرع فى أرض اليابان الا حديثا •

* * *

كوريا

كوريا قطر آخر من جيران الصين الشيوعية وقد اشتد اهتمامها بها فى السنوات التى اعقبت انتهاء الحرب • ويرجع اهتمام الدول

الكبيرة بذلك القطر الصغير الى أهمية موقعه الاستراتيجى فهو شبه جزيرة تمتد من القارة الاسيوية فى اتجاه اليابان فهى مركز لهجوم يمكن توجيهه فى أى الجبهتين سواء ضد الصين أو من الصين ضد اليابان ٠

أخذت كوريا من اليابان فى أعقاب الحرب العالمية واحتلت احتلالا مشتركا بواسطة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وقد قسمت بينهما الى منطقتين يفصل بينهما خط العرض ٣٨ . وقد كان من المعتزم اقامة جمهورية مستقلة فيها ٠ ولكن سرعان ما تبينت قوات الاحتلال ـ كالشأن فى ألمانيا ـ أن اتفاقهما على طريقة اعادة تكوين هذه الدولة أمر مستحيل ٠ وهكذا صار التقسيم أمرا دائما ٠ فانشئت جمهورية ديمقراطية فى الجنوب واخرى شيوعية فى الشمال ٠ وقد أوفدت الامم المتحدة بعثة من لدنها للاشراف على حرية الانتخابات فى كوريا عام ١٩٤٨ فمنعتها كوريا الشمالية من الدخول الى أرضها ٠ ونتيجة لذلك ـ لم تعقد الانتخابات الا فى النصف الجنوبى فحسب حيث تم انتخاب سينجمان رى رئيسا للجمهورية ٠

لم يكن معقولا أن يستمر ذلك الحال على ماهو عليه فان جنوب كوريا وهو يشمل ثلاثة أرباع مجموع السكان أرض زراعية فى عمومها ، أما شمال كوريا فاقليم صناعى ، ولذلك كانت الحاجة ماسة الى توحيد هذين الاقليمين الذين يكمل كلاهما الآخر ٠ ثم انسحبت القوات المحتله من كوريا جميعها فى عام ١٩٤٩ ولم تلبث الحرب أن نشبت فى يونيو عام ١٩٥٠ ولقد اختلفت الاقوال فيمن بدأ الهجوم ولكن تقوم الشواهد على أن شمال كوريا هو المعتدى وهذا ما انتهت اليه بعثة هيئة الامم المتحدة التى أوفدتها لتحقيق ذلك الامر ٠ بل أنه من المحتمل أن الاتحاد السوفييتى هو الذى أوعز لكوريا الشمالية بالهجوم على جاراتها وان لم يقم دليل قاطع على ذلك بالطبع ٠ فليس بمستبعد أن روسيا اعتقدت عن خطأ أن انسحاب قوات الاحتلال بواسطة هيئة الامم انما يعنى عدم نظر هذه الهيئة بعين الاهتمام الى كوريا بوصفها قطرا ذا أهمية شديدة ، أو ربما تكون قد أملت أن تسبق الى احراز النصر بضربة سريعة توجهها قبل أن يتاح الوقت الكافى لتدخل الامم المتحدة ٠

وقد واجه الرئيس ترومان الموقف بسرعة على أى حال، فأرسل فى الحال قوة أمريكية من اليابان ثم طلب من هيئة الامم أن تقر هذا الفعل منه · (رغم سرعة تدخل الولايات المتحدة فانه كاد يتم اجتياح جنوبى كوريا بأكمله ولم يمكن استنقاذه الا بعد مصاعب جمة ·) ولما كان الاتحاد السوفييتى مقاطعا لمجلس الامن فى ذلك الوقت أحتجاجا منه على رفض قبول الصين الشيوعية فى هيئة الامم ، لذلك لم يستطع استعمال حق الفيتو · فتمت الموافقه على الخطوة التى اتخذها ترومان، كذلك تم الاعتراف بالاجراءات المضادة التى اتخذت ضد قوات الشيوعيين : ولئن تكن الولايات المتحدة هى التى قامت بادىء ذى بدء بالقتال بمساعدة من فرق صغيرة تمثل الكومنولث وتركيا وبعض دول أخرى قليلة الا أنه تم الاعتراف بأن هذا التصرف صادر من هيئة الامم نفسها ·

منح الجنرال مكارثر سلطة القيادة العليا · وأمكن بعد قتال عنيف طويل رد قوات الشيوعيين الى خط عرض ٣٨ فنشأ بعد ذلك سؤال : هل ستتوقت قوات هيئة الامم عند ذلك الحد الذى بلغته أم أنها ستمضى فى الحرب الى داخل كوريا الشمالية ؟ وارسلت حكومة بكين الى الامم المتحدة بواسطة الهند تحذر من استمرار التقدم فى كوريا وتنذر بانها سوف تتدخل فى الامر بنفسها · وقد استمر مكارثر فى حرب عبر خط ٣٨ وسرعان ما تدفقت قوات كثيفة من « المتطوعين » الصينيين الى أرض المعركة · وكانوا فى مبدأ الامر أشد قوة من جيش الامم المتحدة الذى أخذ يتقهقر حتى كاد يتم خروجه من شبه الجزيرة · ولكن ما لبث أن تمكن من دفع المد الشيوعى الى الخلف ثانية حتى استقر الموقف فى منطقة خط العرض ٣٨ .

هل يعتبر تدخل الصينيين اعتداء ؟ أن الاجابة عن هذا السؤال مستحيلة ، ولكن من الطبيعى بالتأكيد أن يدب الذعر فى قلب حكومة بكين وهى ترى عدوا قويا أعنى الولايات المتحدة قد أقام جيوشه على حدودها · ومن العسير أن نتصور دولة قوية تواجه مثل هذا الموقف ثم لا تقدم على اجراءات تواجه بها ما حدث ·

ثم عقدت الهدنة أخيرا ، وتدور المناقشات منذ ذلك الوقت سعيا الى قيام صلح دائم ، ولكن هذه المناقشات لا تتقدم كثيرا · فالغرب

مستمر فى اصراره على وجوب توحيد كوريا وعقد انتخابات حرة تدور على هذا الاساس تشترك فيها كوريا كلها تحت اشراف دولى ، على حين يرفض الشيوعيون منذ أعوام ذلك الاشراف وان كانوا قد وافقوا — فى مؤتمر جنيف الذى عقد فى مايو عام ١٩٥٤ لانهاء الحرب فى الهند الصينية — على ذلك الاشراف كجزء من سياستهم التى اتخذوها فى تلك الفترة مبدين فيها مسلكا أرادوا به مصالحة الغرب حول مواضيع الخلاف المشتجرة بين الفريقين • ولكنهم اشترطوا أن تقوم بذلك الاشراف لجنة دولية يقبلونها أى أن لا تكون من هيئة الامم المتحدة فان هذه الهيئة كانت أحد طرفى القتال (تنكر روسيا دائما بالطبع على هيئة الامم تدخلها باعتبار ذلك التدخل أمرا لا يتفق مع ميثاقها مادامت هى (أى الروسيا) لم توافق على قرار مجلس الامن بالتدخل •) كما اشترطت أيضا أن يسبق هذه الانتخابات جلاء كافة القوات الاجنبية عن شبه الجزيرة • ولم يقبل الغرب على أى حال هذه الاشتراطات • فان فى استطاعة قوات الشيوعيين أن تدخل كوريا فى ظرف ساعات قليلة عبر حدود الصين ، على حين يستغرق اعادة جيوش أمريكا وقتا طويلا اذا ما قامت اضطرابات • خاصة أنه لم يعد لها قوات احتلال يتيسر ارسالها من اليابان وقت الحاجة • كما أنه من الميسور دائما لمندوبى الشيوعيين أن يعرقلوا عمل اللجنه الدولية •

ظلت كوريا مقسمة ، وليس يبدو ثمت أمل قريب فى ايجاد حل لهذا الوضع القائم • وقد ظلت الولايات المتحدة تسحب جيوشها من كوريا حتى لم يعد لها فيها الا عدد قليل للغاية ولكن جيوش جمهورية جنوب كوريا حسنة الاستعداد • ولا يفتأ سيجمان رى يلقى بالخطب مهددا فيها شمال كوريا بهجوم قريب • والوضع فى تلك الانحاء خطير فى عدم استقراره الذى ازداد حدة منذ انسحبت الولايات المتحدة • ويبدو أن الشيوعيين يخشون أن يؤدى هجومهم على كوريا الجنوبية الى فقدانهم حسن السمعة بين الدول غير المنحازة الى أحد المعسكرين، كما أنهم مقتنعون بأن كوريا الشمالية حاجز كاف بينهم وبين الغرب ، وفضلا عن ذلك فانهم لا يرون أن السيطرة على كوريا الجنوبية تستأهل المخاطرة بمعاودة الهجوم عليها ، وقد أدت هذه الاسباب الى بقاء الشيوعيين بمكانهم فلم يتقدموا بالهجوم على كوريا الجنوبية •

لقد ظل الاعضاء غير الشيوعيين فى لجنة الهدنه الدوليسة يوالون الشكوى الى هيئة الامم المتحدة بدعوة أن حكومة شمال كوريا ترفض تقديم التسهيلات اللازمة لقيامهم بالاشراف المكلفين به الى أن تم حلها عام ١٩٥٦ وقد عمدت الولايات المتحدة أخيرا الى ارسال أحدث وسائل الحرب الى جمهوريه جنوبى كوريا وذلك ردا على ما قامت به شمـال كوريا من تجديد استعداداتها الحربية (وذلك تحدى منهـا لشروط الهدنة) وفضلا عن ذلك فقد كان ارسال تلك الاسلحة الحـديثة الى جنوب كوريا أمرا استلزمه ما تم أخيرا من انسحاب جيوش الولايات المتحدة من اليابان ٠

* * *

الفصل الثانى «١٢»

تقسيم أسفل القارة
الهند ـ الباكستان ـ سيلان

الهند ثانية دول الشرق الاقصى فى الاهميه بعد الصين مباشرة ، وهى مثلها أمة حديثة لم تبرز فى المحيط الدولى الا بعد الحرب الاخيرة . والواقع أن نشأة القومية الهندية أهم الاسباب التى أثارت طموح المستعمرات مما غير صورة النضال الوطنى فيها ، فبعد أن كانت تقوم به جماعات من الحالمين لم تثبت لهم جذور تحول ذلك النضال فاصبح قوة سياسية لا سبيل الى مقاومتها . وللهند أهمية كبرى الآن فى العالم الحديث ويرجع ذلك الى أسباب منها كثافة سكانها . فهى وان تكن متأخرة اقتصاديا ـ رغم التقدم الذى أحرزته بسبب قيام الحكم الانجليزى فيها على معظم الدول الآسيوية الاخرى ـ الا أن تعداد سكانها الذى يناهز ٣٧٠ مليون نسمة يتيح لها أن تكون من الدول الكبرى حقا . كما أن لها مركز القيادة بين كتلة ضخمة من الدول الحديثة هى كتلة الدول الافروسية الآخذة بسياسة الحياد ، ولهـذه الكتلة أصوات عديدة فى هيئه الامم المتحدة مما يجعل لها أهمية بالغة فى الصراع القائم حاليا بين الشيوعية والغرب فان مسلك هذه الدول المحايدة هو الذى سيحدد أى الكتلتين سوف تسود العالم . ولما كانت هذه الدول تتبع قيادة الهند ، لذلك نجد الهند فى مركز يتيح لها أن تحرك بيدها ميزان العالم .

ولذلك فان أخذ الهند بسياسة الحياد أمر عظيم الاهمية بالنسبة للعالم جميعا . ولكن ماهى العناصر التى كونت سياسه الحياد لدى الهند ؟ وهل ينتظر أن تظل آخذة بها لا تتحول عنها ؟

يرد البعض سياسة الحياد التي تأخذ بها الهند الى رغبتها العميقة فى السلام • ولاشك أن الرغبة فى السلام عنصر هام بين دوافع الحكومة الهندية نظرا لمشاريع العمران التى تقوم بتنفيذها والتى ستوقف لو نشبت حرب عالمية • وربما كان خوف الهند من الحرب أكبر مما يعتقد الغربيون ، ولكنه ليس بالسبب الحاسم فان قيام حرب عالمية أمر بغيض لدى كل الدول فى الوقت الراهن • ولذلك تبدو رغبتها فى السلام غير كافية فى حد ذاتها لتفسير الاخذ بسياسة الحياد • ومن الامور المسلم بها أيضا أن أغلب الهنود ـ شأن معظم الشعوب الاسيوية ـ قد سيطرت عليهم مشكلة «الاستعمار» ، ولذلك يميلون الى اعتبار الصراع الحالى بين الشيوعية والغرب أمرا لا يعنيهم • ولكن هذه بالتأكيد ليست وجهة نظر نهرو ـ ونهرو هو الهند نفسها الى حد كبير فيما يتعلق بالشؤن العالمية •

والواقع أن نهرو ينكر وصف سياسة الهند بالحياد اذا كان الحياد يعني انسحابها من شئون العالم • فان الصراع بين كتل العالم أمر ذو أهمية بالنسبة للهند وهى لم تختط سياستها الا على هذا الاساس، ولن تكف عن محاولاتها فى أن يكون لها دور ايجابى فى سياسة العالم • ولما كان نهرو ثابت الاعتقاد فى عدم صلاحية الشيوعية كنظام للحكم لذلك نجد صلته منقطعة بالحزب الشيوعى فى الهند ، كما تخالجه الخشية مثل الغرب من توسع الشيوعية • ولكنه يعتقد أيضا أن الاعتداء الشيوعي أمر يقوم فى أغلبه على مجرد المخاوف والاوهام ولذلك فان من الخطأ أن نحاول مقاومته بالاحلاف العسكرية، فهذا مما يزيد من المخاوف ويهيء لاعتداء أبعد مدى • ولذلك فانه يحث الغرب أن يعمد ـ بدلا من الاحلاف العسكرية ـ الى محاولة ازالة شكوك الشيوعيين بتجنب الاحلاف العسكرية وان يشرك الحكومات الشيوعية فى مباحثاته قدر المستطاع ، فانه بذلك المسلك المعقول العادل سيصبح مثالا تضطر الشيوعية الى النسج على منواله فى علاقتها بالغرب • ويعمد نهرو من جانبه الى الاكثار من مباحثاته مع الشيوعيين فان ذلك مما يزيد توطيد السلام •

والقاعدة التى خلل نهرو بموجبها دوافع الشيوعية هى قاعدة سليمة ولكن من المتعذر الضرب صفحا عن وجهة النظر الاخرى أو أن نتجاهلها • فان معظم قادة الغرب وان كانوا يسلمون بأن ما يتخذه

الغرب من اجراءات عسكريه لمواجهة الشيوعية انما يزيد مخاوفها الامر الذى يتسبب فى قيـام خطر حقيقى لا منـاص منه ، الا أنهم مؤمنون بأن الخطر الذى يتعرضون له يصبح أشد لو أن الغرب تهاون فى اتخاذ هذه الاجراءات الوقائية • ويؤكد ذلك ما عاناه الغرب من سلوك الروسيا فكلما مال الى سياسه المصالحة ازاءها أقبلت هى على الاستفادة من ثمرات هذه السياسة دون أن تقدم شيئا فى مقابل ذلك • والواقع أن شكوك الشيوعية أمر لا يمكن ازالته فانها قائمة على أساس من مذهب المادية الواقعية المسيطرة عليها ، وستظل هذه الشكوك أحد الحقائق التى لا يمكن تغييرها فى وضع العـالم • ولذلك تبدو نتيجة التحليل الذى انتهى اليه نهرو غير واقعية ، ولكن اعتقاده قائم على أساس من الحكم والرأى ولذلك لا يمكنه نقضه •

لكن لم يصدر حياد عن مجرد تفكير قد حدد نهرو أغلب مراميه • فليس نهرو هو الوحيد بين الهنود الذى يستنكر اللجوء الى استعمال القوة فذلك أمر من تقاليد الهند له جذور ممتدة فى كثير من أديانها — (يستـطيع المتشكك أن يشـير الى أن الهنـد لم تتعرض فى أطوار تاريخها الى كثير من أعمال العنف ، ولكن هذا أمر لا يتعلق بحديثنا الآن •) وقد بدا ذلك واضحا مرات كثيرة خلال أعمال حزب المؤتمر الهندى وفى حملات « المقاومة السلبية » التى ابتدعها غاندى ، ولقد تناقص تأثير غاندى ولكنه مـازال قويا فى داخل حـزب المؤتمر • (ليس نهرو الا واحدا من قادة حزب المؤتمر العديدين ممن تشبعوا بالثقافة الانجليزية فى أواخر العصر الفكتورى مما قلل من أثر التقاليد الهندية على أنفسهم •)

ولما كان حياد الهند يعتمد فى أغلب أسـاسه على نظرة متفائلة بما يرجى من كسب ثقة الشيوعيين ، لذلك يبدو هذا الحياد معرضا للتغيير اذا قبلت الاوضاع العالمية وعلى الاخص اذا تعرضت حـدود الهند المباشر الى خطر • فاذا صارت رغبـة الصين أو الروسيـا فى التوسع أكثر وضوحا فى آسيا فمن المحتمل أن يؤدى ذلك الى تقارب الهند بين ليلة وضحاها حتى الى جانب الغرب • وان ايمان الشيوعية بهذا الرأى لهو عنصر أساس اليوم فى سياسة العالم •

* * *

ويبدو غريبا عند النظرة الاولى الى الباكستان ، وهى تشارك الهند كثيرا من تاريخها وما لا بسه كما تتشابه أيضا مشاكل العمران فيهما ، أن تختلف السياسه الخارجية بين الدولتين اختلافا بينا ٠ فالهند تتخذ الحياد مبدأ لها ، أما الباكستان فهى على عكس ذلك منضوية الى الغرب ٠ ويرجع مصدر ذلك الى الظروف التى لابست التقسيم والى النتائج التى أسفر عنها ٠ فلقد جعل ذلك التقسيم من الباكستان أضعف الدولتين المتجاورتين ، والهند غاضبة من جراء هذه المصاعب التى فرضت عليها من جراء ذلك التقسيم كما أنها تحتقر الباكستان بوصفها كائنا خلقته السياسة وليس يمكنها أن تتحمل بقاءه ٠ ولذلك تعيش الباكستان في خوف دائم من الهند وهذا ما دفع بها الى الاتجاه نحو الغرب — ليس طلبا للحماية ضد الشيوعية بل ضد الهند ٠ ولابد من فهم السياستين ٠٠ وخاصة وجهة نظر الهند — لادراك حقيقة ما بين الدولتين من خلاف — كاد هذا الخلاف يحطم سياسة البلدين كلتيهما ازاء العالم الخارجي ٠ ومشكلة كشمير هى أحد مواضيع الخلاف ٠ وهى مشكلة شديدة التعقيد ولا بد من بحثها فى تفصيل ، ولكن من الافضل أن نعود بانظارنا الى الظروف التى تم فيها التقسيم ٠

* * *

التقسيم

اعتقدت بريطانيا دائما أن تقسيم أسفل القارة خطأ جسيم ، وبذلت كل ما تستطيع من جهد لتفادى ذلك ٠ وقد تابع مندوبو بريطانيا مناشدة حزب المؤتمر والرابطة الاسلامية فى السنوات الاخيرة من حكم البريطانيين للهند أن يتم الاتفاق على اقامة نظام فدرالى يستطيع الهندوس والمسلمون أن يعيشوا بموجبه تحت لواء دولة واحدة ، وظلت هذه المحاولات التى استغرقت مدى طويلا السبب الوحيد في تأخير حصول الهند على استقلالها ٠ ولم تجد هذه المحاولات شيء ٠ وأخيرا وضح أنه لم يعد من الممكن بلوغ اتفاق بين الهندوس والمسلمين فاعدت لبريطانيا مشروع التقسيم وأقامت بموجبه حدود كلتى الدولتين المتجاورتين فى عام ١٩٤٧ ثم تركتهما لتحكم كل دولة نفسها بنفسها ٠

كان من المعروف أنه لابد أن تنشأ اضطرابات بسبب التقسيم ، ولكن ما قام من قلاقل وكفاح عام فان كل ما كان متوقعا • فقد قدر عدد القتلى بـ ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة وهذه تضحية فاقت كل ما تحملته دول الكمنولث من خسائر فى الارواح خلال الحرب العالمية الاخيرة • ولكن لم يكن ذلك كله الا مجرد بداية لما نشأ من اضطرابات عقب تقسيم الهند البريطانيه •

من المسؤل عن ذلك التقسيم ؟ لقد بذلت بريطانيا غايه وسعها لتحول دونه ، الا أنها طالما لحقها الاتهام بأنها تعمدت تعهد بذور الشقاق بين الهنود كجزء من سياسة « فرق تسد » • وربما صدق طرف من هذا الاتهام منذ مئة عام فقد كان فى قيام الانقسام فى تلك الاثناء فائدة لبريطانيا وان كانت لم تعتمد البتة أن تكون هذه سياستها • وهناك عنصر فى سياسة بريطانيا كان أشد اهمية هو تشجيعها طموح الهنود على بلوغ الاستقلال منذ أدخلت قوانين الاصلاح عقب قيام الهنود بالعصيان • فلقد رعت بريطانيا كأنها أم حانية شعور الوطنية لدى الهنود ، ولكن ظروفا لم تكن هى المسئولة عنها قد أدت الى قيام وطنين بدلا من وطن واحد • لقد كان انقسام الهند أمرا كامنا قادت السياسة البريطانية الى ظهوره • وربما كانت بريطانيا قادرة — لوأنها اتخذت اجراءات أكثر حزما — أن ترغم شعوب الهند على التوحيد معا ، ولكن ذلك يناقص الخطه العامة للسياسة التى أخذ بها البريطانيون فى أن يتركوا الهنود بقدر الامكان يحلون مشاكلهم بأنفسهم •

أن الشعور الوطنى لدى المسلمين فى الهند ، لم يظهر ثم يصبحقوة سياسية الا بعد أن خلقه جناح من العدم• ولو وافق قادة حزبالمؤتمر على المطالب المعتدلة التى تقدم بها جناح فى بادىء الامر بقصد أنيكفل للمسلمين كيانهم ، اذن لكان من المحتمل أن تتجنب الهند ذلك الانقسام الخطير • فان جناح لم ينشىء حزب الرابطة الاسلامية الا بعد أن رفض حزب المؤتمر هذه المطالب ، ثم دعمه بحيث لم يعد من التقسيم محيض • ولكن على المرء أن يوافق اجمالا على قول حزب المؤتمر أن من الخطأ اقامة دولة حديثة على أساس من العقيدة الدينية — بل يجب أن تكون الدولة بمنأى عن ذلك فتعامل كافة المعتقدات بتسامح وتربط بين أبناء شعبها فى وحدة لا دخل للمعتقدات الدينية

فيها ــ ولذلك فان ما طالب به المسلمون انما هو أمر سيء النتائج ، ولكن لم يكن من الحكمة تجاهل مسلك المسلمين المضاد هذا • وقد رأى حزب المؤتمر أخيرا أن يمنح المسلمين بعض الامتيازات ، ولكنه لم يصل الى هذا الرأى الا بعد فوات الاوان وبعد أن زاد جناح من مطالبه حتى جاوزت المدى يستطيع حزب المؤتمر قبوله •

تقوم المشكلة على أساس من اعتقادين متناقضين لفكرة الدولة ولذلك يشتد تعقدها بحيث لا يستطيع أن يجد لها حلا الا شخص بعيد مدى النظر لدرجة غير مألوفة • ولذلك لا نعجب اذا هي ظلت بغير حل • وقد أدى التقسيم الى أضرار بالغه نزلت بأسفل القارة جميعا • فالباكستان الآن دولة ضعيفة النفوذ اليها ورغم ذلك فان عليها معظم عبء الدفاع عن جبهات الشمال والشمال الغربى والشمال الشرقى • ولا سبيل الى اقامة الدفاع عن هذه المناطق الا بقيام تعاون وثيق بين جيشى الدولتين ، وهما لا ترحبان بذلك • أما الأثر الاقتصادى للتقسيم فيتضح فى عدم الاستفادة من الموارد الطبيعية فى وقت تكافح فيه الدولتان غاية وسعها لتنفيذ ماتحتاجان اليه من مشاريع العمران. وفضلا عن ذلك فقد أثار هذا التقسيم لهما مشاغل تتعلق بالسياسة والدبلوماسية •

* * *

الباكستان بعد التقسيم

قامت دولة الباكستان فى عام ١٩٤٧ فما الذى حدث فيها منذ ذلك التاريخ مما يؤيد اعتقاد الهند بأنها أى الباكستان كيان مصطنع لا يحتمل بقاؤه ــ كائن سياسى لن يكون قادرا أبدا على اقامة حكومة فعاله تستند الى نظام ديمقراطى ؟ ومن المؤسف أن معظم ما يشاهد فى الباكستان انما قالته عنها الهند • فلقد فشلت بصورة محزنه فى مواءمة أمر نفسها • فما تزال ثمت أزمات متتالية فى الحكومه وفى الولايات ، وقد توقف في مرات عديدة قيام حكومة ديمقراطية • وليس من دليل على عدم فاعلية الباكستان من استغراقها ثمانية أعوام لتخطيط دستورها •

بدأت الباكستان تاريخها بمواجهة مشاكل عدة · فهي منقسمة الى نصفين ـ باكستان الشرقية وباكستان الغربيه ـ يفصل بينهما ألف ميل ، ويشتملان على مزيج من أقوام ذوى لغات مختلفه كالبنغاليين والسيخ وسكان البنجاب وأهل الحدود من الباثان وسواهم ، والدولة غير متسقة ولا متوازنة ؛ فالباكستان الشرقية ضيقة المساحة فهي تكون ولاية واحدة الا أنها تحوى من السكان عددا يفوق سكان الباكستان الغربية التي كانت تنقسم حتى وقت قريب الى خمس ولايات وهذا هو تقسيمها الطبيعي · ولقد أدى ذلك الى حدوث تشريعات في الدستور تتيح فرصة واسعة لقيام المؤامرات في الدوائر المركزية · وفضلا عن ذلك فان حزب الرابطة الاسلامية كان قويا للغاية في المناطق التي لا تحوى الا أقلية من المسلمين ، ولذلك فان معظم رجال السياسة في ذلك الحزب لاجئون لم تمتد لهم جذور في الاقاليم التي يمثلونها · فنتج عن ذلك أن صارت كراتشى (فى الباكستان الغربية) تقوم في أغلبها على منازعات لا طائل تحتها بين شيع من النهازين داخل صفوف حزب الرابطة الذى ظل زمنا طويلا الحزب السياسى الوحيد في الباكستان · فكثرت المهاترات وخاصة في الباكستان الشرقية التي كانت بحاجة ماسة الى الاهتمام بهانظرا لما انزله التقسيم بصناعة الجوت فيها ، ولما شعرت به بحق من عدم العناية بشئونها · (أن شرق البنغال الذى أصبح بعد ذلك الباكستان الشرقية هو أهم مناطق زراعة الجوت ، على حين تقوم مصانع الجوت في غرب البنغال الذى يتبع الهند) وقد عجزت الحكومات المحلية واحدة أثر أخرى عن نشر سلطانها على أمور الولاية الداخليه الى درجة دعت الحكومة المركزية الى التدخل · ومن حسن حظ الباكستان أن اقتصادها يقوم على أساس من الاكتفاء الذاتى . وهذا هو الامل الوحيد الذى سيفضى الى انقاذها ، ولكن الباكستان فى حاجة ماسة الى التوسع في أغراض العمران ·

وقد عانت الباكستان في السنوات الاولى من انشائها أيضا فقدان زعيميها البارزين · فقد توفى جناح عقب التقسيم مباشرة كما أغتيل في أعقابه مساعده القدير لياقت على خان فاصابت هاتان الضربتان المؤلمتان هذه الدولة الحديثة في الصميم · ولم ينقذ الباكستان الا ظهور « رجلين قويين » هما غلام محمد والميجور جنرال اسكندر مرزا

وكلاهما موظف تدرب على أيدى الانجليز (!!) وقد تميزا بين سواهما من الاكفاء وغير الاكفاء ، فلم يترددا فى التدخل حينما استدعت الحاجة ذلك ٠

وقد سار الحكم فى الباكستان من عام ١٩٤٧ الى ١٩٥٦ بواسطة جمعية تأسيسية أنشئت فى الأصل لتشرع للدولة دستورا يقوم على قواعد الاسلام ٠ وقد تولى ناظم الدين منصب رئيس الوزارة بعد اغتيال على خان وهو وديع الطبع راغب فى الاصلاح ولكنه لم يكن على كفاية ٠ فاستبعده الحاكم العام وأحل مكانه محمد على الذى كان سفيرا للباكستان فى واشنجطون ٠ ولقد نظرت الباكستان بوصفها أضعف الدولتين فى الهند الى بريطانيا التى كان لها فضل تكوينها آملة أن تساعدها فى خلافاتها المتعددة ضد الهند ٠ ولكن بريطانيا صفت كل ما تستطيع فعله أمام الهنود كافة لتعلنهم بأنهم أحرارا تماما فى أن يتبعوا أى طريق شاءوا ، والتزمت دائما فى سياستها عدم الانحياز الى أحد من الفريقين ٠ ولقد وقفت الولايات المتحدة ازاء سياسة الحياد التى أخذت بها الهند موقف المعارضة الشديدة فى ذلك الوقت ولم تتردد فى ابداء عدم موافقتها عليها ، وبذلك اتجهت الباكستان نحو الولايات المتحدة واشتد تقاربها منها ٠ وقد كان محمد على من أهم الداعين الى هذه السياسة التى كان أوضح معالمها قبول الباكستان لمساعدة الولايات المتحدة ٠ العسكرية والتى كان محمد على هو المتحدث باسم الباكستان خلال المفاوضات التى أدت اليها ٠ وقد تعهدت الباكستان نظير ذلك أن تؤيد الولايات المتحدة دبلوماسيا، وان لم تذهب الى مدى منحها قواعد داخل البلاد ٠

وقد تبين بعد ذلك غلام محمد الحاكم العام أن الجمعية التأسيسية القائمة بوضع الدستور لم تتقدم فى عملها فتدخل مرة أخرى فأقال الحكومة وحل الجمعية التأسيسية ثم أعاد تكوينها على أساس جديد ، ولكنه احتفظ بمحمد على رئيسا للوزراء ٠ وقد توحدت فى الوقت نفسه الباكستان الغربية فى ولاية واحدة ، وبذلك تم التخلص من سبب رئيسى فى أسباب الخلاف حول الدستور ٠ (ان كثرة تدخل الحاكم العام قد أدى الى احتذائه نظام العرش الدستورى فى انجلترة وأفضى ذلك الى وقوع متناقضات قانونية عجيبة !) ثم تم اعداد الدستور وتمت الموافقة عليه ، وقد اتخذ المشرعون له النظام الجمهورى

أساسا للدولة • وبدأ العمل به فى ٢٣ مارس سنه ١٩٥٦ ـ وقد تولى ميرزا منصب الحاكم العام بدلامن غلام محمد قبل العمل بالدستور بممارسة اشرافه • وقد تم تغيير رئيس الحكومة خمس مرات خلال بشهور قلائل ، وبذلك صار أول رئيس للجمهورية واستمر فى العامين اللذين اعقبا قيام الجمهورية • وكان أهم ماحدث من تطورات فى هذه الفترة أن انتهى تفرد حزب الرابطة الاسلامية فى الميدان السياسى فقد ظهرت احزاب يسارية النزعة ما لبثت أن انتشر أمرها• واستمر فى نفس الوقت قيام الازمات فى الولايات مما أدى الى تكرار تدخل ميرزا . ولقد أدت حادثة من حوادث العنف التى وقعت الى مصرع نائب المتحدث الرسمى فى جمعية الباكستان الشرقية •

ثم تدخل ميرزا فى ٧ أكتوبر عام ١٩٥٨ تدخلا حاسما فاوقف العمل بالدستور وأقال الوزراء معلنا الحكم العسكرى• ويتفق المطلعون على الاحوال على القول بأن الفوضى والفساد وعدم الكفاية التى عانت منها البلاد فى ظل النظام البرلمانى كانت مبررا كافيا للخطوة التى اتخذها ميرزا • ويقال أن الجيش هو الذى طالب ميرزا أن يتخذ هذا الاجراء • ولم يلبث ميرزا أن نحى بدوره بعد ثلاثة أسابيع بواسطة رئيس هيئة أركان الحرب الجنرال أيوب خان الذى تسلم منه مقاليد السلطان • وبذلك وقع قطر آخر من أقطار المسلمين تحت حكم دكتاتورية الجيش •

* * *

باختونستان

هذه أحدى ماورثته الباكستان عن بريطانيا من مشاكل • وقد استحكمت هذه المشكلة بسبب اشتراك الولايات المتحدة فيها لوقوع هذه المنطقة فى شمال غرب الباكستان • لقد طالبت الباكستان بتبعية رجال القبائل فى هذه المنطقة لها ، وكانت هذه المنطقه مجالا دائما للنزاع بين بريطانيا وأفغانستان الى أن اتفقت الدولتان على خط دوراند « *Durand Line* » كحد فاصل بين افغانستان والهند فى عام ١٨٩٢ وأن يحل ذلك دون معافاة بريطانيا مما كان يثيره

الباثان من قلاقل واضطرابات حتى آخر أيام حكم البريطانيين ٠ ولقد عمدت أفغانستان أخيرا الى انكار خط دوراند كحد يفصل بينها وبين الباكستان ٠ وهى تؤيد فى الوقت الراهن تكوين دولة جديدة فى هذه المنطقة تارة تسمى باختونستان وتارة تسمى باثانيستان أو ما شابه ذلك من أسماء ٠

ويتباين مدى اهتمام افغانستان بهذا المشروع من وقت الى اخر ، وقد بلغ اهتمامها به أقصاه عقب قبول الباكستان للمعاونة الامريكية ٠ والروسيا من جانبها تمد أفغانستان بالمساعدة ٠ وقد ردت الدول المشتركة فى ميثاق الدفاع المشترك عن جنوبى شرقى آسيا المعروف باسم *SEATO* فى مؤتمرها المنعقد فى عام ١٩٥٦ باعلانها معاهدة الباكستان ٠ وكان اهتمام السوفييت بأفغانستان قد بدأ يضعف عقب مغادرة بريطانيا للهند ولكنه عاد الى ما كان عليه بعد عقد المعاهدة التى تنص على تقديم العون الحربى ٠ فعاود مندوب السوفييت نشاطهم كما أن الاتحاد السوفييتى يمد لافغانستان يد العون فى مشاريعها العمرانية ٠ وتستفيد افغانستان الى أقصى حدمن اهتمام الدول الكبرى بها فهى تتلقى المساعدة من الولايات المتحدةومن غرب ألمانيا فضلا عما تتلقاه من معاونة الاتحاد السوفييتى ٠ ومندوبو هذه الدول يتدافعون كل يوم فى شوارع كابل ٠

* * *

الخلاف نحو نهر السند

هناك أربعة مواضيع يقوم خلاف شديد بسببها بين الباكستان ، والهند ؛ هى خروج الباكستان على مبدأ الحياد فى سياستها الخارجية ، وتعويض اللاجئين ، واستغلال روافد نهر السند ، ثم موضوع كشمير ٠ وقد اسلفنا الحديث عن سياسة الباكستان الخارجية وسنعود اليها بتفصيل أوفى فى فصول أخرى قادمة ٠ أما فيما يختص بموضوع اللاجئين فهذا أمر لا يحتاج الى اطالة فى القول فان كلا من الهند والباكستان تطالب بتعويض اللاجئين الذين وفدوا اليها من الدولة الاخرى عن الممتلكات التى خلفوها وراءهم ٠ ومطالب كلتا

الدولتين معقدة متشعبة الاطراف وقد انقضت عشرة أعوام لم تستطيعا خلالها الاتفاق على تحديد المبالغ المطالب بها ·

كذلك مشكلة الانهار شديدة التعقد أيضا · والواقع أن المرء لا يستطيع الحكم في مدى أحقية أى الدولتين ، فكلتاهما تستقدم خبراء أجانب يؤيدون رأيها · ويتعلق الخلاف بروافد نهر السند الستة التى أقيمت أيام الحكم الانجليزى شبكة من قنوات الرى فى المنطقة التى تمر فى الهند خلال سهل البنجاب قبل أن تبلغ الباكستان · وقد تقع الان فى الباكستان تأتيها المياه من المنطقة الاخرى الواقعة حاليا تحت سلطان الهند · وقد تم الاتفاق عام ١٩٤٨ على تنظيم الامر بحيث تستغل الهند مياه الروافد الشرقية للهند وهى ثلاثة (رافى *Ravi* وبيز *Beas* وشستليج *Sutlij*) فى أعمال الرى المتزايدة فى الاقليم التابع لها ، وأن تستغل الباكستان الروافد الغربية للنهر وهى ثلاثة (أندس ، وجهيلوم *Jhelum* ، و شيناب *Chenab*) · كما منحت الهند الى الباكستان أيضا حق الاستمرار مؤقتا فى الحصول على النصيب الذى كانت تتسلمه من قبل من موارد المياه الى أن يتم انشاء شبكة من قنوات الرى تستخدم مياهها من الروافد المخصصة للباكستان · وتعهدت الهند أن تسهم فى تمويل انشاء هذه القنوات ×

وقد ضم موضوع تمويل القنوات الى موضوع التعويضات المختلف بشأنه ليصبحا فى الوقت الراهن جزءا من اتفاقية شاملة بين الدولتين · وهناك خلاف آخر بين الدولتين ما يزال مستمرا يتعلق بنصيب الباكستان من المياه ، فالباكستان تدعى أن الهند لا تتيح لها الحصول على نصيبها المتفق عليه وأنها توزع نصيبها فى المياه توزيعا عادل — فتزيد من المياه فى مواسم لا تحتاجها فيها الباكستان بينما تمنعها عندما يشتد بها الاحتياج اليها · وقد بلغ الخلاف بهذا الشأن أقصاه فى عام ١٩٥٤ عندما أصرت الهند على تشغيل خزان بهاكرا *Bhakra* وهو خزان تابع لها ويعتبر من أعظم خزانات العالم وذلك قبل أن تتم

× الاتفاق على استخدام المياه واخذ اللازم منها يتم كالقانون بين حكام المناطق المتقابلة من الهند والباكستان ·

الباكستان انشاء القنوات الخاصة برى أراضيها • ولتبرر الهند تصرفها هذا أدعت أن الباكستان تتعمد تأخير اتمام القنوات وأعلنت أنها ليست على استعداد لان تؤجل تشغيل الخزان الذى ضحت بالكثير فى سبيل اقامته • ولم يكن بيد الباكستان أن تفعل شيئا أكثر من الاحتجاج على ما اعتزمته الهند ولذلك اضطرت فى النهاية الى قبول عقد اتفاق مؤقت جديد شبيه بالاتفاق السابق •

* * *

كشمير

أن الخلاف الناشب بشأن كشمير هو بطبيعة الحال أشد مواضيع الخلاف استفحالا بين الدولتين • وقد كانت كشمير فيما مضى أمارة يبلغ تعداد سكانها ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة ثلاثة أرباعها مسلمون، وكان يحكمها وقت التقسيم المهراجا سير هارى سنغ وهو هندوسى العقيدة • فلما بدأ من مسلك حزب المؤتمر ميله الواضح الى اتخاذ النظام الجمهورى امتنع المهراجا بطبيعة الحال عن الانضمام الى دولة الهند ، كما لم يرض بالانضمام الى الباكستان فان ربع سكان الامارة من الهندوس كانوا دعامه حكمة لها • وقد قرر المهراجا أن يبقى مستقلا عن كلتى الدولتين ـ وقد وافقت الهند والباكستان على هذا القرار •

تدفق عقب التقسيم آلاف من اللاجئين المسلمين قاصدين كشمير • وبالاضافة الى المصاعب التى نشأت عن هذا التدفق فان هذا الاندفاع هدد بازدياد تعداد المسلمين الذين كانت لهم الاغلبية ، مما يضعف من شأن الهندوس • فعمدت الحكومة الى الحد من هذه الهجرة بأن انزلت اضطهادها بالوافدين الجدد • وقد أسرفت الحكومة فى هذا الاضطهاد وكان من أبشع الحوادث التى وقعت فتك الجنود بقافلة من المسلمين كان قد عهد اليهم بحمايتها • فلما بلغ نبأ هذه المذبحة وأمثالها مسامع الباكستان اندفع آلاف من رجال القبائل نحو الحدود الى كشمير لمساعدة اخوانهم من المسلمين • ويرجع بعض السبب فى تدخل الهند فى هذا الامر الى ما اتهمت به الباكستان من أنها هى التى شجعت سرا رجال القبائل على اجتياحهم لكشمير • واذا كانت

الباكستان قد نفت تدخلها فى ابان هذه الحوادث الا أنها تعترف الآن بأنه كان في امكانها أن تصنع أكثر من ذلك لحماية المسلمين فى كشمير • وقد طلبت وحدات كاملة من جيش الباكستان السماح لها بالقيام باجازة فاجابتها الحكومة الى ما طلبته بطريقة جماعية وأذنت لهذه الوحدات بالاحتفاظ بسلاحها خلال فترة الاجازة !

عندما رأى المهراجا هذا الاجتياح لبلده طلب من الهند حمايته • فأجابت الهند بما أشار به لورد مونتباتن الذى كان ما زال متوليا منصب الحاكم العام فيها بأنها لن تستطيع أن تخف لنجدة كشمير الا اذا هى طلبت الانضمام الى الجمهوريه الهندية • (مالم تصنع كشمير ذلك ، فان مساعدة الهند تصبح من وجهة النظر القانونية تدخلا فى الشئون الخاصة بدولة أخرى •) فطلب المهراجا عندئذ الانضمام الى الهند ، ولم يلبث أن دخل الجيش الهندى الى كشمير بسرعة خاطفة وبدأ يطرد المجتاحين •

لم تستطع الباكستان أن تقف ساكنة بينما تحقق الهند مأربها فبادرت الى ارسال جيشها عبر الحدود وراء جحافل المتطوعين • وكان جيش الهند يوالى تقدمه فى خلال كشمير ولم يلبث أن اصطدم الجيشان فى « حرب » صغيرة وان كانت لم تتعد فى أغلبها مجرد المناورة وأعمال الحصار • (كان قائدا الجيشين وكلاهما ضابط انجليزى ، على اتصال دائم بواسطة التليفون ، كما كانا يتناولان الكوكتيل سويا مرة فى كل اسبوع !) ثم اعلنت الهدنة عندما اقترحت الهند أخيرا عرض الامر على هيئة الامم •

عينت هيئة الامم لجنة مازالت تشرف حتى الآن على تنفيذ الهدنة ، وقد اقترحت هذه اللجنة اجراء استفتاء عام • ولقد وافق الطرفان على هذا الاقتراح ، وبالاضافة الى ذلك فان الباكستان قد وافقت على أن تقوم الهند بحفظ القانون والنظام فى كشمير وان تحتفظ فيها ببعض قواتها لهذا الغرض كما وافقت على أن تنسحب هى أى الباكستان • ولكنها طلبت التأكد أولا من أن عدد القوات الهندية وطريقة توزيعها لن يؤثر فى ادلاء المواطنين باصواتهم • وقد توقفت المناقشات لهذا السبب ولو نظريا على الاقل ، فلم يصل الطرفان الى اتفاق •

وموقف نهرو بالنسبة لكشمير مسرف فى الغموض بغير شك • فهو لم يجحد الاستفتاء مطلقا ، بل هو لا يفتأ يكرر أنه لن يبت فى مشكلة كشمير فى آخر الامر الا بواسطة الاستفتاء • وبينما هويقول ذلك فانه لا ينثنى عن ذكر شرعيـة الطلب الذى تقـدم به المهـراجا للانضمام الى الهند ـ وهو طلب يتفق فى الواقع مع القانون المؤقت الذى كان قائما وقت التقسيم والذى ينص على عدم البت فى أى أمر يتعلق بمستقبل أى ولاية بواسطة حكومتها الدستورية ـ معلنا أنه لا يمكن المعارضة فى طلب المهـراجا ولا فيمـا سوف يتخـذه برلمان كشمير من قرارات • ولا يتسق كلام نهرو هذا فى ذهن السـامع الا اذا سلمنا بان نتيجة الانتخابات ستؤيد الوضع القانونى بالموافقة على انضمام كشمير الى الهند • ويبدو أن كل ما يهدف اليه نهرو من وراء مفاوضاته انما هو كسب الوقت وتأجيل البت فى هذا الامر الى أبعد مدى مستطاع • وهو يرجو من وراء ذلك أن يكسب الى صفه أهل كشمير بما يبدى من معاملة كريمة ، فيضمن بذلك نيل قرارهم المنتظر عن الاستفتاء •

واستبقت الهند سيطرتها على كشمير كجزء من هذه السياسة ، وتشددت فيها حتى أخذت تنصرف فى مقدرات كشمير كما لو كان قد تم انضمامها اليها • ولم تكن تعلن الهدنة حتى تحقق ماسبق أن تنبأ به المهراجا فأعلن النظام الجمهورى فى كشمير وتم عزل المهراجا • (ومكان اقامته الحالى غير معروف ويكتنفه الغموض) • ثم اتخذت خطوة أخرى كما لو كان القصد منها السخرية من فكرة الاستفتاءالذى اقترحته هيئة الامم فقد عقدت « انتخابات » ـ على أساس من نظام الحزب الواحد ـ واقيمت جمعية تأسيسية • وقد تولى الشيخ عبدالله رئاسة الحكومة فى كشمير وهو صـديق شخصى لنهـرو ومن أبرز شخصيات كشمير السياسية • ولكن لم تكدتنقضى بضعة شهور حتى أخذ يحبذ ـ كما هو الحال غالبا فى مثل هـذه الظروف ـ استقـلال كشمير • فالقى عليـه القبض زملاؤه الوزراء وتم سجنـه وما يزال مسجونا حتى الآن • ولقد أصدرت الجمعية التأسيسية بضع قرارات منها انضمـام كشمير الى الهنـد التى لم تتوان فى مـد نفوذ بعض

وزاراتها الى داخل الولايه فاقامت العديد فيها من المشروعات العمرانية وقدمت اعانات كبيرة لتشجيع بيع القمح وهو الغذاء الرئيسى فيها ٠ ولكن كشمير ولاية يحكمها أنبوليس وليس يسمح فيهـا بمنـاقشة السياسة علانية ٠

أن بالامكان الدفاع عن مسلك الهند بصفه عامة ، خاصة اذا جاراها المرء فى معتقدين : أولهما أن الباكستـان ليست الا دولة مصطنعـة مآلها التفكك ٠ والثانى عدم جواز قيـام دولة على أسـاس دينى ، ويستتبع ذلك أن يصبح وجود أغلبية ساحقة من المسلمين فى كشمير أمرا لا أهمية له ٠ وبذلك يعود الى الظهور بصورة مصغرة موضوع تقسيم أسفل القارة الى هند وباكستان ٠ والارجح أن الاستفتاء ليس بالوسيلة المثلى لفض مثل هذه المشكلة ، ومن السطحية أن يعتقد المرء جدوى هذه الوسيلة متجاهلا اعتبارات أخرى هامة كثيرة ٠ ولكن نهرو نفسه كثيرا ما يلجأ الى مبدأ الاستفتاء باعتباره وسيلة الشعب الى البت فى مصيره ، ولذلك فأنه يبدو فى موقف المراوغ بالنسبة لكشمير ٠ ولو أنه اتخذ خطة أكثر صراحة لكسب مزيدا من تأييد الرأى العام العالمى ٠ (كثيرا ما ذكر خلال المناقشات التى عقدت لبحث مشكلة كشمير أن نهرو نفسه من مواليد هذه الولاية ، ولكن ذلك ليس بالامر الهام كما قد يتخيل الناس فان نهرو وان يكن رأيه فى هذه المشكلة أكثر اعتدالا من غالبية أعضاء حزب المؤتمر الا أن عليه أن يكبح من جماحهم ٠)

وقـد سبـق أن اقترح تقسيم كشمير ، الا أنه لن يوافق أى من الطرفين على هذا الاقتراح فان كليهما يريد منطقة وادى كشمير لنفسه وهى أكثر أنحـاء الولايه خصبـا وتقع فيهـا العـاصمة سرينـاجار *Srinagar* ٠ عندما وافقت الباكستان فى عـام ١٩٥٥ على قبول معونة أمريكا الحربية لها ، قطع نهرو مفاوضات الهند مع الباكستان معلنا أن ذلك قد غير الموقف تماما ٠ وقد ضغطت عليه الباكستان ليوضح معنى قوله ولكنه رفض الادلاء بأكثر مما قـال ٠ ثم عـادت الدولتان الى مفاوضات أخرى قصيرة الامـد عـام ١٩٥٥ لم تلبث أن أنتهت على غير طائل ٠ ثم ضمت الهند اليها فى عام ١٩٥٧ الجزء الذى كانت تحتله من الولاية ليصبح جزءا منها ٠ وقد أصدر مجلس الامن قرارا فى آخر لحظة دعا فيه الهنـد الا تخطو هـذه الخطوة ٠ ولكنهـا

تجاهلت هذا القرار • وليس يملك المرء الا أن يوافق الهند على أن قرارات هيئه الامم وتوجيهاتها ليست دائما على صواب ، وأنه لواضح أن هذه الهيئة لم تلم بمشكلة الهند الماما كافيا الا أن الاستهزاء بقرار أصدره مجلس الامن لم يكن بالامر اللائق بدولة كالهند طالما ناشدت الدول أن ترتفع بمستوياتها الاخلاقية وان تكف عن اللجوء الى القوة فى الشئون العالمية •

ومن المحتمل الا تنتهى هـذه المشـكله بتقسيم كشمير فتستبقى الباكستان منطقة آزاد كشمير فما تزال قواتها تحتل هذا الجزء وراء خط الهدنة •

وعلى حين تجرى وقائع هذا الخلاف بين الهند والباكستان نجد الجمود يطرأ على صداقة الاخيرة للولايات المتحدة • ويرجع هـذا الجمود فى بعض أسبابه الى ما طرأ من تغييرات مفاجئة على السياسة الخارجية للولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٤ فلقد نفذ صبر حكومة الحزب الجمهورى الجديد ازاء حياد الهند ، ولم تكن قوى القومية الناشئـة فى الشرق الاقصى مما يعنيها فى شيء حتى ذلك الحين • ثم شعرت باثر هذه القوى فى تاريخ العالم وتنبهت الى صعوبة واجبها وتعقـده نحو مواجهـة الشيوعية ، وهكذا تبينت أهمية كسب تأييد الكتلة الافروسية لها • ولما كانت الهند ابرز دول هذه الكتلة ، لذلك صار عدم اغضابها أحد مظاهر هذه السياسة الجديدة • وقد عنى دلاس وأيزنهاور فى عـام ١٩٥٦ بالاشارة الى تقديرهما للهند ، وسلم بحقها فى أن تختار النهج الذى تشاؤه لنفسها فى سياستها الخارجية • ولم يكن من المعقول أن تدلى الولايات المتحدة بتصريح كهذا فى عام ١٩٥٤

ومن آثار هذه السياسة الجديدة التى أخذت بها الولايات المتحدة أن تضاءلت امـداداتهـا الحربيـة التى كانت اعتزمت تقـديمها الى الباكستان ، كما هبطت بقيمة هذه الدولة فأصبح دورها فى حلف جنوبى شرق آسيا *SEATO* أقل مما كان منتظرا من قبل • ويبدو جليا أن الولايات المتحدة لم تعد تهتم بمحالفة الباكستان لها الآن قدر ما يهمها أن تنال تأييد الهند • وكما خاب أمل الباكستان من قبل فى بريطـانيا كذلك لم يلبث أن خاب أملهـا فى الولايات المتحـدة واستيقظت من حلمها فندأت تردد الحديث عن الحياد • وقد يبدو تأييد

الولايات المتحدة للقرار الذى أصدرته هيئة الامم ضد الهند فيمايتعلق بكشمير مؤديا الى اعادة الثقة الى الباكستان ، ولكن ليس هذا بالامر المحتمل ، فليس من المنتظر أن يتخذ مجلس الامن اى اجراء لتنفيذ اجلاء الهند عن الاراضى التى حصلت عليها ٠

* * *

حيدر أباد والمستعمرات الأجنبية

ليست كشمير الا امارة واحدة بين ٥٧٠ امارة كان لها عند التقسيم أن تعلن الانضمام الى الهند أو الباكستان من ناحية ، أو تؤثر الاستقلال ٠ ولم يكن لهذه الامارات الخيار حقا فقد كانت أضعف من أن تقف على قدميها وحيدة اللهم الا ولايتان احداهما كشمير والثانية حيدر أباد ٠ والوضع فى حيدر أباد يناقض ما كان عليه فى كشمير ، فان نظام حيدر أباد مسلم وهو يحكم مايزيد عن سبعة عشر مليونا لا يزيد عدد المسلمين بينهم عن مليونين وباقيهم هندوس ٠ وثمت مظهر آخر للاختلاف ، فهذه الامارة حيدر أباد وان تكن مساحتهاتناهز مساحة المملكة المتحدة الا أن الهند تحيط بها من كل جوانبها ٠ ولكنه رفض رغم ذلك أن ينضم الى الهند معلنا نيته فى البقاء مستقلا ٠ وقد ردت عليه الهند بأن حاصرت الولاية ، ولم يلبث أن دخلها الجيش الهندى فى سبتمبر عام ١٩٤٨ بعد مقاومة استمرتأربعة أيام . ولقد كان قرار حيدر أباد قرارا خاطئا ومثيرا للاسف ، الا أن التجاء الهند الى قوة السلاح كان أيضا مثيرا للاشفاق ٠

وقد اهتمت الهند بأمر المستعمرات الاجنبية فيها حتى تستكمل سلطانها على كل الارض الهندية ٠ وهذه المستعمرات هى اجزاءصغيرة من أرض الهند ظلت خاضعة للحكم الاجنبى بعد انسحاب بريطانيا ٠ فلفرنسا ثلاث مستعمرات من بقايا امبراطوريتها السابقة هى بوندشيرى *Pondisherry* و ماهى *Mahé* و شاندرنجور *Chandernagore* وقد رضيت فرنسا بانتقال هذه المستعمرات الى حكم الهند التى أتاحت لهذه المستعمرات السابقة أن تحتفظ بشخصيتها على ما كانت عليه ، ولذلك بقى لها طابع الحضارةالفرنسية

الذى لا تخطئه العين · ولم يبق من كل المستعمرات الا جوا *Goa* تحت سلطان البرتغال التى ترفض قبول المفاوضات بشأنها فليس معنى المفاوضات فى هذه الحالة الا التنازل عنها ، وهذا أمر تأباه كل الاباء · فهى تدعى أن جوا جزء لا يتجزء من الوطن نفسه وهذا تقدير خاطىء من البرتغال لا يجد الا صدى خافتا فى آذان معظم الانجليز ·

أن البرتغال تكشف بمسلكها هذا عن عنـاد وعـدم فهم لتـطور التاريخ ، فان بقاء جزء ضئيل مثل جوا فى اسفل القارة تحت سلطان أجنبى لهو أمر شاذ لا يمكن تبريره · وليس من الميسور التعرف على رأى أهل جوا بهذا الصدد ـ فان البرتغال نفسها خاضعة لنظام الحكم الدكتاتورى فلا يعقل بعد ذلك أن تقوم حـرية التعبير فى احـدى مستعمراتها ـ ولكن ثمت عدد كبيرا من أهل جوا قد هاجروا الى أجزاء أخرى من الهند ويبـدو من ذلك أنهم يؤثرون أن يربطـوا مصيرهم بجيرانهم · وتقابل الهند هذا المسلك من البرتغال بصبر الا أن التهديد باجتياح المستعمرة بواسطة « قوات التحرير » من المتطوعين أمر لا ينقطع ، وان كانت حكومة الهند لا تنى تكبح من جماحهم · وتثير هذه المشكلة مصاعب جمة فى وجه الغرب · فان زائرى الهند من الشيوعيين ينالون خطوة رخيصة بتأييدهم موقف الهند ، ولقد انتظرت الهند طويلا أن تضغط بريطانيا الولايات المتحدة على البرتغال حتى تنظر الى الامر نظرة أكثر واقعية فضاع هذا الانتظار عبثا · فلقـد رفض الغرب أن يفعل ذلك بحجة أن المشكلة لا تخص الا الهند والبرتغال وحدهما وانهما يستطيعان حلها بينهما ـ وقد أثار هذا المسلك من الغرب الشك فى أنه مازال يطوى جوانحه على رغبة الاستعمار · ولهذا الشك ما يبرره فان الحق فى هذه المشكلة بين واضح وهذا التصرف سن الغرب يعطى الشيوعيين بدون داع فرصة يمتازون بها عليه ·

* * *

نيبـال

تقوم على حدود الهند جارات صغيرات ترقبهن فى توجس ، ونيبال أهم هذه الجارات · وهى تمتد الى مسافة خمسمائة ميل تفصل الهند

عن الصين الشيوعية ، فتقوم حاجزا وراء جبال هملايا يفصل الهند الديمقراطية عن الصين الشيوعية . وسوف نرى فى فصل آخر أن الهند قد قبلت أن تمد الصين حكمها على التبت دون أن تحتج اللهم الا على التجاء الصين الى القوة فى تنفيذ ذلك ـ وهى لم يكن فى استطاعتها على أى حال أن تصنع شيئا لمنع ذلك ـ وبادرت الى التنازل عما كانت قد نالته من حقوق فى هذه المنطقة آلت اليها عن طريق الانجليز ، الا أنها أبدت تبرمها من احتمال نشر سلطان الشيوعية على نيبال ـ وليس هذا بالامر المستحيل وقوعه . وأن نيبال لهى موضع هام لتجربة نظرية « التعايش » .

لقد ساد النظام الاقطاعى نيبال حتى عام ١٩٥١ وهو النظام الذى عرفته هذه البلدة منذ مئات السنين : للملك فيه مظهر السيادة ، أما حقيقة الحكم ففى أيدى أسرة رانا *Rana* تتوارثها جيلا بعد جيل . وأهم ما يعرفه العالم الخارجى عن هذه الدولة هم رجال الجوركا *Gurkha* الشجعان الذين أمدت بهم الجيش البريطانى (برغم معارضة الجناح اليسارى ، فان نيبال مازالت تمد الجيش البريطانى بهؤلاء الرجال ، كما تمد بهم جيش الهند أيضا ، وكانت الى عهد قريب تمد بهم الباكستان كذلك . ويعتبر دخل نيبال الذى يأتيها من ذلك المصدر من أهم أبواب ميزانيتها .) وقد قامت فى ذلك العام ١٩٥١ ثورة شجعتها عليها الهند واسفرت عن تنحية أسرة رانا فصار الملك حاكمها الدستورى ويتولى حكومتها حزب المؤتمر .

ولكن لم تلبث أن قامت المنازعات بين قادة حزب المؤتمر فى نيبال كما حاول المتطرفون من الجناح اليسارى أن يقلبوا الحكومة ، وأدى ذلك على أى حال الى بقاء الموقف السياسى غير ثابت فى المملكة . ثم قام الجناح اليسارى بالثورة فى عام ١٩٥٢ فأخمدها الجيش وفر زعيمها دكتور ك . أ . سنغ *Singh* الى التبت ، ودعا ذلك الى ازدياد النزاع فى صفوف حزب المؤتمر مما دعى بالملك تريبوفانا *Tribhuvana* الى التخلى مؤقتا عما كان قد أخذ به نفسه من أقامة حكومة شعبية ، وتسلم قيادة الحكم بين يديه . وقد أنتهج خلفه الملك ماهندرا *Mahendra* منهج الحكم الفردى أيضا الى أن استدعى براجا باريشاد *Praja Parishad* وهو اشتراكى فعهد اليه بتأليف الوزارة عام ١٩٥٦

سافر دكتور سنغ فى تلك الاثناء الى بكين حيث سمحت له الحكومة الصينية بتوجيه دعايته الى نيبال عن طريق راديو بكين • وان من المظاهر ذات الدلالة على مدى اهتمام الهند الكبير بنيبال أنها احتجت لدى حكومة الصين على ذلك ، كما أن من مظاهر تقدير الصين لعواطف الهند أن سحبت كل التسهيلات التىمنحتها للدكتور سنغفى اذاعتها• وقد أنتهت مناقشات مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ الى موافقة الصين على الاستجابة لطلب نيبال بتسليم دكتور سنغ اليها بشرط العفو عنه عفوا عاما • وقد عاد دكتور سنغ الى نيبال وتعهد بألا يلجأ الى العنف فى تنفيذ سياسته • ثم لم يلبث بعد ذلك الا قليلا حتى أنشأ حزبا سياسيا جديدا هو حزب الاتحاد الديمقراطى • ثم تخلى عن كلعطفه على الشيوعيين وبدأ ينتقد حكومة براجا على سياستها التى تضاد بها الهند وتحابى بها الصين !

ونيبال منهمكة الآن بتنفيذ مشاريع عمرانية ضخمة ، وهى تتلقى معونات مالية من الصين والهند والولايات المتحدة • ومن المظاهر ذات الدلالة أنها قبلت مساعدة فنيين من الهند وليس من الصين ، كما أنه من أهم المشاريع التى تنفذها تحسين وسائل المواصلات بينها وبين الهند • وقد تبودلت الزيارات فى مطلع عام ١٩٥٧ بين عاصمة نيبال كاتماندا *Katmandu* وبين بكين فوقعت الدولتان خلالها اتفاقية بانش شيلا *Phrch Shila* بالدعوة الى التعايش السلمى • وقد حاولت حكومة براجا فى يوليو عام ١٩٥٧ أن تحصل من الاحزاب المختلفة على تأييد سياستها بتوثيق العلاقات مع الصين لموازنة نفوذ الهند الجارف ، ولكن من العجيب أن الحكومة سقطت لهذا السببوتولى دكتور سنغ رياسة الوزارة ليميل بسياسة المملكةضد الصين• ولكنه لم يكن قادرا على بلوغ هذا المذهب لولا تأييد الملك له تأييدا قويا ، فقد أجمعت كافة أحزاب المعارضة ـ ما عدا حزبالاتحاد الديمقراطىـ على عدم التعاون معه ! ولم يقبل الائتلاف معه الا حزب براجا ، ولكنه رفض هذا العرض ! وقد أعلن دكتور سنغ فى شهر أغسطس من عام ١٩٥٧ تكوين قوة للامن على أساس من التنظيم العسكرى ، كذلك أنشئت هيئة خاصة بأعمال المخابرات ، كما أنذر الصحفحتى تخفف من حدة نقدها • ولقد فقدت سياسة نيبال طابع الوضوح وبدتداعية الى الريبة فى أنها سياسة انتهاز للفرص وليس سياسة مبادىء• وبدأ الملك ودكتور سنغ فى تلك الاثناء فى أعين أحزاب المعارضة التىلا تنى

عن الضجيج وكأنهما يتعاونان معا على المماطلة فى اجراء الانتخابات العامة التى طال انتظار البلاد لها .

وقد عزل الملك فى نوفمبر عام ١٩٥٧ وزيره دكتور سنغ فجأة آخذا فى يديه مقاليد الحكم . وعلل دكتور سنغ عزله بأنه قاوم ضغط الامريكيين ولكن الملك وبعثة الولايات المتحدة فى نيبال قد أنكرا ذلك انكارا قاطعا .

* * *

مشاكل العمران فى الهند

يواجه قادة الهند مشاكل ضخمة فيما يبذلون من محاولة لنشر مستويات الحضارة الاوروبيه فى انحاء وطنهم نظرا لاتساع أرجائه وشدة تأخره البالغة . فان عليهم أن يوحدوا بين خليط الشعوب التى تتكون الهند منها ، وان يحاربوا الامية وخرافات الجهالة التى تسوده ، كما أن عليهم أن ينهوا نظام الطبقات الشديد الاضرار بالبلد ، وان يحولوا بين الشعب وعبادة البقر الامر الذى يمنع ازدهار الزراعة فى الهند . وهذه المشاكل تتطلب مصلحين ثابتى العزم حتى يمضوا فيما هم بسبيله . وتكمن وراء هذا جميعه مشكلة العمران الاقتصادية . وهم زعماء الهند الان لا ينصرف الى رفع مستوى المعيشة بين ٣٧٠ مليون هندى يعيشون على الكفاف ، بل أن همهم الاول فى الوقت الراهن أن يحافظوا على هـذا المستوى فى أمة تتكاثر بمعـدل ثلاثة ملايين نسمة فى كل عام . وأول ما تعنى به الحكومة الان أن تجاهد فى سبيل توفير مصادر العمل للعمال المتزايدين فانها تحول بذلك دون معاناة الملايين للجوع . ومن المتوقع أن يبلغ تعداد الهنود ٥١٠ملايين نسمة فى عام ١٩٨٠ فى أمة أجهدت مصادر الطعام فيها . ولذلك أصبح من المحتمل ادخال وسائل الزراعة الآلية والتوسع فى اقامة مشاريع الرى ويتطلب ذلك توسعا فى الصناعة يكون عونا على تشغيل العمال . وفضلا عن ذلك فآن هذا الكفاح الضخم انما يجرى فى ظل منافسه واعية من الصين الشيوعية . وتحاول الهند فى ظل النظام الديمقراطى أن تصل الى ما تسعى الصين الى بلوغه بوسائل الشيوعية

العنيفة • وستكون لنتيجة هذا السباق بين الدولتين أهمية كبرى فى نظر الدول المتأخرة فى انحاء العالم المختلفة التى لم تقرر بعد أى النظامين تتبع • وهذا أمر هام للغاية فى تعلقه بأمن الغرب فى المستقبل •

أن الهند منهمكة فى الوقت الراهن بتنفيذ المشروع الثانى من مشاريع السنوات الخمس خلال المدة من ٥٦ – ١٩٦١ وقد أتمت المشروع الاول خلال أعوام ٥١ – ١٩٥٥ ونجحت فى اتمامه نجاحا أتاح لها موازنة ميزانها التجارى اجنبها اشتداد هباط مستوى المعيشة فيها • وقد تم نجاحه رغم الشكوك الجديدة التى ساورت معظم المطلعين • ولقد لجأت الهند الى مغامرة خطيرة حتى تحول ذلك المشروع بأن ضاعفت مقدار ورق النقد الذى تصدره مما جعلها تتعرض لكارثة خطيرة بسبب النقد لولا وفرة ما جادت به أرضها من المحاصيل الزراعية فى تلك الاعوام ، وللطاقة الاقتصادية الضخمة فى تلك البلاد والتى لم تكن تستغل من قبل ، فان كثيرا من مصانعها لم تكن تستغل عند بدء تنفيذ المشروع الا نصف قدرتها على الانتاج فحسب • وهكذا أسفر تنفيذ المشروع عن زيادة فى الانتاج تضاهى مدى الزيادة فيما أصدرته من أوراق النقد •

والتجأت الهند الى هذه المخاطرة مرة أخرى أثناء قيامها بتنفيذ مشروع السنوات الخمس الثانى • فقد اعتزمت أن تزيد دخلها القومى بقيمة الرابع بواسطة الزيادة فى اصدار ورق النقد – يبدو هذا الهدف بعيدا للغاية اذا نحن قارناه بما صنعته لولايات المتحدة عندما زادت انتاجها القومى بنسبة ١٥٪ خلال الفترة ٥٠ – ١٩٥٥ – وهذا التوسع شديد حتى بالنسبة لاقتصاديات الامم الصناعية • وتحتاج الهند الى مبلغ ضخم للغاية يبلغ ٤ر٧٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى حتى يمكنها أن تحقق ذلك التوسع • وقد لجأت الى تقريب شقة الخلاف بين هذا المبلغ ومقدار ميزانيتها الحالية بأن فرضت مزيدا من الضرائب يبلغ مقداره بالاضافة الى قروض داخلية ٧٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى ، والى مضاعفة ما تصدره من ورق النقد مرة ثانية وهو يبلغ الآن ١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى ، وان تجتلب من الخارج ٦٧٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى • فاذا تأمل المرء هذا المشروع وجده سوف يحول موارد الانتاج الى رأس مال بدلا من بضائع الاستهلاك

وهذا مما يدعو الى ضغط التضخم فى أى وقت • ولكن من الخطر أن يمول مشروع بهذه الطريقة دون وجود فائض اقتصادى للبدء فيه مع احتمال كساد المحصول وهذا أمر من الجائز دائما حدوثه •

يقوم حزب المؤتمر بدعوة الشعب الهندى الى البذل والتضحية فذلك أمر لا بد منه لبلوغ النجاح ، وهو يأمل أن يحصل على ما تحتاجه الحكومة من المال بالوسائل الديمقراطية — على حين تستطيع حكومة الصين أن تملى على شعبها ما تريده • وتتحمل الطبقات المثرية فى الهند الان عبئا من الضرائب ليس يحمل سواها مثل ثقله فى العالم • ولقد استجاب الهنود لدعوة نهرو استجابة واضحة ولكن هل يعنى تأييدهم للديمقراطية أم أن ذلك قد تم كما يعتقد كثير من المراقبين بوازع من احترامهم لشخص نهرو ؟ فاذا حان تنحيه عن القيادة أو ثقل العبء عليه بحيث لم يعد يطيق احتماله أو تضاءل نفوذه لسبب أو لآخر أو أمحى كلية فماذا سيحدث عندئذ ؟ أن نفوذ الشيوعية فى الهند ضئيل فى الوقت الراهن اللهم الا فى ولاية أو ولايتين منها ، الا أن المثقفين من أبناء الهند ثقافة انجليزية وهم الذين يسيطرون على حزب المؤتمر فى الوقت الحالى قليلون بالنسبة لجموع الشعب الكثيفة ، فاذا وقع انقلاب اقتصادى أمكن الحزب الشيوعى أن يحرز الاغلبية فان عامة ناخبى الهند لم ينضج وعيهم حتى الآن ×

وهناك خطر ربما كان أقرب الى الهند من الشيوعية هو الانحراف نحو تعاليم غاندى • ولا ريب أن وفاة غاندى عام ١٩٤٨ قد أراحت نهرو وشيعته من القادة التقدميين فى حزب المؤتمر ، فلقد كان غاندى يعتقد أن خلاص الهند لن يتأتى الا برفض حضارة الغرب القائمة على الصناعة والعودة الى الانتاج اليدوى ، وقد هدد هذا الاعتقاد بحدوث انشقاق خطير فى صفوف الحزب والقضاء على الامل فى قيام دولة هندية قوية • ولكن ما يزال تأثير غاندى باقيا فى حزب المؤتمر وله من القوة ما يكفى لان تصبح كلمته هى العليا لو فقدت سياسة نهرو تأييد الشعب لها • فاذا حدث ذلك فلا ريب عندئذ فى وقوع الكارثة فان الرجوع الى تعاليم غاندى لن يكون الا بابا للانحراف نحو الشيوعية •

× راجع نموذج « الهند بعد نهرو » اصدار مج ٧٦ برقم ٣٨٩٨ وبتاريخ ١٩٥٩/٩/٨

انتهى حزب المؤتمر الى الاعتقاد بأن هذا البرنامج الضخم للتعمير يحتم على الحكومة أن تشارك مشاركة فعالة فى الانتاج الصناعى على الا تتعرض بأى اضطهاد للصناعات الخاصة القائمة بل يجب أن تعاونها على التوسع - هذا مزج للاشتراكية بالرأسمالية - وليس ثمت من سبيل غير ذلك يناسب أحوال الهند • ورغم ذلك فان حزب المؤتمر لم ينته الى قراره هذا الا بعد أن عارضه الهندوس الاثرياء معارضة عنيفة فهم قوم محافظون بطبيعتهم • وليس النضال من أجل العمران بالامر الذى يمكن فصله عن النضال ضد نظام الطبقات ، والماشيه المقدسة، وحرق الارامل ، والخضوع للخرافات ، وتغليب المصالح الشخصية والفساد • ولا ريب أن السنوات القليلة القادمة هى فترة حاسمة فى تاريخ الهند يرقبها الغرب فى قلق شديد • وقد قدمت لها الولايات المتحدة مساعدة عاجلة فى عام ٧ - ١٩٥٨ احتاجت اليها الهند للمحافظة على امكان التعامل بأرصدتها فى الخارج • وقد ادى ذلك الى إدخال تعديلات على المشروع وبذلك تضاءل التقدير الضخم البالغ ٦٧٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى الذى كانت تحتاج اجتذابه من مصدر خارجى ، الا أنها ما تزال محتاجة الى عون ضخم • وسوف نناقش فى فصل قادم مدى امكانية حصول الهند على ما تريده •

* * *

سيلان

سيلان هى ثالثة أعضاء الكومنولث فى هذه المنطقة ، وتعدادها قليل فليس الا ثمانية ملايين نسمة • ولكن اختلاط الاجناس فيها من سنهاليس *Sinhalese* وتاميل سيلانيين ، وتاميل هنود و برغيين *Berghers* (وهم سلالة تنحدر من أصل هولاندى) ومغاربة مما يجعل سياستها المقبلة أمرا لا يمكن التنبؤ به • وقد مارست سيلان لمدة طويلة نظام الحكم الذاتى بطريقة جزئية تشبه ما اتخذته الهند ، ثم انضمت فى فبراير عام ١٩٤٨ الى الكومنولث ، وكانت حكومتها تتكون آنذاك من حزب الاتحاد الوطنى وعلى رأسها د• س• سينانياك *Senanayake* الذى عرف بالمقدرة واجماع الناس على احترامه ، وقد تولى الحكم سبعة عشر عاما ثم قتل

فى حادث تصادم فى عام ١٩٥٢ وقد تولى الحكم بعد ذلك سير جون كوتيلاولا *Kotelawala* عام ١٩٥٣ وانتهج سياسه محايدةفقد رفض الانضمام الى حلف شرقى آسيا *SEATO* فى عام ١٩٥٤ ويرجع ذلك الى خشيته من اثارة نقمة الهند من ناحية واستجابة منه لعواطف مواطنيه القوية من ناحية أخرى ، الا أنه ظل رغم ذلك مواليا لبريطانيا . ولقد أثار حيرة الهند بما وجهه من اتهامات الى الصين الشيوعية فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥

كانت سياسة سيلان تجرى على أساس من الاعتراف بلغتى التاميل *Tamils* والسنهاليين على قدم المساواه ، ولكن رأى حزب الاتحاد الوطنى فى عام ١٩٥٦ أن يتخذ من السنهالية لغة رسمية البلاد ، ودعا الى اجراء الانتخابات على ذلك الاساس . ثم تكونت جبهة اتحاد الشعب من ائتلاف الجماعات اليسارية . ومن الغريب أن الجبهة قد فضلت هى الاخرى ذلك التشريع القاضى باتخاذ السنهالية وحدها لغة رسمية ولقد نفذته عندما تولى قادتها الحكم برغم ما أثاره التاميل من شغب . وكانت نتيجه الانتخابات مثيرة للدهشة حتى فى سيلان نفسها فان الجبهة قد هزمت الحزب هزيمة ساحقة . ويبدو أن أهل سيلان قد انصرف بهم ميلهم الطبيعى عن الحزب بعد أن استمرطويلا فى الحكم خاصته أن كوتيلاولا قد أثار نقمتهم عليه لاسرافه فى الغرور وتصلب رأيه كالحال فى معظم انحاء الشرق فى تأييد الحياد . ولذلك لا يبدو نجاح الجبهة ممثلا لميل دائم لدى الشعب فى الانعطاف نحو اليسار . أما فيما يختص بتشريع اللغة فان الحكومة أوقفت تنفيذه بسبب توالى شغب التاميل وامتداده ، ولكن ما يزال جمهور الناخبين فى الدائرة التى تخلو يؤيد بين المرشحين للبرلمان من ينادون بوجوب تنفيذ هذا التشريع .

وقد أعلن باندرانيكه *Pandaranaike* × رئيس الوزراء الجديد عزمه على اتخاذ الجمهورية نظاما للحكم فى سيلان مع البقاء داخل نطاق الكومنولث والتزام سياسة من الحياد لا تعتروها شبهه . وخطا خطوة

× تتولى الحكم الآن زوجته بعد اغتياله وقد أثبتت كفاية سياسية كبيرة فى المحافل الدولية .

نحو هذه الغاية بأن طلب من بريطانيا عندما تولى الحكم أن تتنازل عن قاعدتيها فى الجزيرة ، واحدى هاتين القاعدتين بحرية فى ترينكومالى *Trincomalée* والثانية جوية فى كاتوناك *Katonake* وقد وافقت بريطانيا فى خلال احدى اجتماعات الكومنولث التى عقدت عقب ذلك مباشرة أن تعيد هاتين القاعدتين فى ظرف عامين ، على أن تتعهد سيلان من جانبها بان تتيح لها استعمالهما • (اعلنت بريطانيا عن عزمها على استحياء مركز الطيران الذى كانت تتخذه خلال أعوام الحرب فى جزر ملديف وهى أرخبيل يكاد يخلو من السكان على بعد ٤٠٠ ميل جنوبى غرب سيلان •) كذلك اقترحت الجبهة أيضا تأميم بعض الصناعات وأهمها وسائل النقل • وينتشر بعض التبرم فى سيلان بسبب ضخامة الخطر عليها أن تتدخل فى هذا الشأن تدخلا جديا • ويرجع جزء من تأييد الشعب للحكومة الجديدة الى نفوذ الكهنة البوذيين فانهم يعارضون حزب الاتحاد الوطنى لكثرة من انضم اليه من المسيحيين •

أدت مجاورة سيلان للهند الى حدوث بعض التوتر فى العلاقة بين الدولتين • فقد كان أهل سيلان يأنفون فيما مضى من العمل الشاق فى مزارع الشاى ، مما حدا بحوالى ٨٥٠ر٠٠٠ من الهنود الى النزوح للجزيرة فى فترات مختلفة للعمل فيها • وقد طال مقام بعض أولئك الهنود أعواما كثيرة فى سيلان الا أن وجودهم فيها الان قد أصبح مبعث ضيق لدى السيلانيين ، فان تفشى البطالة بينهم جعلهم يطمحون الى الحصول على وظائفم • ويعترض السيلانيون أيضا على كثرة من يأتون سيلان من تجار الهند وعلى ارتضاء العمال منهم بالعمل نظير أجور بالغة التفاهة • ونتيجة لذلك ، أقر البرلمان فى عام ١٩٤٩ تشريعا حرم بموجبه معظم الهنود من حق الانتخاب للبرلمان • ولقد وافقت الهند منذ ذلك الوقت على بذل المساعدة فى اعادة الهنودالذين لم تطل اقامتهم فى سيلان على أن تتوسع الاخيرة فى بذل جنسيتها للآخرين • ولكن لم تكن سيلان عند حسن ظن الهند بها ، ولذلك فهى تعج بالمقيمين فيها من عديمى الجنسية • وتتهم الهند سيلان أيضا بأنها تتخذ وسائل ملتوية يتعذر بها على الهنود أن يحصلوا على حق الانتخاب حتى الذين منحهم القانون هذا الحق •

أن الهند عملاق هائل تحيط به دويلات صغيرة · وتدل التجارب النسبيهة بهذه الحالة على مدى التاريخ أنه لابد لها سواء طال الوقت أم قصر أن تتخذ من جيرانها موقفا أمبرياليا · وهى لم تبد صبرا ولا أظهرت تجملا فى علاقتها مع سيلان بهذا الخصوص ، وكانت فى علاقتها مع الباكستان أقل صبرا · ولعل نهرو هو الذى يكبح من جماح الهند فى الوقت الراهن فهو يمثل الاعتدال دائما بين قادة حزب المؤتمر · واذا غاب نهرو فلن يكون عجيبا أن ينقضى اعتدال الهند بغيابه ·

* * *

الفصل الثالث «١٣»

الفراغ
فى جنوب شرقى آسيا

تؤمن مجموعة الدول الافروسية بعدم الانحياز ، وهى تؤدى دورا أخذت أهميته تزداد فى السياسة العالمية ، وتقع أغلب هذه الدول فى الشرق الاوسط وفى جنوب شرقى آسيا • ويحسن بنا أن نعتبر الهند والباكستان وسيلان ضمن منطقة جنوبى شرقى آسيا ـ وهى موضوع الحديث فى هذا الفصل ـ أما باقى المنطقة فتشمل دولا شتى تقوم فى شبه الجزيرة المطلة على المحيط الهادى والهندى ، وسلسلة الجزر الممتدة جنوبى الصين فى اتجاه استراليا • وتبدو هذه المنطقة معرضة لخطر الشيوعية فليس بالمتعذر عليها أن تمد فيها نفوذها ، ونظرا لما لهذه المنطقة من أهميه بالغة فى الشئون العالمية فان قلق الغرب يشتد من أجلها . وليس لدول الغرب الا ممتلكات قليلة للغاية تلتزم بالدفاع عنها فى منطقة جنوبى شرقى آسيا ولكن اذا هى سقطت فى أيدى الشيوعيين فان ذلك سيؤثر فى مركز الغرب بل سيؤدى الى تغيير ميزان القوى فى العالم أجمع • ولذلك تبذل دول الغرب جهودا كبيرة حتى تحول دون وقوع ذلك •

والموقف شديد التعقيد بالنسبة للغرب • فقد كانت معظم الدول الواقعة فى جنوبى شرقى آسيا مستعمرات ظلت تابعة للدول الغربية الى عهد قريب • وقد كان ظهورها كدول مستقلة أحد المظاهر الهامة لنشأة القوميات غير الاوروبية بوضعها قوة حيوية ذات أثر فى التاريخ فى عالم ما بعد الحرب • وكان أول غرض استهدفته هذه القوميات بلا ريب ، هو انهاء الحكم الاستعمارى ؛ ونظرا لما يخامر حكومات هذه الدول وشعوبها من شكوك فى الغرب عميقة الجذور فانها اعتقدت أن

ما يقترحه عليها من عروض التحالف ليس الا أقنعة تخفى وراءها محاولات بقصد استعادة نفوذه السابق . وقد استغل الشيوعيون هذه النقطة الحاسمة الى أبعد حدود الاستغلال فظهروا بمظهر حلفاء للوطنيين ضد الاستعمار وشاركوا مرات عديدة فى نضرة الحركات الوطنية فى هذه البلاد • ويخالج هذه الدول شعور عميق بالقلق بسبب قيام دولة عظمى كالصين الشيوعية بجوارها ، الا أن أغلبها لا يأبه بتحذيرات الغرب بوجوب التأهب للدفاع عن نفسها وقد رفضت قبول معاونته من أجل هذا الغرض • فان هذه الدول ترى الغرب أشد خطرا على استقلالها من الصين الشيوعية •

ويتخذ التنافس بين الكتلة الشيوعية والغرب فى هذه المنطقة مظهر الصراع على الظفر بثقة الدول الواقعة فى جنوبى شرق آسيا ونيل تأييدها • فيمضي الغرب محاولا أن يغريها بالانضمام الى حلف جنوبى شرق آسيا *SEATO* وهى منظمة أقامها الغرب للدفاع عن هذه المنطقة ـ وأن يقنعها بقبول مساعدته على حماية أنفسها من اعتداء يحتمل وقوعه عليها ، بينما يحاول الشيوعيون أن يثنوها بواسطة الدعاية ووسائل الدبلوماسية عن قبول هذه المقترحات • وتعتقد الهند أن نية الاعتداء كامنة فى التوتر والمخاوف المنبثة فى هذه الارجاء ، وهى ترى أن المحالفات العسكرية أدعى الى اندلاع الخطر من أن تكون عونا على اقرار السلام وبث الطمأنينه • ويشير اتفاق معظم هذه الدول فى الرأى فى السنوات الاخيرة الى تتمتع به الهند من سلطان فى هذه الارجاء كما يشير أيضا الى نجاح الشيوعيين •

لقد اتخذت هذه الدول وجهتها نحو الحياد وذلك بالرغم مما هو واضح من أن الصين الجديدة تمثل خطرا داهما يتهدد هذه الدول الصغيرة التى تقوم فى جنوبى شرقى آسيا • وحتى اذا اسقطنا الخلاف المذهبى من حسابنا فان مجرد قيام دولة كبيرة على حدود دول أخرى صغيرة كفيل بخلق جو مشحون بعدم الاستقرار ؛ وليس يشك دارس التاريخ من أنه لابد للصين سواء أقرن الوقت أم بعد أن تمتد حتى تملا هذا الفراغ بجوارها الذى لا تحميه قوة • فاذا أضفنا الى ذلك أن كثافة سكان الصين أكثر مما تحتمله مواردها ازداد الاعتقاد فى أن غزو الصين للبلاد المجاورة لها هو أمر حتمى فضلا عن أن الصينيين

ينتشرون فى معظم دول جنوبى شرقى آسـية : ففى الهند الصينية مليون صينى من مجموع عدد سكانها البالغ ٢٩ مليونا ، وفى الملايو مليونان ونصف من الصينيين بينما عدد سكانها ٥½ مليون ، وفى اندونيسيا مليونان من الصينيين من تعدادها البالغ ٨٠ مليون ، وفى سيام ٢½ مليون صينى من تعدادها البـالغ ١٧½ مليون ، وتضم الفلبين وبورما نحو ٢٥٠ر٠٠٠ صينى من تعداد سكانهما البالغ على التوالى ٢٠ ، ١٩ مليونا ٠ وهؤلاء الصينيون طابور خامس قوى فضلا عن أنه مصدر لوقوع النزاع مع الصين ، فانها دائما على عدم تغيير رعاياها لجنسيتهم الصينية وان يظلوا خاضعين لسلطـان الوطن ٠ (لعل ذلك راجع الى الاهمية البالغة التي يعلقها الصينيون على الارتباط انعائلى فى الصين ــ فليس فى استطاعة الصينى أن يتجاهل ارتباطه بأسرته أبدا ــ ولكن قد يكون ذلك انعكاسا قد نتج عن اصرار الدول الغربية فى الحصول على مزيد من الحقوق لرعاياها عندما كانت الصين واقعة تحت سلطان هــذه الدول ، فـان ذلك مـا يؤثر فى الصينيين ويشعرهم بأهمية الانتماء الى الوطن ٠) وليس مما يستقيم معه أمر حكومة من الحكومات أن تجد قسما من ساكنى وطنها يعتبر نفسه تابعا لسلطان آخر خاصة اذا كان هذا السلطان الاخر هو دولة قوية تجاورها ٠ وأخيرا ، فان حكومة الصين هى حكومة شيوعية ومعنى ذلك أنه من المحتمل أن تكون الميول الشيوعية المثيرة للشبهة والداعية الى عدم الاستقرار قد أثرت فى هذه الاقليات ، وهذا أمر له خطره ٠

أهم من ذلك جميعا أن كل دول جنوبى شرقى آسيا تعيش الان فى مستوى خفيض للغاية مما يثير الذعر ، وهى منهكمة الآن فى كفاح حاد لرفع هذا المستوى ٠ ويستدعى ذلك التوسـع فى تطبيق النظـام الاشتراكى والى فقدان طبقة الملاك امتيازاتهم ٠ وتحاول هذه الدول فى الوقت الراهن أن تحقق تقدمها بالوسـائل الديمقراطيـة ، وان أبطأت هذه الوسائل من سيرها وقد لا تنتهى بها الى غاية مؤكدة ٠ أما فى الشمال منها فقد لجأت الصين الى وسائل تبدو سريعة وأوفى بالغاية ، وان ملايين من الاسيويين ليرقبون المثل الذى تضربه الصين ٠ ولا ريب أن اهتمامهم بها سيزداد اذا مافشلت الوسائل الديمقراطية ٠

الهند الصينية

كانت سلسلة الهزائم التى أنزلها اليابانيون بالقوات الاوربية عاملا هاما فى نشوء القوميات فى جنوبى شرقى آسيا وجعلها قوة هامه بعد انهاء الحرب • فاذا كر المرء بطرفه الى عام ١٩٤١ هاله أن يرى ذلك العدد الضخم من الاسيويين قد سيطرت عليهم حفنة من الموظفين الاوروبيين والجنود • ولم يكن ذلك ليتأتى لولا أمران ؛ أولهما أن طبقة أصحاب الاملاك قد وجدت من صالحها أن تتعاون مع الاستعمار ، وذلك مالم تستطع الاستمرار فيه بعد نشوء الروح القومية • والامر الثاني هو الهيبة التي كان يحظى بها الاوروبيون • وقد أدت انتصارات اليابان عليهم الى الاطاحة بهذه الهيبة للأبد . (ان شعوب تلك البلاد لا يعزون هزيمة اليابانيين بعد ذلك الى الغرب ، فان الشيوعيون يروجون القول بان انتصارات السوفييت فى الشمال هى التى أدت الى خروج اليابانيين فجأة من المناطق التى احتلوها !) وبالاضافة الى ذلك فان الاحتلال اليابانى كان أحد العوامل التى أثارت روح الوطنية فى أنفسهم • فقد أقام ذلك الاحتلال أول قيامه فيهم حكومات وطنية تحت شعار « آسيا للاسيويين » بدلا من النظام الاوروبى فى الاستعمار ، فقدح ذلك شرارة الشعور الوطنى ، ولكن أهم من ذلك أن تكشفت لهم حقيقة شعارات اليابان فلم يلبثوا أن تبينوا أنها ليست الا مظهرا أخفت وراءه رغبتها فى السيطرة عليهم • فنشأت حركات المقاومة ضد الاحتلال ولم تلبث أن تطورت فصارت كفاحا وطنيا انتشر فى معظم الاقطار المحتلة •

أن دراسة دولة واحدة ــ هى الهند الصينية ــ يعتبر انموذجا جليا لكل التجارب والاحداث التي وقعت فى هذه المنطقة عامة ويوضح حقيقة القوى الفعالة فيها ، خاصة أن هذه الدولة كانت مسرحا للنزاع فى السنوات الاخيرة فضلا عن أهمية موقعها الاستراتيجى • وقد كانت الهند الصينية خاضعة من قبل لحكم فرنسا وهى تشتمل الان على ثلاث دول فيتنام (وهى اتحاد يتكون من كوشن شين وتونكنج *Tongking* و أنام) و لاوس و كمبوديا • وقد كانت فيتنام ــ وهى أكبر الثلاث ــ المسرح الرئيسى للنزاع •

أنشأ هو شي منه *Ho Chi Minh* في عام ١٩٤١ جماعةدعاها فيت منه *Viet Minh* ، وقد نشأت في ذلك الحين جماعات كثيرة لمقاومة الاحتلال الياباني فكانت جماعة فيت منه احداها . وهوشي منه شيوعي قديم طلب العلم في فرنسا ثم سافر الى موسكو في عام ١٩٢٠ وقد أصدرت عليه الحكومة الفرنسيه حكما بالاعدام في عام ١٩٣٠ لقيامه بالدعوة الى الهياج ، فهرب الى الصين ولم يعد منها الا بعد أن وجد الفرصة سانحة أمامه خلال الحرب . وقد كان حزب فيت منه خاضعا دائما لقيادة هوشي منه الا أنه لا يمكن اعتباره حزبا شيوعيا الا بعد أن حاز انتصاره الاخير . وقد فعل ماو ذلك في الصين أيضا فظل يخفي صفة دعوته سنوات طويلة استطاع خلالها على أية حال أن ينال صفة كثيرين من الوطنيين الذين يعتنقوا الشيوعية .

عندما غادر اليابانيون البلاد التي احتلوها لم يكن من ثمة سلطة منظمة في الهند الصينية الا جماعة فيت منه ، فلما حاول الفرنسيون العودة أخذ هوشي في مفاوضتهم على أساس من الاعتراف بالجمهورية الديمقراطية التي أقامها في الشمال . وقد قامت مصاعب في البداية بسبب محاولته بسط نفوذه وراء المنطقة التي يقوم فيها سلطانه الفعلي . ثم استقر الامر في مؤتمر عقد في باريس على منحه استقلالا محليا . ولكن لم يقدر لهذا الاتفاق أن ينفذ ، فقد تجاهل الموظفون الفرنسيون في الهند الصينية تعليمات حكومتهم ـ وهذا أمر كثير الحدوث في تاريخ المستعمرات الفرنسية ـ وبادروا الى التآمر ضد هذا الاتفاق . فقامت الحرب الاهلية في ديسمبر عام ١٩٤٦

لم يقم هو شي الا بهجمات قليله في البداية ، فقد لجأ الى حرب العصابات وهي حرب لم يستطع الفرنسيون أن يقمعوها ، ثم بدأ يستحوذ على الارض قطعة بعد أخرى . (ولم يعن الاتحاد السوفييتي ولا الصين الشيوعية بهوشي منه الا في عام ١٩٤٩ ويبدو أنه لم يكن لهما ثقة فيما توقعه لنفسه من نجاح .) وقد بلغت جماعة فيت منه مبلغا من الخطورة دفع بالفرنسيين الى محاولة صرف بعض القوى الوطنية عن تأييدها . ولما كانت أهم دعايات هو شي منه هي مهاجمته للحكم الاستعماري ، لذلك لجأت فرنسا الى اعادة بو دى *Bao Dai* وهو رأس الاسرة المالكة في أنام فجعلت منه امبراطورا ـ وهي الوظيفة التي كان يتقلدها من قبل ، أيام الاحتلال الياباني . ولكن

لم تنجح المناورة • فقد كان بودى قليل النشاط محبا لمناعم الحياة بعد أن قضى معظم حياته فى الرفيرا ، فلم يثر شخصه الا قليلا من الولاء كما لم يكسب الفرنسيون أى تأييد شعبى خلال المفاوضات الطويلة التى أجروها مع حكومة هذا الامبراطور لاقامة نظـام مقبول للحكم • وليس في مقدور الفرنسيين مطلقا أن يقبلوا فكرة منح الحكم الذاتى لاحدى مستعمراتهم ، فلما أبدوا رغبة في التنازل حرصوا دائما فى كل عرض بالاستقلال أن يحيطوه بتحفظات ذات تفسير مطاط يعيد اليهم السلطان الاخير فى النهاية ، مما يثير الشكوك حتما فى اخلاصـهم • ولقد اضـطروا مرة اثر أخرى منـح بودى المزيد من الامتيازات رغبة فى اقناعه الى آن ارغموا فى النهاية أن يعرضوا على حكومته نصيبا من الحرية فى ممارسة السلطان أكبر مما كان هو شى منه على استعـداد لقبوله عـام ١٩٤٦ ولكن كانت وعود الفرنسيين غامضة دائما تبعث على الريبة ، وكانوا لا يدلون بهـا الا مرغمين ، ثم انها لم تكن تأتى الا متأخرة بعد أن لا يبقى مجال لقبولها • وهكذا لم يصل المتفاوضون الى الاتفاق حتى آخر لحظة فيما يختص بمنح الهند الصينية حق الحكم الذاتى •

أدت مواصلة الحرب فى هذه الاثناء الى تعجيز فرنسـا من حيث الرجال والموارد • أما حزب فيت منه فقد مضى يحكم قبضته فى الشمال ولم يلبث أن شرع فى الهجوم ، ولم تبدى قوات فيتنام ولا شعبهـا حماسا فى تأييد الفرنسيين أو الامبراطور الخاضع لهم • فيما حل عام ١٩٥٤ حتى استولى فى مطلعه حزب فيت منه على قلعه دين بين فو *Dien Bien Phu* وبدأ واضحا أن الفرنسيين على وشك الانسحاب • وكان سقوط الهند الصينية مما يهدد بورما و سيام و الملايو لذلك داخل الفزع كافة دو ل الغرب • وكان من المعتزم اقـامة مؤتمر فى جنيف الغرض الاساسى منه مناقشة اقرار لسلام فى كوريا ، فاثيرت أيضا الاحداث التى وقعت فى الهند الصينية بغرض الموافقة فى اقامة هدنة فيها •

* * *

مؤتمر جنيف عام ١٩٤٥

بدأ الاختلاف في اتجاهات الدول الغربية واضحا ازاء مشكلة الهند الصينية وازاء المؤتمر نفسه ٠ ففرنسا قد أجهدها النضال الطويل الميئوس من نتيجته ، فهي تريد الهرب من الهند الصينية محتفظة بكرامتها اذا أمكن ذلك ، ولكنها تريد الهرب على اية حال ٠ ولذلك عين رئيس وزرائها منديس فرانس وقتا حدده معلنا أنه سيقدم استقالته اذا لم توقع الهدنة قبل حلوله ٠ أما الولايات المتحدة فكانت كعادتها أشد الجميع عنفا في مواجهة الموقف ٠ وقد أشار دلاس قبيل سقوط دين بين فو الى استعمال الاسلحة الذرية ولكن لم يلبث أن تبين نكوص الدول عن تأييده في هذا التهديد الذي وجهه ٠ كما استنكر اقتراح المفاوضة مع حزب فيت منه في جنيف معلنا أن الشيوعيين لا يتقيدون بأي مواثيق يعقدونها ، وان كل هدفهم من المفاوضة ينحصر في اكتساب المزيد من الوقت يوسعون فيه من مدى سلطانهم خلال الفترة التي يتنازع الغرب فيها التردد . وأعلن أنه يقترح على الغرب أن يبادر بدلا من المفاوضة الى اقامة منظمة تدافع عن جنوبي شرق آسيا تكون ذات عزم وتصميم وتملك قوة حربية حقيقية أي « يكون لها أسنان » ، وأوضح أنه يجب اقامة هذه المنظمة في الحال ٠ ووافقت بريطانيا على أن تنفيذ هذا الاقتراح أمر ضروري في النهاية ، ولكنها أبدت اقتناعها بأنه لابد من اتاحة الفرصة أولا للشيوعيين حتى يدللوا على مدى استجابتهم لداعي التعقل ، وأنه ليس من الحكمة أن يأتي مندوبو الدول الى ثلة المؤتمر وكل منهم « يخفي سلاحه وراء ظهره » ٠ أو أنها بعبارة أخرى قد أصرت على وجوب مناقشة موضوع الهند الصينية أولا في المؤتمر قبل أن يبدأ مناقشة تكوين الحلف العسكري ٠ وقد وقفت استراليا ونيوزلندا وهما مشتركتان مع الولايات المتحدة في ميثاق انزس *ANZUS* المعقود في عام ١٩٥١ موقفا وسطا فاشارتا الى أن تخطيط الشكل الذي ستقوم المنظمة العسكرية على أساسه سوف يستغرق بعض الوقت ، وأنه لن يتاح اقامة هذه المنظمة فعلا قبل انتهاء مؤتمر جنيف ، واقترحنا الاخذ بالسياستين معا في وقت واحد ٠

تم بلوغ الاتفاق فى جنيف قبل أن يلتئم عقد المؤتمر الذى دعى لتكوين الحلف العسكرى · وقد عانت حكومة الولايات المتحدة حرجا كبيرا خلال مؤتمر جنيف لسابق مسلكها فيه · فهى لم توافق على اجراء المفاوضات اذ كان فى الولايات المتحدة من يتحدثون عن « سياسة التهدئة » وعن « ميونخ جديدة » ولم يكن باستطاعة مندوب أمريكا فى ذلك الحين أن يصافح ممثلا الصين الشيوعية أو حكومة فيت منه وقد دعى كلاهما بالطبع الى المؤتمر · ولذلك سلكت الحكومة الامريكية طريقها فى حرص بالغ ، فلم يحضر كبار مندوبيها الىالمؤتمر الا مرة أو مرتين اثنتين وقصرت تمثيلها فيه على مندوبين صغار حلقوا حول المناقشات وندر اشتراكهم فيها اشتراكا مباشرا · فلما تم الاتفاق أخيرا لم توقعه الولايات المتحدة مع بقية الدول بلأصدرت بيانا على حدة أوضحت فيه وجهتها ·

كان واضحا أن الشيوعيين قد كسبوا الحرب وان الاستمرار فى القتال سوف يتيح لهم نيل كل ما يريدون ولذلك عمت الدهشةالغرب حين وجدهم قد وافقوا على قبول الهدنة · ولقد ذكرت تعديلات شتى لهذا الموقف المعتدل الذى اتخذه الشيوعيين ولعلها جميعا صادقة · فأولا ــ واضح أن مؤتمر جنيف كان أول خطوة اتخذها الشيوعيون لبدء « حملة السلام » التى استمرت من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٦ولعل هذه الحملة قد استهدفت الظفر ببعض الامتيازات فيما يتعلق بموضوع المانيا وهو موضوع حيوى وهام بأن أخذت تعرض صورا تدل على تعقل الشيوعيين وانزالهم · (عقد الاتحاد السوفييتى عقب انتهاء مؤتمر جنيف اتفاقية مع النمسا وحاول مصالحه يوغوسلافيا ، كما أعاد بوركالا *Porkkala* و بورت أرثر ، كذلك أبدى مسلكا مرنا فيما يختص بنزع السلاح وغير ذلك) · ثانيا ــ يهدف هذا الاتفاق الى عزل الولايات المتحدة والدعوة الى عدم الثقة فيها · ثالثاــ يحتمل أن تنجح حكومة فيت منه ــ مع محافظتها على الشروط التى انتهى اليها اتفاق جنيف ــ فى الاستحواذ على الهند الصينية بأجمعها بالوسائل السلمية ــ وهذا أفضل من وجهة النظر الدبلوماسية من الاستحواذ بواسطة القتال · وأخيرا ــ فان اتفاق جنيف لم يتم الا لان الغرب سلم بأمور كان يرفض دائما قبولها فى ظروف مشابهة · فقد وافق على توحيد الدوله بواسطة اجراء انتخابات دون الحصول على ضمانات تؤكد حريتها فى الجزء الواقع تحت سلطان الشيوعيين ·

وتتلخص أهم بنود اتفاق جنيف في التسليم بسلطان حكومة فيت منه على المنطقة الواقعة شمال خط عرض ١٧ وان تقوم حكومة فيتنام في المنطقة الواقعة جنوبها • وأن تبدأ في يوليو عام ١٩٥٥ (أى بعد عام) مناقشة الاجراءات التي ستتخذ لعقد انتخابات عامة بحيث تبدأ في يوليو عام ١٩٥٦ بقصد اقامة حكومة واحدة للدولة كلها وان تقوم لجنة اشراف دولية ثلاثية بمراقبة هذه الانتخابات تتكون من مندوبين عن الهند و بولندا و كندا على أن تكون قراراتها بأغلبية الاصوات • (ولكن لم يحصل الغرب على ما يؤكد تخويل هذه اللجنة سلطانا يتيح لها في النهاية أن تحقق الغرض الذى قامت من أجله •) هذا فيما يتعلق بدولة فيتنام ، أما الدولتان الصغيرتان لاوس و كمبوديا فان حكومة فيت منه قد طالبت بالاعتراف بسلطانها فيهما • ولكن لم يكن قد شب القتال في أى من هاتين الدولتين ، وبدأ واضحا أن هذا المطلب من حكومة فيت منه ليس الا تطفلا في شئونهما فليس لهذه الحكومة مؤيدون في أى من هاتين الدولتين ولذلك تم الاتفاق على وجوب انسحاب فيت منه وقوات الاتحاد الفرنسى كليهما من كلتى الدولتين • وهناك حركة مسلحة أخرى تدعى باثات لاو *Pathet Loa* وهى منفصلة عن فيت منه وان تشابه غرضاهما ، وقد تمت الموافقة على الاعتراف بانشاء حكومة محلية يقيمها هذا الحزب في شمال لاوس على أن تكون خاضعه لسلطان الحكومه المركزية •

كما انتهى الاتفاق الى أمر آخر هو عدم التصريح لاى قوة أجنبية بدخول الهند الصينية — لم تعتبر جيوش الاتحاد الفرنسى أجنبية بالطبع — ، وان لا تنضم أي حكومة من حكوماتها الاربع الى أى محالفة عسكرية • وقد ختمت الحكومة الامريكية بيانها الذى اصدرته على حدة بأن قالت أنها وان كانت لن توقع الاتفاق الا أنها لن تتخذ أى اجراء عسكرى لنقض احكامه ، وأضافت أنها سوف تنظر باهتمام الى أى انتهاك يحدث لهذا الاتفاق •

* * *

حلف جنوبي شرق آسيا

لم يكد ينفض مؤتمر جنيف بعد أن تم عقد الاتفاق حتى التأم مؤتمر آخر في مانيلا عاصمة الفلبين ليبحث في تكوين حلف مشترك لجنوبي

شرق آسيا يعرف باسم *SEATO* × تنص بنوده على مايلى :

١ — فى حالة قيام هجوم مسلح فى المنطقة التى يشملها هذا الحلف فانه يجب « اتخاذ اجراء يتفق مع الدستور » وقد استدعى الوضع الدستورى فى الولايات المتحدة ذكر هذه الجملة المبهمة بعض الشىء ، ذلك أنها لا تستطيع أن تشهر حربا الابعد موافقة الكونجرس أولا وقد نص على ذلك فى حلف الاطلنطى *NATO* (بالرغم من ذلك فان الولايات المتحدة قد أكدت أنها سوف تتقيد تمام التقيد بالالتزام الصادر منها) ٠

٢ — أنه فى حالة حدوث أى تهديد — واضح أن المقصود هو قلب نظام الحكم أو التأهب للاعتداء — يجب أن يتم التشاور لاتخاذ ما يناسب ذلك التهديد من اجراءات مضادة ٠

٣ — تم الاتفاق على قيام هيئة للتخطيط المشترك فاستلزم ذلك اقامة مؤتمر فى بانجكوك خلال شهر فبراير عام ١٩٥٥ ٠ وبالرغم من أن شروط اتفاق جنيف تحول دون انضمام دول جنوبى فيتنام و لاوس و كمبوديا الى هذا الحلف ٠ وتمتد هذه المنطقة الى خط العرض الشمالى ٢١½ درجة بحيث تدخل فيها الهند الصينية على حين تظل هنج كنج وفرموزا خارجتين عنها ٠

وقعت هذا الحلف كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلاندا والفلبين وسيام والباكستان ٠ ولم يكن من المنتظر أن تنضم الباكستان الى هذا الحلف ، وقد استجاب مندوبو الدول الى رجائها فلم يتحدد فى ميثاق الحلف نوع الاعتداء الذى يلتزم بالتصدى له وبذلك صار الحلف غير مقتصر على مجابهة الاعتداء الشيوعى فحسب كما كانت تعتزم الولايات المتحدة ٠ ومغزى هذا الرجاء من الباكستان أنها لم تنضم الى الحلف خشية من هجوم الشيوعيين عليها بل كانت خشيتها من الهند أشد ٠ ولقد أضافت الولايات المتحدة ملحقا لميثاق الحلف على أى حال أصدرته على حدة

× حلف جنوب شرقى آسيه SOUTH EAST ASIA TREATY ORGANIZATION

فذكرت فيه أن جملة « هجوم مسلح » الواردة في هذا الحلف لا تعنى بالنسبة لها الا هجوما يقوم به الشيوعيون · وقد صدر « ميثاق الباسفيكى » ملحقا أيضا بهذا الحلف وهو الميثاق الذى نوه بالحاجة الى التعاون لنشر العمران فى انحاء المنطقة ورفع مستوى المعيشة فيها · وقد اعتبر ذلك الميثاق دلالة على اتساع مدى ما ستقدمه الولايات المتحدة من معاونة الى مشروع كولمبو ، وظل الحديث يتردد شهوراحول هذا الامر فى دوائر الحكومة الامريكية عقب ذلك ، الا أنه لم ينتج عنه تغيير واضح اللهم الا فى المعونة واسعة المدى لاقصى حد التى تقدمها امريكا الى دولة جنوبى فيتنام ·

وثمت مشهد طريف في هذا الحلف · فقد أخذت الولايات المتحدة على نفسها بموجبه التزامات كثيرة هى أوسع مدى مما ارتضت قبوله فى حلف أنزاس · والواقع أن حلف جنوبى شرق آسيا هذا يمثل الولايات المتحدة وهى متجهة تدريجيا وفى تمنع نحو قبول التعهد بالتزامات سوف يظل يتسع مداها الى أن تشمل أنحاء العالم جميعا· وان امتناع الولايات المتحدة لهو سمة أخرى خاصة بها وقد تجلت حتى فى حلف جنوبى شرق آسيا ، فانها رفضت الموافقة على اقامة قوة كبيرة من جنودها فى هذه المنطقة فتسبب ذلك الرفض فى فزع باقى الدول المشتركه فى الحلف وخاصة الفلبين · فالولايات المتحدة تفضل بوجه عام أن تساعد الحكومات على الدفاع عن أوطانها بدلا من أن تعاونها بالجنود الامريكيين مباشرة ، والكن من الواضح أن دول جنوبى شرق آسيا لا تستطيع أن تعبىء قواتها الا ما يكفى بالكاد لتعطيل ما تتعرض له من هجمات · (فضلا عن ذلك فان عدم وجود قوة « كافية » فى هذه المنطقة يؤدى الى مشكلة لها خطرها ، وهى مشكلة أخرى تتعلق بدفع الاعتداء ، فهل ستواجه الولايات المتحدة هذا الاعتداء باللجوء الى الوفاء بالتزاماتها بواسطة القنابل الذرية أم أنها ستتنحى عندئذ جانبا وتكتفى بمراقبة الاعتداء الى أن يبلغ غايته ؟) الواقع أنه رغم المسلك الذى انتهجته بريطانيا واستراليا ونيوزلندا فى مؤتمر جنيف فقد عاونت على ابراز « أسنان » حلف جنوبى شرق آسيا بأكثر مما صنعت الولايات المتحدة · فلقد أنشأت بريطانيا معسكرا صغيرا فى الملايو ساهمت فيه كل من استراليا و نيوزلندا بفرقة من المشاة وأربعة أسراب من الطائرات وسفينتين حربيتين ·

وقد قدمت هاتان الدولتان تلك المعدات بموجب ميثاق *Anzam* بوصفهما تمثلان دفاع الكومنولث عن منطقة جنوبي شرق آسيا . (واضافه الى ذلك فقد تنحت نيوزلندا عن تعهدها السابق بالاشتراك في الدفاع عن الشرق الاوسط والتزمت ـ بموافقة بريطانيا ـ بالدفاع عن هذه المنطقة ، وقد تم ذلك أيضا بالنسبة لاستراليا منذ انتهاء الحرب .)

ليس القيام بعمليات حربية فيهذه المنطقة بالامر المحتمل فيالوقت الراهن ، ولكن اذا استلزمت الظروف قيام دول حلف جنوبي شرق آسيا بالقتال فلا بد أن يقع عبء ذلك فى أغلبه على عاتق جيش الولايات المتحدة . ويجتمع هذا الحلف فى مواعيد منتظمة ، كما تدأب لجنة التخطيط الحربى التابعة له على أجراء تخطيطات مشتركه بين الدول الاعضاء كما تقوم أيضا بتدريبات مشتركة ، الا أن الحلف رغم ذلك لا يملك أى قوة ثابتة كالقوات التابعة لحلف الاطلنطى مثلا ، وهو لا يرجو أن تكون له مثل هذه القوات . ومن الغريب أن الدول الموقعة على ميثاق انزاس لا تزال تجتمع على حدة ، ولكن دولتى الدومنيون استراليا ونيوزلندا لا تملكان مزيدا من القوات وبذلك فان تأثيرحلف جنوبى شرق آسيا قائم فى الاغلب على مسلك الولايات المتحدة ازاء ما أخذته على نفسها من التزامات .

* * *

مؤتمر باندونج

بات من المعتقد بعد ارفضاض مؤتمر مانيلا أنه لم يكن الا مجرد بداية ، وان كثيرا من دول جنوبى شرقى آسيا لن تلبث أن تنضم الى هذا الحلف . وكان ثمت احتمال كبير بان بورما على وجه الخصوص ستصبح أحد أعضائه . ولكن كان اتجاه الدول قد انصرف على أىحال منذ عام ١٩٥٤ عن عقد محالفات مع الغرب بعد أن تعرض الى أسوأ أنواع المنافسة الدبلوماسية . وكانت قد خفت وطأة القلق الذى انتشر بين دول جنوبى شرق آسيا فيما يتعلق بنيات الصين ، كما اشتد موقف هذه الدول ثباتا فى اتجاهها نحو الحياد . وكان مؤتمر باندنج الذى عقد فى عام ١٩٥٥ من أهم مواقف الحسم فى هذاالاتجاه .

كان تصرف دول الغرب ازاء مؤتمر بندونج أحد المظاهر الداله على ما هو معروف عن تلك الدول من نقص الفهم تجاه مشاعر الاسيويين. فقد تجاهلت الصحف الغربية الدعوة التى وجهتها « مجموعة دول كولمبو » (هى الهند والباكستان وسيلان وبورما وأندونيسيا . وقد ثابرت هذه الدول على عقد اجتماعات بينها من وقت لآخر دارسة ما يهمها من المواضيع المشتركة بينهما) . واستجابت لها أغلب دول آسيا وافريقيا المستقلة عدا اسرائيل . فاذا كانت بعض الجرائد الغربية قد ذكرت أمر هذه الدعوة فانها لم تذكرها الا من باب الفكاهة وهى تتعجب من المصالح التى يمكن أن تأتلف عليها هذه المجموعة الغريبة الاختلافات من الدول وهى المتفرقة فى شتى أركان المعمورة. (نوهت الابزرفر فى مطلع عام ١٩٥٦ وهى تحصى حوادث العام السابق أن مؤتمر بندونج كان أهم ما وقع من أحداث عام ١٩٥٥ . والواقع أن الغرب قد فشل فى أن يدرك أن مجرد القيام بتوجيه الدعوة الى الدول « الافروسية » لعقد المؤتمر كاف فى دلالته على أنها تشعر فعلا بان لها كثيرا من المصالح المشتركة بينها ، فانها تتشابه جميعا فى كونها دولا صغيرة متخلفة اقتصاديا فهى لم تتحرر من ربقة الغرب الا منذ حين قريب .

وقد لحق دول الغرب ضرر كبير لسوء الحظ من جراء هذا المؤتمر ، فلقد دعيت الصين لحضوره فاوفدت وزير خارجيتها شو ين لاى ليمثلها فيها ، وقد استطاع أن يحسن الاستفادة من الموقف . ومن أهم المظاهر ذات الدلالة فى هذا المؤتمر أن الصين قد اعتبرت احدى الدول الأفروسية ، فراعى شو ين لاى أن يسلك مسلكا يدل على حسن الادراك . فنجح فى تبديد المخاوف التى كانت تخامر دول جنوبى شرق آسيا . ولقد استطاع أن يترك أثرا حميدا فى موضعين على الخصوص : أولهما ، حين سلك مسلك المصالحة بخصوص فرموزا كما لاحظنا ذلك فى فصل آخر . والثاني ، اعلانه أنه على استعداد لمفاوضة دولة أندونسيا فيما يتعلق بجنسية الصينيين الذين أقاموا فيها طويلا. ويمثل كلا هذين الرأيين تغيرا مفاجئا فى جذور سياسة الصين . وفضلا عن ذلك فقد ظل شوين لاى عند وعده فلم يلبث عقب ذلك أن شرع فى المفاوضة حقا مع الولايات المتحدة ، كما تنازل عن مطالب الصين فى السيادة على عدد كبير من الصينيين فى أندونسيا . (وقد

قـدم النصح أخيرا الى الصينيين الذين طالت اقامتهم فى الملايو أن يتقبلوا جنسية هذا البلد) •

كان نجاح المؤتمر تأييدا واضحا لسياسة الحياد التى نادى بهـا نهرو • وقد اشتركت فيه دولتان من الدول المنضمة الى حلف جنوبى شرق آسيا هما الباكستان وسيام ، كذلك اشتركت فيه سيلان التى مثلها جون كوتيلالا ، ولقد اساءت هـذه الدول الى مركز الغرب بمـا وجهته فى ذلك المؤتمر من هجمات مهينة الى فرموزا بطريقة فجة • فلم يكن هذا التصرف منها متفقا مع الجو الذى أقامه شو ين لاى • لقد كان من الممكن مواجهة حكومة الصين الوطنية ولكن ليس بالطريقة التى اتبعتها هذه الدول •

قامت الدلائل عقب مؤتمر بندونج على تأصل الشعور بالحياد فى انحاء شتى من العالم ، فكف عن اعتقاده من كان يتوقع انضمام دول جديدة الى حلف جنوبى شرق آسيا • ويعتبر ميثاق « بانش شيلا » شعارا تتميز به كتلة الحياد وهو يشتمل على خمسة مبادىء للتعايش بين الامم ، وقد وقعته كل الدول المنضمة الى كتلة الحياد ؛ كل دولتين فيما بينهما • وهذه هى المبادىء :

١ ــ الاعتراف بسيادة كل دولة داخل حدودها •

٢ ــ عدم الالتجاء الى العنف •

٣ ــ المساواة •

٤ ــ عدم تدخل أى دولة فى شئون سواها •

٥ ــ التعايش السلمى •

وكانت بداية هذا الميثاق عندما وقعته الهند والصين أول مرة عقب اخضاع الاخيرة للتبت وتنازل الاولى عما كان لها من مصالح فى ذلك البلد • وفضلا عن ذلك ، فقد ظل شوين لاى عند وعده فلم يلبث عقب ذلك تم وقعته مع الصين كل من بورما وأندونسيا وكمبوديا ولاوس ونيبال ، كما وقعتـه كل دولة من هؤلاء مع الاخرى ومع الهنـد فى مناسبات شتى • ويعتبر توقيع لاوس وكمبوديا على الاخص لهـذا

الميثاق مما يضعف من شأن حلف جنوبى شرق آسيا • (مصر والسعوديه ويوغوسلافيا من الدول التى وقعت ميثاق بانش شيلا•) وفضلا عن ذلك فقد أخذت الرغبة فى الحياد تزداد ظهورا فى سيلان والباكستان واليابان كما سبق ملاحظه ذلك ، بل أن ثمت نذرا للحياد بدت فى الفلبين •

اذا نحن ضربنا صفحا عن الرأى الذى يراه حلف جنوبى شرق آسيا بالنسبة لهذا الحياد وجدنا أن انتشاره انما يرجع فى بعض أسبابه الى تقليل الصين من تهديداتها بالحرب • فان الصين تملك المبادأة ، وهى تبدو غير ميالة فى الوقت الراهن الى شغل نفسها بالمخاطرات ، فان لها من المشاكل الداخلية الهامة ما يكفى ليحول لبعض الوقت بينها وبين البحث عن مشاكل فى الخارج • ويبدو أن التنافس بين الشيوعية ودول الغرب الذى قام أساسه على الحرب قد تحول خلال مؤتمرات جنيف ومانيلا وباندونج الى الميدان الدبلوماسى بمحاولة كل من الكتلتين أن تحصل على تأييد الدول غير المنحازة ، ثم تحول هذا التنافس بعد ذلك الى صورة ثالثة من التوسع الاقتصادى والتنافس على تقديم المعونات الاقتصادية • وسوف نتحدث قبل أن نختم هذا الفصل عن ذلك المظهر من المنافسة الاقتصادية ، ولكننا سنحاول أولا أن نتحدث عن باقى الدول الواقعة فى جنوبى شرق آسيا والتى لم يسبق لنا دراستها تفصيلا •

* * *

سيام

يبدو أن الآسيويين يبغضون الاستعمار أكثر مما يخشون الشيوعية • ولكن هناك دولا كان الاستعمار فيها أقل وطأة ، ثم تخلصت منه بعد ذلك دون أن تعانى فى طرده مشقة كبيرة • وهذه الدول هى أقل دول المنطقة عنفا فى معاداة الاستعمار ، وهى تبدو أكثر استعدادا لاعتناق وجهة نظر الغرب • ولا ترشدنا هذه القاعدة الى التحليل الدقيق لكل الحالات ولكنها تنطبق على أغلب الدول الناشئة • والباكستان تعتبر مثالا لما نقول فهى تدين بحريتها بل

بوجودها نفسه الى بريطانيا وهى على الاقل قد انضمت الى حلف جنوبى شرق آسيا وان اختلف دافعها الى ذلك عن دوافع باقى الاعضاء، ولكنها تميل الآن نحو الأخذ بمبدأ الحياد ٠ كذلك سيلان فانها اتجهت فى مبدأ الأمر اتجاها مواليا لبريطانيا كما رأينا من قيام كوتيلاولا بعرض وجهة نظر الغرب فى مؤتمر بندونج ٠ وكان المعتقد أنه لم يمض فى الشوط فينضم الى حلف جنوب شرق آسيا الا لخشيته من اثارة عداء الهند لسيلان . ولكن لم يلبث خليفته باندرانيكه أن ازداد اقترابا من صفوف المحايدين وان بدأ حياد سيلان أمراموقوتا فانها أشد دول الحياد مناصرة لبريطانيا ٠ فاذا نحن نظرنا نحو الهند وجدنا أنها نالت استقلالها خالصا من كل قيد ، ولكنها لم تبلغه الا بعد كفاح طويل شاق ، وفضلا عن ذلك فان دافعها الى الحياد - كما رأينا فى فصل آخر - انما يصدر عن أسباب كثيرة متشابكة ٠

أما سيام فان تجربتها فريدة فى بابها بين دول جنوب شرق آسيا، فهى لم تكن قط مستعمرة ٠ ولذلك فان القاعدة التى سقناها فى مطلع هذا الحديث تنطبق عليها تمام الانطباق ٠ أن موقع سيام الجغرافى قد جعل منها فى الماضى سياجا يقوم بين منطقتى نفوذ الفرنسيين والانجليز فى هذه الجهات ولعل هذا هو سبب احتفاظها باستقلالها ، ولكن ثمت سببا آخر لذلك يكمن فى تقاليد سيام فصانت به استقلالها على مدى الدهور هو امتناعها عن مقاومة أى ضغط يأتيها من الخارج ، ولذلك لم تمس الحاجة أحدا الى بسط سلطانه عليها ٠ وعلى أية حال ، فان المناداة بعداء الاستعمار لا تجد مشايعين لها فى هذه الدولة المتأخرة سياسيا ٠ والفلاح السيامى لا يهتم بالسياسة ، وهو يعيش فى مستوى أفضل من باقى الفلاحين فى آسيا وان كان انخفاض أسعار الارز أخيرا قد الحق به بعض المتاعب ، وخاصة فى المناطق الواقعة فى الشمال ٠ وقد ظل المارشال بيبال سونجرام *Pibul Songgram* يرأس حكومة سيام الحالية الى سبتمبر عام ١٩٥٧ وكان قد تولى الحكم فى عام ١٩٤٧ عقب انقلاب عسكرى أطاح بالنظام الذى سبق أن أقامته الاحزاب اليسارية بعد أن ارتفعت الى سنام الحكم بالطريقة نفسها ٠ وقد ألغى بيبال فى عام ١٩٥١ البرلمان الذى كان قائما على أساس من انتخاب كل الاعضاء فيه ، وعاد الى الاخذ بالنظام الذى كانت تعمل به سيام قبل الحرب وينتخب بموجبه نصف أعضاء البرلمان بينما تعين الحكومة النصف الآخر ٠ وبذلك أقام بيبال نظاما جوهره

الدكتاتورية ، وان كان قد خفف فى العام الاخير من ولايته للحكم بعض القيود المفروضة على حرية الرأى . ويثنى الكثيرون على النظام الحازم المعقول الذى اتخذته حكومته باعتباره خير نظام لحكم دولة لم تبلغ بعد ما يؤهلها للحكم الديمقراطي • وينتشر في سيام الآن التبرم بوطأة النظام الدكتاتورى ويبدو أن الوقت قد حان للاتجاه نحو اقامة حكومة ديمقراطية •

وتدرك سيام مدى خطر الصين الجاثم بجوارها وخاصه بسبب دأب الصين على تأييد الفكرة الداعية الى اقامة « دولة ثاى *Thai* الحرة » والثايون جنس يقيم فى شمال سيــام (ثايلاند اسم آخر يطلق على سيــام •) وهم منتشرون فى جـزء من بورما ولاوس وولاية يونان التابعة للصين • ولما كانت حراسة الحدود أمرا متعذرا فى تلك الانحاء، ولأن الثايين لا يمتازون بلغة معينة أو مظهر خاص ، لذلك تجد الحكومة مشقة فى الحيلولة دون تسربهم • ويبدو أن زراعة الارز التى جعلت من سيام أكبر دولة مصدرة له فى العالم مما يثير اهتمام الصين بها • وقد تقبلت حكومة سيام عونا كريما قدمته اليها أمريكا ، وهى بدورها تدأب بدافع من نفسها على تأييد السياسة الامريكية والانتصار لها •

وقد وقع نزاع بين القادة العسكريين الذين بيدهم الحكم فى سبتمبر عام ١٩٥٧ فنحى بيبال وخلفه فى عمله المارشــال ســاريت *Sarit* وهو أحد زملائه • ولا يبدو أن هذا التغيير سيؤثر على سياسة سيام الخارجية ، وأن يكن من المحتمل أن يتوقف التيار الذى كان يتجــه فى حذر نحو محاولة اقامة حكم ديمقراطى •

* * *

الفلبين

مستعمرة أمريكية منذ خروج الاسبانيين منهــا فى عــام ١٨٩٩ وقد ظلت مصدر ضيق دائما لامريكا بسبب تقاليدها التى تعارض بقوة فكرة استحواذها على مستعمرات فأدى ذلك الى أن وعدتها فى عام ١٩٣٦ بمنحها الاستقلال فى خلال عشر سنوات ــ وافق الكونجرس

على هذا القانون نظرا لان استقلال الفلبين سيؤدى الى زيادة التعريفة على ما يرد من بضائعها الى أمريكا ، وهذا الامر من مصلحة التجارة الامريكية ــ وقد حافظت الحكومة الامريكية على هذا الوعد منها ٠ ولم تلبث أن أعلنت الجمهورية في الفلبين في عام ١٩٤٦ ووقعت معاهدة دفاع مشترك بين البلدين تنص على ضمان مساعدة الجيش الامريكى للفلبين نظير الحصول على قواعد٠ (استبقت الولايات المتحدة فى بادىء الامر ملكيتها للارض التى تقوم عليها القواعـد ، ولـكن هياج أهل الفلبين أدى الى تنازلها عن ملكيتها وحصلت نظير ذلك على ترخيص بحق استعمالها ٠) ٠

عانت جمهورية الفلبين من فساد حكومتها وعدم كفاية رجالها فى السنوات الاولى من قيام الجمهورية ٠ وفضلا عن ذلك فقـد نشـأت اضطرابات خطيرة بسبب الاغارات التى كان يقوم بها رجال العصابات الشيوعيون وقد عرفوا باسم هكبلهـابز *Hakbalahabs* فلم تستطع الحكومة قمعهم ٠ فان الفلاحين كمالوف العادة فى آسيا قـد أيدوهم تأييدا سـلبيا لما كانوا يلقونه من عنت تحت وطأة نظـام الاقطاع ٠ ثم انتخب الرئيس ماجزايزاى *Magzayzay* فى عام ١٩٥٣ وقد عرف عنه النشاط والمقدرة والحصافة فنظر بعين الاهتمام الى مظالم الفلاحين ٠ والواقع أنه لم يكد يتولى منصبه حتى تم قمع عصابات الشيوعيين ٠ ولقد قتل هذا الرئيس لسوء الحظ فى حادث طائرة عام ١٩٥٧ والمأمول أن يماثله خلفاؤه فى غيرته على الاصلاح ٠ وتولى الحكم بعده نائبه ح٠ب٠جارسيا *Garcia*

* * *

أندونيسيا

هذه احدى دول جنوبى شرق آسيا التى رفضت الانضمام الى الحلف، وهى أشد الدول بعد الهند معارضة فى قيام الاحـلاف العسكريه ٠ وأندونيسيا تعتبر مثالا واضحا للدول التى عانت الاستعمار وشقيت به ٠ فهى لم تنل استقلالها الا فى عام ١٩٤٩ بعد أن خاضت حربا أهلية طال أمدها وعنقت وقائعها بسبب اصرار هولندا على استعادة

هذه البلاد عقب الاحتلال الياباني • ولقد نمت الروح الوطنيـة فى اندونسيا خلال مقاومتها لليابانيين وان كانت هذه الروح قائمة من قبل وحاول الهولنديون عبثا أن يقضوا عليها • وقد انسحبت هولندا منها فى النهاية فى عام ١٩٤٩وكان ضغط أمريكا وانجلترا واستراليا أكبر دوافعها الى ذلك الانسحاب • وتبدى أندونسيا أشـد مظاهر العداء للاستعمار وكذلك للشيوعية • وقد كان الحزب الشيوعى دائما أحد أحزاب أربعة تتقاسم بالتساوى تقريبا مقاعد البرلمان ، وبذلك أتيح له بعض السلطان على الحكومات (قبلت الحكومة فى عام ١٩٥٧ قرضا مقـداره ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار من الاتحـاد السوفييتى •) ومعظم سكان اندونسيا مسلمون ، وتمثل الاحزاب الثلاثة الاخـرى طوائفهم المختلفة •

خلف الهولنديون أيضا لاندونيسيا نظاما للحكم تنقصه الـكفاية ومن الاشياء التى لها دلالتها أن نواجه ذلك الامر مرة ثانية فى دولة اسلامية أخرى • ولكن حكم اندونسيا أمر عسير على أى حال لكثرة سكانها الذين يبلغ تعدادهم ثمـانين مليون نسمـة قـد انتشروا فى سلسلة من الجزر متفاوتة المساحة تمتد الى مثل المسـافة بين لندن والقاهرة • وفضلا عن ذلك فانها تضم عشرات من الاجناس المختلفة واللهجات المتباينة • ولكن كان أشد ما واجهته من المشاكل أن هولندا لم تتح لسكانها أى نوع من التدريب على شئون الحكم ولا حتى فى المنظمات المحلية فقد كانت تبطش بكل محاولة من هذا النوع يقوم بها الاندونيسيين ولذلك فانها تكاد تكون خالية الآن تمـاما من حكام أكفاء • وتكاد تكون الحياة فى أندونسيا فوضى مطلقة فأقسام الحكومة غير متصلة بفروعها فى الخارج ، ورجال البوليس عاجزين تماما عن حماية المنـازل التى يسرق كل منزل منهـا بمعـدل مرتين كل يوم ! (لا جدوى الآن فى اندونسيا من امتلاك شىء ذى قيمة تمكن سرقته!) والحكومات غير مستقرة ، ورؤساء المصالح يدأبون على تجاهل الحكومة المركزية • وقد أقام قادة الجيش فى سومطرا وسلبيس Celebes) حكومتين للثورة فى نهاية عام ١٩٥٦ مما أدى الى قيام حرب أهليـة استمرت حتى منتصف عام ١٩٥٨ حين تمكنت الحكومة المركزية برئاسة دكتور سوكارنو من قمع الثائرين •

عندما انسحب الهولنديون من اندونسيا احتفظوا بغرب غينيا الجديدة Guinea بوصفها آخر ما بقى لهم من ممتلكات في الهند الشرقيه • وليس أصحاب المستعمرة الا قوم بدائيون ولا تربطهم باندونسيا وشيجة الا أن جمهورية اندونسيا تدأب على تأكيد مطالبتها بملكية هذه المستعمرة رافضة استمرار سيادة هولندا فيها (كثيرا ما تسمى هذه الدولة باسم ايريان الغربية •) ومن المظاهر ذات الدلالة أن استراليا وان تكن قد ساهمت فى الضغط على هولندا حتى انسحبت من أندونيسيا ، الا أنها الآن وهى التى تحكم النصف الشرقى من الجزيرة بوصفه مستعمرة ، تعارض بشدة فى مطلب الاندونسيين • فان استراليا تدرك الآن أنه لم يعد ثمت حائل بينها وبين القارة الآسيوية الا هذه الجمهورية الجديدة وان كانت هشه كأنها حزمة من ورق •

* * *

بورما

كانت بورما المستعمرة الوحيدة التابعة لبريطانيا التى فضلت عند نيلها الحكم الذاتى أن تنفصل عن الكومنولث • وهى قد اتخذت هذا القرار فى عام ١٩٤٨ بسبب سوء التصرف الذى ابدته الحكومة البريطانية وسلطات الاستعمار ازاء الطلب الذى تقدمت به بورما فى السنوات الاولى من الحرب طالبة الوعد بمنحها الاستقلال ، ويعترف أهل بورما أنفسهم أن هذا القرار بالانفصال لم يكن قرارا ناضجا • فان مسلك بورما نحو الكومنولث يشبه الى حد بعيد مسلك الهند نحوه • ولو توقع أهل بورما أنه سوف يسمح للهند بالبقاء فى الكومنولث بعد اتخاذها النظام الجمهورى لكان من المحتمل أن يرتضوا البقاء فيه على نفس الأساس •

وتاريخ بورما بعد حصولها على الاستقلال أشد التواريخ اضطرابا • فلم يكد ينتقل اليها السلطان حتى قامت عصابة مسلحة بالهجوم على مجلس الوزراء وهو منعقد فاغتالت رئيسه وستة من زملائه الوزراء • وكان على الحكومه أيضا أن تستمر فى مقاتلة شعبتين

مختلفتين من رجال العصابات الشيوعيين ـ هما حزب العلم الابيض وحزب العلم الاحمر ـ وذلك فضلا عن قتالها لثوار كيران *Kerans* ومون *Mons* ـ وهم طائفة من سكان الجبال فى وسط بورما وجنوبها يدعون الى الانفصال عنها ـ وعلاوة علا ذلك فقد كان أمامها ١٠٫٠٠٠ من رجال الكومنتنج قد لجأوا اليها من الصين فأقاموا على حفاف الاقاليم الزراعية حيث يغيرون على المزارعين من ناحية ويفرضون اتاوة على تجارة الأفيون غير الشرعية على الحدود من ناحية أخرى ، وكان أولئك اللاجئون كثيرا ما يتعاونون مع الثوار ، كما كانوا خطرا يهدد العلاقات بين بورما وحكومة بكين · (تم الاتفاق فى عام ١٩٥٢ بين بورما وشيان كاى ـ شيك والولايات المتحدة وسيام على اجلاء ٢٫٠٠٠ رجلا من هؤلاء اللاجئين ونقلهم مع عائلاتهم الى سيام ، ولكن يقال أن عدد الباقين منهم حتى الآن يبلغ ١٠٫٠٠٠ رجل لم ينقصوا ·

ظلت الحال تسوء فى بورما حتى كادت تنتهى بالقضاء عليها فى عام ١٩٤٩ حين لم يعد نفوذ الحكومة فيها يتعدى ضواحى رانجون *Rangon* · ولكن لم يلبث أن تحسن موقف الحكومة الى درجة كبيرة فهى تدعى أنها مسيطرة الآن على ٩٠٪ من أنحاء الدولة · ويرجع نجاحها هذا الى عاملين أولهما عدم توحد جماعات الثوار تحت قيادة واحدة ـ فأدى ذلك الى تمكنها من اخضاعها جماعة بعد أخرى ـ والامر الثانى هو تأييد المزارعين لها · فقد كانت معظم انحاء بورما واقعة فى عام ١٩٤٧ تحت أيدى المرابين الهنود وهم يدعون بطائفة الشتيار *Chetiar* كما كانت الصناعات ملكا للأجانب · فتصدت الحكومة وكل أعضائها من « رابطة حرية الشعب ضد الفاشيه » لهذا الوضع ، فأخذت تؤمم طاقة الصناعات القائمة فى الدولة تدريجيا ، كذلك عملت على اعادة ملكية الأرض للمزارعين مما أكسبها تأييدا شعبيا · وقد وقع شقاق بين أعضاء الرابطه فى عام ١٩٥٨ أدى الى حدوث بعض القلقلة فى الوضع الحكومى · ولكن اقتصاد بورما الآن ثابت الاساس وان يكن لا يزال فى حاجة الى كثير من وجوه التوسع ، ويتهدد بورما خطر نشأ على حدود الصين الجنوبية من جراء التهديد باقامة « دولة ثاى الحرة » وهى لذلك تأمل فى اقامة علاقات صداقة مع بكين · وقد رضخت فى عام ١٩٥٧ لما طلبته الصين من اعادة تخطيط الحدود فى بعض المواقع بين البلدين فلم تبد لذلك الا

احتجاجا ضئيلا • والشاعر أونو *Uno* الذى تولى رئاسة الدولة فى معظم الفترة التى عرضنا لها ، مخلص للديانة البوذية شأن أغلب أهالى بورما ، وتدعو مبادىء هذه الديانه الى بث التهدئة والميل الى الحياد ، ثم أن أهل بورما يعلمون أن اعتداء الصين عليهم مما يغضب الهند الى مدى بعيد• وتفاؤلهم راجع فى الأعم الى الاعتقاد بأن بكين لن تعتدى عليهم خشية من اغضاب دلهى — وهذا دليل آخر على مدى الاهمية التى بلغتها الهند فى عالم ما بعد الحرب •

* * *

الهند الصينية بعد مؤتمر جنيف

تغير موقف فيتنام الجنوبية اختلافا بينا عما كان عليه قبل اتفاق جنيف فى عام ١٩٥٤ ويرجع هذا التغير الى تنحية النفوذ الفرنسى واستبدال النفوذ الامريكى به من ناحية والى قيام حكومة ذات أثر فعال من ناحية أخرى • وقد اختارت الولايات المتحدة نجو دين ديم *Ngo Dinh Diem* وهو أحد أعضاء الحزب الكاثوليكى فعينته رئيسا للوزارة وذلك لما عرف عنه من شدة العداء للشيوعية • وقد اختط ديم لوزارته سياسة العداء الحاد ضد حكومة فيت منه فرفض ما قدمته الحكومه الفرنسية من اقتراحات التعاون بين دولتى فيتنام فى بعض نواحى المجال الاقتصادى مثل توزيع الكهرباء مثلا — ترجع هذه الاقتراحات التى قدمتها فرنسا الى رغبتها فى استبقاء مصالحها الاقتصادية فى الشمال — كما أجرى استفتاء عزل بموجبه الامبراطور بو دى من منصبه فأصبح هو رئيسا للدولة فى ظل النظام الجمهورى•

كانت فيتنام الجنوبية فوضى فى مبدأ الامر فقد قامت فيها جيوش مختلفة بعضها يمثل اعتقادات معينة والبعض الآخر يتخفى فى ظل اعتقادات سواها وهى جميعا تتحدى سلطان الحكومة ، فأخذ ديم فى نشر نفوذه تدريجيا حتى تمت له السيطرة فى النهاية • وليست حكومته بالحكومة الديمقراطية ولكن الشعب يرضاها ، ثم انه ينال مساعدة اقتصادية كريمة للغاية من الولايات المتحدة — طالما وجه

الانتقاد الى السياسة التي تتبعها الولايات المتحدة من شراء الاخلاص بالمال ، ولكنها نجحت غاية النجاح فى هذه الدولة ــ ويقوم ديم باعادة توزيع الارض فى الدولة ولكنه يفعل ذلك فى حذر خشية أن يثير طبقة الملاك ضده ٠ ويبدو أن الاصلاحات الاشتراكية هي اهم العوامل التى ستقرر نتيجة الصراع بين الشيوعية والديمقراطيـه فى الامم المتخلفة ٠

رأينا من قبل ما جاء باتفاق جنيف عن اجتمــاع منــدوبى دولتى فيتنام الشمالية والجنوبيــة فى يوليو عــام ١٩٥٥ لمناقشــة تنظيم الانتخابات التى تقرر عقدها فى البلدين فى يوليو عام ١٩٥٦ فلما حل يوليو عام ١٩٥٥ رفض ديم الدخول فى المناقشة مع الشماليين وبدا عندما أقترب يوليو عام ١٩٥٦ أن هذه الانتخابات لن تجرى فى الموعد الذى حدد لها ٠ وقد عمد ديم من جانبه الى تأكيد هذا بأن عقد انتخابات فى فيتنام الجنوبية قبل حلول يوليو عام ١٩٥٦ ولقد علل ذلك بأنه ليس ثمت من ضــمان بأن الانتخـابات التى ستجرى فى فيتنام الشمالية سوف تتم فى جو حريه الاختيار ، ثم ذكر العالم بأنه لم يوقع هو ولا حكومة بو دى اتفــاق جنيف ٠ ولمــا كانت الولايات المتحدة قد رفضت توقيع هذا الاتفاق كما سبق ذكر ذلك ، فانها أيدته فى موقفه هذا أتم التأييد ٠

وأوقع هذا التصرف أمم الغرب التى وقعت اتفاق جنيف فى موقف حرج ٠ فقد كانت حكومة «منه» على وشك النصر فى حربها عندما قبلت وقف القتال نظير الوعد بعقد انتخابات تنظيم البلد كلها ، ولذلك بدأ أنه لا لوم على هو شى منه اذا هو عاود القتال ٠ ولكن ماذا كان بيد أمم الغرب أن تصنع حتى يتقيد ديم بشروط الاتفاق ؟ لقد طلبت الدول الشيوعية فى بادىء الامر ممثلى الدول التى وقعت اتفاق جنيف للنظر فى الاجراء الواجب اتخاذه نحو هذا الموقف الجديد ، ثم وافقت اخيرا على رجاء بريطانيا فى عدم اتخاذ أى اجراء فى الوقت الراهن مع مراقبة ما سيسفر عنه تطور الاحوال ٠ وبذلك هدأ الموقف وان لم يكن فى ذلك حل للاشكال ٠

وتقوم حكومة ديم فى الوقت الراهن بتنفيــذ كثير من مشــاريع العمران فى فيتنام الجنوبية كالتى يقوم بها هو شى منه فى الشمال ٠

زهو يتلقى معونة الصين اقتصاديا وفنيـا • ويقول من زاروا تلك الانحاء أن حكومة فيت منه قليلة التقدير لمساعدات الصين بمثل قلة تقدير الصين للمساعدات التى تتلقاها من الاتحاد السوفييتى •

* * *

مشروع كولومبو

أن تنافس الشيوعية والغرب لنيل تأييـد شعوب جنوبى شرق آسية يرتبط الآن بما تقدمه هذه الدول من مسـاعدة فى الميـدان الاقتصادى • فيقوم مبعوثو السوفييت برحلات عديدة يطوفون خلالها هذه المنطقة فيلقون أحاديث فياضة ينوهون فيها بالعطف على دول جنوبى شرق آسيا وحاجتها الملحة الى قيام مشروعات العمران فيها ، وهم يحرصون على الاشارة الى تشـابه تجارب هـذه الدول بتجربة تصنيع الاتحاد السوفييتى ، ثم يعرضون على هذه الدول كل ماهى فى حاجة اليه من معاونه • وقد سمعنا عن الكثير من عروض هذه المعاونة وان كانت روسيا لم تقدم اليهم منها الا القليل ، ولكنها نالت كسبا طائلا بما حققته لنفسها من دعاية بمثل هذه العروض وان لم تقدم الا جزءا صغيرا مما قدمته دول الغرب من مساعدات الى هذه المنطقة • وينشىء الاتحاد السوفييتى مصنعا للصلب فى الهند وذلك الى جانب ماتنشئه بريطانيا وألمانيا الغربية من مصانع ـ ثم أنها تتقاضى فائدة على أموالها أقل مما يتقاضاه الغرب • وفضلا عن ذلك فقد قدمت كمية كبيرة من الاسمنت الى بورما فى عام ١٩٥٦ ـ وان كان قد قيل أنها أفرغتها فى ميناء رانجون أثناء اشتداد الرياح الموسمية فى أكياس خفيفة قبل أن يتم الاستعداد لنقلها •

أن مشروع كولمبو هو الادارة الرئيسية التى يستغلها الغرب فى صراعه ضد الشيوعية فى هذه المنطقة ، فهو يقدم عن طريقـه جل مساعداته التى يبذلها للدول الواقعه فى هذه المنطقـة • وقـد كان المشروع فى بدايته قاصرا على دول الكومنولث التى دعيت لحضـور مؤتمر كولمبو فى عـام ١٩٥٠ ثم اتسع مـداه الى كثير من غير الدول التابعة للكومنولث فهو يشتمـل الآن على سـبع عشرة دولة هى :

استراليا ، بورما ، كمبوديا ، كندا ، سيلان ، الهند ، اندونسيا ، اليابان ، لاوس ، نيبال ، نيوزلندا ، الباكستان ، الفلبين ، سيام ، جنوبى فيتنام ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة • وبعض دول المشروع معطية وبعضها آخذه ، ومنها من يقوم بالدورين فيعطي من جهة ويأخذ من جهة أخرى كالهند مثلا • وكل الدول الديمقراطية فى هذه المنطقة أعضاء فى المشروع ، وكذلك المستعمرات البريطانية الواقعة فى تلك الانحاء ، وتقوم وكالة التنمية فى المستعمرات بالمملكة المتحدة بتمويلها مشاريعها العمرانية . وقد كان من المعتزم فى البداية أن يظل مشروع كولمبو قائما حتى عام ١٩٥٧ ولكن تقرر أن يمتد أمده الى عام ١٩٦١ ويبلغ تقدير ما تتكلفه المشروعات المقترحة الآن ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢ جنيه استرلينى يخص مشاريع الهند أربعة أخماسها •

وتسمية مشروع كولمبو بهذا الاسم تسمية خاطئة • فهو لا يشتمل على مشروع واحد بعينه ، وليس له هيئة مركزية • كل الذى يحدث أن تجتمع الدول الاعضاء فى كل عام فتبحث مختلف المشاريع وتطلع على تقارير تقدم الأعمال وتضيف أرقاما الى أرقام • وتقوم كل دولة بنفسها بتمويل المشاريع الخاصة بها فليس هناك هيئة رئيسية تنظم التمويل أو المساعدة الاقتصاديه أو توزعها بين الدول • وكل تنظيم يحدث انما يقوم بين الدولة المعطية والدولة الآخذة • وليس المقصود من نظر دول مشروع كولمبو فى المشاريع المختلفة الا مجرد الإعلان والتشجيع •

أن المشكلة الرئيسية التى تواجه دول المشروع هى الحصول على المال الكافى • فكندا واستراليا ونيوزيلندا من أكبر الدول التى نادت باقامة هذا المشروع وسكانها على جانب من الثراء ولكن تعدادها قليل ولذلك لا تستطيع أن تمد المشروع بمساعدة كبيرة • وبريطانيا قد أجهدت مواردها الى أقصى حد حتى تستطيع أن تدفع بكل ما يمكنها توفيره الى المستعمرات التابعة لها لاقامة المزيد من المشاريع العمرانية، ولذلك ليس فى استطاعتها أن تقدم الا القليل لمشروع كولمبو • ولكنها رغم المصاعب المتعلقة بميزان المدفوعات لديها فانها أطلقت جزءا ضخما من الاسترلينى المتجمد الى هذه الدول (الاسترلينى المتجمد هو الثمن المؤجل لما استوردته بريطانيا من هذه الدول فى

خلال الحرب على أن تفى به حين تسمح الظروف بذلك) كما أنهاطلبت من البنك الدولى أن يقدم ما أودعته فى بنك الارصدة العالمية الى دول المشروع بوصفه قرضا ·

ولا ريب أن دول المشروع تنتظر أن تمدها الولايات المتحدة بأغلب المبالغ التى تحتاج اليها هذه الدول وان كانت لم تصرح بذلك . وقد قامت الولايات المتحدة فعلا بتقديم مساعدة ضخمة لهذه الدول الا أنها لم تقم بكل ما أملته منها · (قامت الحكومة بتقديم جزء من المعونة الامريكية ولكن أغلب هذه المعونة تأتى من مصادر خاصه كمؤسسة فورد ومؤسسة روكفلر) · وقد قامت دوائر الحكومة الامريكية بمناقشات عديدة وخاصة عقب مؤتمر جنيف بقصد اتخاذها موقفا أكثر تحديدا ، ولكنها لم تنته من ذلك الى شىء · وترتد الخيبة التى انحسرت عنها آمال هذه الدول الى اصرار أمريكا على الاشراف على انفاق ماتقدمه من منح فان الدول الاسيوية ترى فى ذلك خيوط تكبلهـا وان تكن الولايات المتحدة لم تقصد الا مجرد الحرص على عدم ضياع الاموال هدرا · ثم أن الولايات المتحدة تنتظر أن تتقدم منها هذه الدول طالبة المساعدة فى صراحة بينما لا ترغب هذه الدول ـ بوجـه العموم ـ فى ذلك ·

ويرجع السبب فى هذا المسلك من الدول الاسيويه الى خشيتها مما يمكن أن يقع من « فقدان ماء الوجه »وتعترض هذه الدول على نظام العلاقة بين الآخذ والمعطى فهى تفضل على ذلك أن تنال المال عن طريق وكالة دولية · وقد دأبت الدولة الاسيوية والدول الناشئة فى الشرق الاوسط على مطالبة هيئة الامم المتحدة بانشاء مؤسسـة خاصـة بها لتمويل مشاريع العمران · ولكن تنفيـذ ذلك يتوقف على مسـلك الولايات المتحدة فهى الوحيدة فى دول الغرب التى يمكنها جعل مشروع هذه المؤسسة قابلا للتنفيذ · وهى قـد رفضت ذلك وظلت تحول بمالها من نفوذ فى الامم المتحدة دون عرض هذا الاقتراح على الجمعية العامة حتى عام ١٩٥٥ فلقد رفضت كتلة الدول الافروسية فى ذلك العام أن يكبحها كابح وحصلت على قرار بانشاء المؤسسة · ولكن ليس من المستطاع على أى حال القيام بأى عمل حتى تنتهى الولايات المتحدة الى قرار فى هذا الموضوع · (يؤيد حزب العمـال البريطانى

انشاء هذه المؤسسه) أما الروسيا فهى ماضية فى الحصول على التأييد - فى نظر الشعوب الآسيوية على الاقل بما تبديه اليهم .

أن الموقف دقيق بالنسبة لدول الغرب ولكن يجب عليها من أجل المصلحة العامة أن تضغط على الولايات المتحدة بقصد نيل موافقتها على انشاء المؤسسة . فان خير وسيلة فى الصراع الحالى القائم بين هذه الدول من ناحية وبين الشيوعية من ناحية أخرى حول جنوب شرقى آسيا أن تمضى فى تنفيذ هذا المشروع وان تتحدى الروسيا لتفعل مثل فعلها هذا للدول المتخلفة ان كانت تريد مساعدتها حقا .

* * *

الفصل الرابع «١٤»

الشرق الأوسط

(أ) العرب والغرب

الشرق الاوسط هو هدف روسيا من قديم فى توسعها نحو الجنوب، وهو يتلو مباشرة هدفها الاول من الامتداد نحو أوروبا • وهذه المنطقة ذات أهمية كبيرة للغاية بالنسبة لدول الغرب (وان كانت الولايات المتحدة قد أبطأت فى ادراك هذه الحقيقة رغم وضوحها •) ولكن التعامل معها عسير للغاية فلم يكن للغرب فيها مستعمرات اللهم الا قبرص وهذه محدودة الاهمية الاستراتيجية - ولذلك لا تعتمد دول الغرب على شعوب المنطقة فحسب وأغلبهم من العرب • والعرب متأخرون لدرجة تثير العطف عليهم وليس لهم كفاية تذكر وهم لا يستطيعون أن يقاوموا بأنفسهم ما يقع عليهم من اعتداء ، ولذلك تدعوهم مصلحتهم الى قبول ما تعرضه عليهم دول الغرب من بذل المعاونة لهم للدفاع عن هذه المنطقة • ولكنهم جميعا ماعدا العراق يرفضون هذا التعاون • والشعور الوطنى فى هذه المنطقة هو أهم العقبات فى سبيل قيام هذا التعاون فهو يجعل العرب شديدى الارتياب فى علاقة الغرب بهم • والعقبة الثانية هى مشكلة اسرائيل المعقدة • ولن يستطيع الغرب أن يقيم لنفسه سياسة يرضى عنها الجانبان فى الشرق الاوسط الا اذا حلت مشكلة اسرائيل ، وحتى اذا تم ذلك فستبقى عندئذ مشكلة أخرى هى السعى لاقامة علاقة حسنة مع الوطنيين العرب •

ويرجع أهمية الشرق الاوسط بالنسبة لاستراتيجية الغرب فى العالم الى عدة أسباب فى مقدمتها أنها بمثابة القلب لاكبر رقعة من

الارض فى العالم ــ فهى المعبر بين آسية وأفريقية ويمكن بواسطتها تفادى قوات حلف الاطلنطى وأوروبا ــ والسبب الثانى هو أهميتها البالغة بالنسبة للمواصلات العالمية ٠ ولقد استطعنا أن نحرز النصر فى الحرب العالميه الماضية دون أن نستغل فى معظم فتراتهـا قنـاة السويس فحتم ذلك على سفننا أن تقوم برحلات بحرية طويلة أجهدت مواردها ربما بأكثر مما كانت تستطيع له احتمالا ٠ فلما سيطرناعلى البحر الابيض بعد ذلك أمكن زيادة شحن السفن بما يعادل مليون طن فى العام فصرنا بذلك فى موقف مكننا من القيام بهجومنا على أوروبا وقد ازدادت أطوال الرحلات التى تقوم بها الطائرات منذ عام ١٩٤٥ وينتظر أن يستمر ازديادها ولكن لم يزل من العسير أن تقطع الطائرة رحلتها من أوروبا الى آسيـا دون هبوط فى أحـد مطـارات الشرق الاوسط ، ولذلك فان السيطرة على هذه المنطقة ما يزال أمرا هاما حتى اذا لم نضع من أنواع النقل فى اعتبارنا الا النقل بالطائرات ٠

والبترول هو السبب الثالث فان امداده شديدة الاهميه للغاية فى العصر الحديث فى شئون الحرب الاقتصادية ٠ ويقدر ما يحتويه الشرق الاقصى بـ ٤٢٪ من كل ما أمكنت معرفته من مصادر ٠

زيت البترول فى العالم ٠ (٣٤٪ فى الولايات المتحدة و ١٠٪ فى جزر الكاريبى ونحو ٩٪ داخل الاتحاد السوفييتى ٠ وليس يستخرج من بترول الشرق الاوسط الا ١/٥ من احتياج العالم ، ولكن مصادره فى الولايات المتحدة تستهلك بسرعة ، والمعتقـد أنه سيقـل انتاج البترول فى روسيا فى القريب العاجل بسبب احتياجاتها الشخصية منه) وحتى اذا لم تستطع الروسيا أن تستغل بترول الشرق الاوسط فى زمن الحرب (أن فى نقل البترول عبر الجبال الواقعة جنوبى بحر الخزر *Caspian Sea*) لمشقة بالغة ، وان يكن اتمام نقله ليس بالامر المستحيل ٠) فان حرمان دول الغرب منه يعتبر اذا هى استطاعت ذلك ضربة هامة من جانبها ٠ (هذا بفرض قيام حرب عالمية طويلة المدى وليس ذلك بالامر المحتمل وان يكن من الواجب النظر اليه بعين الاهتمام ٠ ولكن اذا استطاعت الروسيا الحصول على بترول الشرق الاوسط دون أن تحدث حرب عالمية فان ذلك سيعطيها سلطانا على الاقتصاد الاوروبى ٠)

* * *

العالم العربى

حاولت بريطانيا خلال المدة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٤ أن تضمن اقرار السلام فى الشرق الاوسط وذلك باغراء العرب على التحول الى جامعة عربية يعاونها الغرب على تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ٠ ولكن انشىء حلف بغداد فى ١٩٥٤ وبدأ تضارب الاتجاهات ذلك لانه كان لا بد لنفاذ سياسة حلف بغداد أيضا من الحصول على تأييد بعض الدول العربيه على الاقل ٠ ويرجع بعض السبب فى تغيير هذه السياسة الى ما قام من صعاب وعراقيل فى سبيل توطيد العلاقات بين الدول العربية ، ولا تزال بعض هذه الصعاب قائمة للآن ٠

انشئت الجامعة العربية عام ١٩٤٥ بقصد التعاون ضد اليهود وقد رحبت بها بريطانيا آنذاك باعتبارها الخطوة الاولى نحو السلام فى هذه المنطقة ٠ وتتكون الجامعة العربية من مصر التى خول لها تعداد سكانها البالغ عشرين مليون نسمة مركز الزعامة بين باقى الدول ، والعراق (٠٠٠ر٠٠٠ر٥) و السعودية العربية (٠٠٠ر٠٠٠ر٦) و سوريا (٠٠٠ر٠٠٠ر٣) ولبنان (٠٠٠ر٠٠٠ر١) والاردن (٠٠٠ر٠٠٠ر١) واليمن (٠٠٠ر٥٠٠ر٤) و ليبيا (٠٠٠ر٠٠٠ر١) وقد انضمت فى عام ١٩٥٣ و السودان (٠٠٠ر٠٠٠ر٩) وقد انضم فى يناير عام ١٩٥٦

وهذه الدول ضعيفة يسهل قهرها ولكن من العسير التعاون معها ٠ ويرجع ذلك الى أسباب عديدة لا يتسع المجال هنا لأكثر من الاشارة اليها وان كنا سنوضح بعضها فى الفصول القادمة ٠

ويرجع السبب الاول الى فقر هذه الدول فقرا مدقعا ٠ فاقتصادها بدائى للغاية وجموع شعوبها تمتهن زراعة لا تكاد تسد الرمق ٠ والارض فيها قاحلة جديبة فليس الا ٥٪ منها فحسب صالح للزراعة ٠ ولذلك انخفض مستوى المعيشة فيها حتى بلغ حدا لا يكاد المرء يستطيع أن يصدقه ٠ والامية منتشرة والخدمات الاجتماعية متأخرة بعامة والثروة الطبيعية قليلة للغاية ـ اذا استثنينا زيت البترول وهو لم يكتشف الا فى بعض دولها فحسب ٠ وكل دول هذه المنطقة ـ ماعدا السعودية العربيه واليمن فهما تحكمان فى ظل النظام الاقطاعى ـ

تحاول الاخذ بنظام ديمقراطى كامل ٠ لكنها لم تحصل فى ظل ظروفها القائمة الا على مجرد مظهر برلمانى فحسب ، فنتج عن ذلك تقلقل فى سياستها وتخلف وفساد . والانتخاب فيها عام ولكن المزارعين وهم يكونون غالبية المنتخبين واقعون تحت سلطان حفنة من ذوى الثراء الفاحش من طبقة الملاك ٠ ولا يحصل الفلاح فى معظم هذه الدول الا على ١/٧ المحصول الذى ينتجه ويذهب الباقى طعمة للمالك والمرابى وتهبط النسبه أحيانا الى ١/١٤ أو ١/٢١ من المحصول أو الى أقل من ذلك ٠) والصناعة قليلة ، ولذلك لابد من قيام طبقة وسطى نشيطة حتى يمكن تطبيق النظام الديمقراطى بنجاح ٠ وطبقة الملاك هى المسيطرة على السياسة ، ولا يوجد فى تلك الانحاء نظام حزبى حقيقى بل مجرد شيع من الاثرياء تتنافس على بلوغ كرسى الحكم ويؤدى هذا الى تغييرات دائمة فى الحكومات تتخذ غالبا صورة « أئتلاف » لا يستمر طويلا ٠ فاذا بعد الامد بتنحية أحدى هذه الشيع عن الحكم لجأت الى اثارة الغوغاء فى العاصمه لاحداث شغب يؤدى الى اسقاط الحكومة القائمة ٠ ثم يتحول هذا الشغب الى عداء للأجانب فهذه هى الوسيلة لصرف أنظار جمهور الشعب عن مطالبه الرئيسية وأهمها ادخال اصلاحات ذات صبغه اشتراكية ٠

ولا يقوم اقتصاد دول الشرق الاوسط على أساس ثابت ، وقادتها السياسيون عاجزون ، ولذلك بدأ ظهور الطبقة الوسطى (الاخلق تسميتها طبقة المثقفين) واتجاهها بطبيعته متطرف ٠ وضباط الجيش أهم عناصر هذه الطبقة ٠ وحتى اذا كان ميلهم الاساسى يتجه نحو الديمقراطية الا أنهم يفضلون النظام الجامع فى البداية ٠ فان من الواضح أن بلادهم تحتاج أولا الى اصلاحات ذات صبغة اشتراكية منها اعادة توزيع الارض والحد من امتيازات الطبقة الثرية ٠ ولما كان هؤلاء الثراة هم الذين يمثلون الشعب فى البرلمان ، لذلك يصبح من المستبعد ادخال الاصلاحات المطلوبة عن هذا الطريق ٠ لذلك نجد أول همّ لهؤلاء الضباط أن يلغوا البرلمان حتى يمكن تنفيذ التغييرات المطلوبة عن طريق النظام الدكتاتورى الى أن يتم اعادة النظام الديمقراطى على أساس أكثر صلاحا ٠ وهذه الطريقة خطرة كما كشفت عن ذلك تجربة سوريا ومصر ٠ فهذه المحاولة تجرى فيهما الآن، ولايبدو أنها الطريقة العملية لبلوغ الاستقرار ٠

والاسلام عنصر آخر من عناصر الموقف فى الشرق الاوسط فان الاغلبية العظمى فى الدول العربية مسلمون • ويتمثل فى العقيدة الاسلامية أمران أولهما التطرف وشدة العداء للغرب وثاني الامرين أن الاسلام قوة رجعية • فالاخوان المسلمون جمعيه اسلامية سياسية لا تعارض الغرب فحسب بل تعارض أيضا تقليده والاخذ عنه • وهى لا تتردد فى ارتكاب جرائم الاغتيال فىسبيل الوصول ال تحقيق أغراضها • وتطالب هذه الجمعية بنصيب واسع فى السيطرة على الدولة وليس هذا مما يتفق مع أى نوع من ضروب التقدم • ولكن هناك رأيا بأن تقوية نفوذ الإسلام مما يصون هذه المنطقة من خطر قيام ثورة شيوعية ، وهذا أمر محتمل بسبب اتساع الفوارق بين الاغنياء والفقراء فى هذه المنطقة • ولكن برغم عداء الاسلام لنظريات الشيوعية الا أنه من العسير اعتباره واقيا منها كما كان ذلك معتقدا • ولقد دعا الاتحاد السوفييتي جماعات عديدة من ملايين المسلمين التى تقيم داخل حدوده للسفر الى مكة بقصد الحج مما يدل العرب بغير ريب على أن ديانتهم ما تزال قائمة فى ظل الحكم الشيوعى ، بل مزدهرة • وتعين الروسيا عددا كثيفا من الموظفين فى سفاراتها بالدول العربية بعد أن تختار أغلبهم من المسلمين ، فيسهل بذلك اختلاطهم بالعرب ويلتقون بهم فى المساجد أثناء العبادة وهذا أمر لا سبيل للغربيين اليه • ومن المحظور فى معظم الدول العربية ـ كما يستطيع المرء أن يتوقع من مثل حكومتها ـ أن تقوم فيها احزاب شيوعية ، الا أنتوثق الصلات أخيرا بين هذه الدول والكتلة الشيوعية وتسرب الكثيرون من الفنيين الشيوعيين اليها قد أدى الى زيادة انتشار الافكار الشيوعية فى هذه البلاد • ومن المحتمل أن يكون العائق الرئيسى الذى يحول فى الوقت الراهن دون انتشار الشيوعية هو قصور الوعى السياسى لدى جمهور الشعب • ومن العجيب أنه كلما ارتفع مستوى المعيشة واتسع انتشار التعليم زاد ما يتوقع من ازدياد نفوذ الشيوعية وذلك لما هو معروف من قدرتها على استهواء غير الناضجين سياسيا ، اللهم الا اذا استطاع الغرب أن يتخذ اجراءات فعالة ضد ذلك •

واحساس العرب بالشعور الوطنى هو مصدر القوة فى هذه المنطقة وهو كذلك العائق الرئيسى الذى يحول دون تحسين العلاقات بينها

وبين الغرب . ولكن هناك سببا آخر هاما يحول دون نجاح ما تبذله بريطانيا من محاولات للتعاون مع العرب ذلك هو العداء العميق الذى تجده الدول العربية نحو بعضها . فالتنافس والكراهية المتوارثة تفرق بينها حتى يستحيل عليها التعاون معا ، وليس من شىء يدعم الجامعة العربية الا ما تشترك فيه هذه الدول من العداء لاسرائيل . والرغبة فى قيام أمة عربية موحدة تنحصر فى طبقة المثقفين وهى رغبة قوية . ولكن ما فتئت هذه الطبقة تلقى باللوم على الدول الغربية باعتبارها المسئولة عن قيام هذا الانقسام وهناك جانب من الحق فى هذا اللوم فان دول الغرب هى التى خططت أكثر الحدود الحالية كما أنها هى التى فرقت بين مصالح الدول العربية بما يحول دون توحدها . ولقد فعلت ذلك لمصلحتها هى وبذلك أضافت عنصرا جديدا من كراهية العرب لتدخل الغرب فى شئونهم . ولكن ليس معنى هذا أن ما فعله الغرب كان كل الاسباب التى أدت الى انقسام العرب فان بعض العداوات بينهم وراثية ترجع الى قديم الزمن بسبب مبارزات وقعت فى الصحراء ، كما أن بعضها قائم بسبب العقيدة الدينية . ومن الخير طبعا أن يتوحد المسلمون حتى يصبحوا كتلة قوية لولا انقسام الشيع على بعضها والعداء الذى تضمره كل كل شيعة للاخرى . فالوهابيون فى السعودية العربية بخاصة يتشددون فى تمسكهم ويعتقدون أن باقى العرب على ضلال .

وهناك سبب آخر لضعف العالم العربى هو وجود عدد من الاقليات فيه تعذرت السيطرة عليها غالبا . ومن هذه الاقليات الارمن فى العراق وسوريا ولبنان ومصر والاشوريون فى العراق وسوريا وتركيا . ولكن الاقلية الكردية تثير أعنف وأشد مشاكل الاقليات تعقدا فى الشرق الاوسط وهم يقيمون فى العراق وسوريا وايران وتركيا . لكن أغلب الاكراد يقيمون فى الاتحاد السوفييتى حيث يحظون ببعض الاستقلال ولذلك تنتظر دول الشرق الاوسط الى الاكراد المقيمين فيها بارتياب بوصفهم طابور خامسا فى تلك الدول .

وسوف نعود الى ايضاح كثير من العوامل التى ذكرناها هنا حين ندرس تاريخ العالم العربى بعد عام ١٩١٨

* * *

التاريخ الحديث

كانت كل الدول العربية تابعة ولو اسميا على الاقل للامبراطورية التركية حتى عام ١٩١٨ وان كانت مقدار السيطرة التركية يتفاوت باختلاف الانحاء . وحتى مصر التى كانت تحت الحماية الانجليزية منذ عهد بعيد فانها ظلت تابعة لتركيا اسميا وتدفع لها جزية سنوية . (أعلنت الحمايه رسميا في عام ١٩١٤) وعندما قامت الحرب العالمية الاولى كانت بذور الوطنية قائمة ترجع الى تاريخ سابق مما مكن من التأهب للثورة عند بدء الحرب . وقد قدرت بريطانيا مساعدتهم لها فى حربها ضد الاتراك ، وقد قدم العرب معظم هذه المساعدة الى عملاء أمثال ت. أ. لورنس — فوعدتهم نظير ذلك بمساعدتهم على نيل الاستقلال . وقد أوضحت هذه الوعود مجموعة من الوثائق تدعى رسائل مكماهون ، وقد نشأ نزاع طويل بسببها أخيرا . (يتبين من قراءة هذه الوثائق بتمامها استبعاد بعض المواقع من الاقاليم التى وعد بها العرب . ولكن من المؤكد أن هذا الوعد قد صدر وان يكن مبهما بعض الشيء .)

كان الفرنسيون حلفاءنا في الحرب ولذلك أخطرناهم بهذه التنظيمات . فطلبوا عندئذ أن تكون لهم منطقة نفوذ هم الآخرين وارتكنوا فى ذلك الى طول اتصالهم بهذه المنطقة بوصفهم حماة للمسيحيين فى لبنان . فنالوا وعدا بذلك مع التعهد بمنح روسيا أيضا بعض الاراضى ، وقد تم هذا التقسيم فى اتفاق سرى بين الدول الثلاثة يعرف باتفاق سايكس — بيكو ثم عثر الشيوعيون فى أثناء الثورة على نسخة من هذا الاتفاق فى سجلات الوزارة فاذاعوها على العالم . وقد صدرت فى نفس الوقت تصريح بلفور عام ١٩١٧ مما زاد الامر تعقيدا . كانت بريطانيا فى خلال الحرب الاولى ، وكان ذلك شأنها أيضا فى خلال الحرب الثانية فى أشد الحاجة الى معونة الدولار . فرأت الاصلح لها أن تصدر هذا التصريح معلنة فيه الوعد بتأييد مشروع اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين حتى تكسب بذلك تأييد يهود الولايات المتحدة وهم ذوو سلطان عظيم فيها ، وكان قد بدأ فى ذلك

الوقت ظهور اهتمام اليهود بأمر هذا المشروع • ويبدو من دراسة الوثائق المختلفة أن بريطانيا قد استطاعت أن تفى بكل التزاماتها المتناقضة ، ولكن كان من الطبيعى أن يتهمها العرب بالخداع •

كان الامير فيصل الحليف الرئيسى لبريطانيا خلال الحرب وهو من الأسرة الهاشمية التى كانت تحكم مملكه الحجاز وهى من الجزيرة العربية وتشتمل على المدينتين المقدستين، مكة والمدينة ، وكان ينتظر المناداة به ملكا على ولاية سوريا التابعة للترك ويدخل فى حدودها الآن سوريا الحالية والعراق والاردن وفلسطين ، فلما انتهى القتال الى غايته أقام لنفسه بلاطا فى دمشق • ولكن لم يلبث أن تقرر فى اتفاقية الصلح تقسيم هذه الولاية فنالت فرنسا الانتداب على سوريا الحالية ولبنان ، ونالت بريطانيا الباقى • ولم يبال الفرنسيون بادعاءات فيصل بل سرعان ما طردوه من سوريا • فأخذ يحشد جيشا للعودة الى عاصمته بالقوة ، وخف أخوه عبد الله الى مساعدته •

رأت بريطانيا حقنا للدماء أن تعرض عرش العراق على فيصل ، فقبله • ولم يرض عبد الله عن تطورات الحوادث، فعرضت عليه بريطانيا أن تنشىء له امارة فى الصحراء القائمة بين فلسطين والعراق ، وقد وافق عبدالله أن يتولى الحكم فيها • ولكن لم تتنازل العراق قط عن مشروع « سوريا الكبرى » فأخذ يشرع من وقت الى آخر فى محاولة احيائه ، ولذلك فان سوريا تنظر دائما نحو العراق فى ارتياب عميق • والواقع أنه كثيرا ما يعمد قادة سوريا الى الحديث عن « سوريا الكبرى » جاعلين لدولتهم هم الدور الفعال فى ذلك المشروع • والعلاقة بين الدولتين الهاشميتين هى علاقة صداقة طبعا الا أن رجال البلاط فى الاردن لا ينظرون بارتياح الى مشروع العراق فى اقامة سوريا الكبرى بحيث تكون بغداد عاصمته ولذلك نوقش هذا المشروع فى بضع مناسبات على أساس أن تكون الاردن هى منفذته !

وقد بلغت حالة أخرى من حالات التنافس قمتها فى هذه المنطقة عام ١٩٢٠ فقد استطاع السعوديون بقيادة ابن سعود وهو عدو عتيد للاسرة الهاشمية فى صحراء العرب أن يطرد عاهل هذه الاسرة حسين والد فيصل وعبد الله من مملكة الحجاز فأنشأ بذلك المملكة العربية السعودية وهى تشمل معظم شبه الجزيرة العربيه • ولم يكن معقولا

أن تقـوم مودة منـذ ذلك الوقت بين السعوديه العربيـة والمملكتين الهاشميتين • ولما كانت المملكة السعودية و سوريا تناصبان كلتاهما العراق العداء ، فقد جمع هذا العداء بينهما ضده • والعراق من جانبه لم يرض بما تدعيه مصر من زعامة للامم العربيه وقد ظل محتفظـا بحسن علاقاته مع الغرب رغم معارضة مصر القوية لهذا الاتجاه منه ، ولذلك صارت مصر عنصرا ثالثا يعادى البيت الهاشمي (تنظرسوريا والسعودية هما الاخريان الى ادعاء مصر للزعامة بين الدول العربية بمزيد من الشك • وتدعى السعودية من جانبها أنها الاحق بذلك فهى دولة تمثل العرب خلوا من شوائب الجنس والعقيدة •)

لقد بذل الغرب غـاية الجهد حتي يوضح أن نظام الانتداب ليس استعمارا مقنعا ولكنه وسيلة لمساعدة هذه المناطق في اتجاهها نحو الاستقلال • فلم يقتنع العرب بهذا المنطق وظلوا معارضين بشدة فى الانتداب المفروض • وقد اضطرت فرنسا الى اخماد عديد من الثورات واسعة النطاق في سوريا ، كما اضطرت الى اطلاق القنابل على دمشق في احدى المناسبات عام ١٩٢٥ حتى أحالت جزءا من هذه المدينة الى انقاض • وواجهت بريطانيا حوادث غدر دائمة في العراق فحاولت أن تعيد اليه النظام بواسطة الطائرات وذلك تخفيضا في النفقات • ثم يئست أخيرا من امكان توطيد العلاقات عن هذا الطريق فانهت انتدابها عليه عام ١٩٣٠ وأيدت قبوله عضوا مستقلا فى عصبة الامم فلم يلبث أن قبل فيها • وقد حصلت بريطانيا عند مغادرتها العراق على معاهدة تعطيها الحق في بقاء حامية لها فى مطار الحبانيه والشايبة *Shaiba* مع منحها تسهيلات أخرى فى حالة نشوب حرب فى هذه المنطقة ـ ولا جدال في أن الرأى العام الوطني قـد عارض فى منحهـا هـذه الامتيازات •

والاردن دولة صغيرة ليس لها موارد بل تعتمد اعتمـادا كليا على الاعانة الانجليزية التى تمنح اليها ، وقد ظلت هادئة لم تثر شغبا • ولكن الشغب كان فى فلسطين • فقد كانت تقوم معارضة قوية ضد الانتداب على فلسطين وخاصـة فى الولايات المتحـدة التى لم ترض باقامة ذلك الانتداب الا بعد أن تضمن القرار الصادر به نصا بالدعوة

الى تنفيذ مشروع الوطن القومي لليهود . وقد أثارت هجرة اليهود الى فلسطين معارضة العرب لذلك وان لم تشتد هذه المعارضة الا منذ عام ١٩٣٠

ان الحماية التى ضربتها بريطانيا على مصر قد الغتها رسميا فى عام ١٩٢٢ ولكنها أصرت على الاحتفاظ بقاعدة منطقة قناة السويس • وقد حاولت مرات عديدة أن تعقد معاهدة مع مصر تكسب بها جيوشها فيها صفة شرعية فلم تبلغ ما أرادته الا فى عام ١٩٣٦ فان غزو ايطاليا للحبشة فى ذلك العام قد نبه مصر الى الفائدة التى تجنبها من حماية دولة قوية لها فوافقت على شروط بريطانيا وسمحت لها بالبقاء فى القاعدة عشرين عاما على الا يزيد عدد رجالها فيها عن ١٠ر٠٠٠ جندى فى السلم • فلما نشبت الحرب فى عام ١٩٣٩ كان العرب ما زالوا متذكرين تدخل الغرب فى شئونهم •

وقد أدت ضرورة الحرب حين شبت الى مزيد من تدخل الغرب بعد ذلك • فتعرضت ثلاث دول من دول الشرق الاوسط منها دولتان عربيتان الى تدخل الغرب حربيا فى شئونهما • فقد كانت العراق هدفا لمؤامرات الالمان ثم شبت فيها ثورة عسكرية مناصرة لهم فى عام ١٩٤١ فخفت القوات البريطانيه الى العراق وسرعان ما أخمدتها ، ثم ظلت داخل العراق لم تغادرها • وكان عملاء الالمان نشطين فى ايران أيضا التى ازدادت أهميتها حينذاك بوصفها معبرا تنقل خلاله امدادات الغرب للروسيا • فلما رفض الشاه أن يتخذ اجراء ضد عملاء الالمان بادرت بريطانيا والروسيا والولايات المتحدة الى احتلالها وخلعت الشاه وتولى ابنه بدلا منه ، وهو الشاه الحالى • كما واجه الغرب الملك فاروق فى مصر أيضا فقد طلب منه قبيل معركة العلمين أن يولى حزب الوفد الحكومة • وقد كان لذلك الحزب أغلبية من المؤيدين فى المجلس التشريعى ولكن الملك كان يبغضه أشد البغض ، فلما حاول تنحيته عن الحكم وهذا حقه دستوريا رغم ما يعترض ذلك من صعاب ، بادرت بريطانيا فأحاطت قصره بعربات مسلحة وأرغمته أن يختار بين شيئين : قبول اعادة الوفد الى الحكم ، أو التنازل عن العرش — لم تفعل بريطانيا ذلك حبا منها فى الوفد ولكن كان فى قيام حكومة يؤيدها الشعب ما يكفل الاطمئنان على مؤخرة الجيش الثامن • وقد كف

المصريون عقب ذلك الحادث عن حبهم لمليكهم الا أن ذلك لم يحل دون معارضتهم الشديدة لما حدث فأضافوا ذلك الى قائمة المرات التى تدخل فيها الأنجليز فى شئونهم ، وهى قائمة طويلة ٠

كانت شرق الاردن فى اعقاب الحرب غير مستقرة وهذه هى عادتها، فأعفيت من الانتداب وان ظلت معتمدة طبعا على معونة بريطانيا لها ٠ فهى التى تدفع نفقات الفرقة العربية التى تبلغ ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى كل عام ، تدفعها مباشرة وليس عن طريق حكومة الاردن الى الجنرال جلوب قائدها الانجليزى ، وتحتفظ بريطانيا نظير ذلك بقاعدتى عمان والمفرق ٠ وقد احتلت بريطانيا كلا من سوريا ولبنان اللتين كانتا تحت سيطرة حكومة اضطرابات خطيرة ٠ وقد اتخذ الفرنسيون اجراءات بالغة الشدة لقمع الدولتين ولكن لم تسفر عن تهدئة الحال ٠ وعندئذ ضغطت بريطانيا والولايات المتحدة على فرنسا لتوافق على التنازل عن انتدابها فاجابتهما الى ذلك مرغمة ٠ والروح الوطنية تتوهج الآن فى الشرق الاوسط بنور أكثر سطوعا عما كان عليه من قبل ٠

* * *

الدول العربية

يجدر بنا قبل أن نمضى فى الحديث أن نذكر ولو نتفا مختصرة عن الدول العربية (لن نتحدث عن مصر الآن فسنرجىء ذلك الى تفصيل أوفى ٠)

ظل الملك فيصل الثانى حاكما على العرق الى يوليو عام ١٩٥٨ والمستقبل الاقتصادى لهذا البلد مرجو أكثر من باقى الدول العربية، وان يكن متخلفا للغاية فى الميدان الاجتماعى فان نهر الفرات يجعل أرضه شديدة الخصوبة وان يكن سكانه قليلين٠ وقد خصصت الحكومة ٧٠٪ من دخلها من حقول البترول الغنية التى تستغلها شركة بترول العراق (تملكها شركات بريطانية وفرنسية وهولندية وأمريكية وقد ذكرت الاسماء بالتتابع حسب نصيب كل دولة ٠ ويقوم البريطانيون

بادارة هذه الشركة ٠) لانفاقها في أعمال العمران ٠ وتقوم بريطانيا والولايات المتحدة بتدريب الجيش العراقيوتزويده بالمعدات ، ويحتمل أن يكون أكثر كفاءة من جيش مصر ٠ وهذا الجيش العراقى مكون من أربع فرق حسنة التسليح ٠ والعراق دائما هو رأس المعارضين لزعامة مصر للجامعة العربية ، ولم يرض فى ظل نظامه الجديد أن يحالف ناصر ٠

استطاعت شرق الاردن أن تضاعف مساحة أرضها وعدد سكانها عقب حرب فلسطين فأصبح اسمها مملكة الاردن منذ ذلك الوقت ٠ ويحكمها الملك حسين وهو يبلغ ٢٤ عاما من عمره ٠ وقد عرف عن الحكومات الاردنية عدم الاستقرار فضلا عن عدم الكفاية ٠ ومشاكل الاردن الملحة كثيرة وقد أضيفت اليها مشكلة الفوارق القائمة بين طوائف شعبها فأن العرب الفلسطينيين فى غربى الاردن أكثر تشدقا بالسياسه ووعيا لها من أهل شرقى الاردن ٠ وقد ضاقوا ذرعا بخمول مواطنيهم الجدد ٠

تعتبر سوريا دولة بدائية للغاية أرضها قاحلة وفلاحوها متأخرون وليس بها الا قلة من الحكام ذوى المقدرة ٠ وهى موئل للمتطرفين العرب ـ فيها المركز الرئيسى لكل من الاخوان المسلمين والشيوعيين وان يكن الحزب الشيوعى مازال صغير الشأن ـ وقد تولى حكومتها فترة من الزمن رجال عاجزون فتدخل ضباط الجيش فى عام ١٩٤٩ رقلبوا نظام الحكم الديمقراطى واستبدلوا به حكما قويا بدا أنه ضرورى لتحقيق التقدم ، ولكنهم لم يلبثوا أن انقسموا على أنفسهم شيعا واستمر الحال على ما كان عليه من عجز رعدم استقرار ٠ وتقوم علاقة سوريا بدول العالم على أساس ما كان عليه من عجز بتغير الشيع التى تحكمها ٠ وقد كان لبعض الضباط الذين تولوا الحكم فيها أخيرا ميول تبعث الذعر للتعاون مع الشيوعية ٠ ولبنان الجارة الصغرى لسوريا أكثر منها تمدينا ـ فى مدنها على الاقل ٠ فان طرابلس وبيروت فيها تحتفظان بالكثير من نكهة الحضارة الفرنسية ٠ ولكن الهوة عميقة بين مدن لبنان وريفها ٠ ولبنان أصغر من أن يتدخل فى الخلافات الناشبة بين الدول العربية وهو لذلك يظل بمنأى عنها ٠ ويعانى لبنان منعدم استقراره سياسيا وقد تعرض لكثيرمن الثورات نشبت فيه ٠

تبدو دولتا العربية السعودية واليمن وكأنها لا تنتميان الى القرن العشرين وذلك رغم ما تمتلكه الاولى من آبار بترول هى أغنى الآبار من نوعها • وهـذه الآبار تحت يد أمريكا وتديرهـا شركة أرامكو (Aribian - American Oil Company) وقد حصلت الولايات المتحدة أيضا على التصريح باقامة قاعدتها الاستراتيجية الهامة للطيران، فى الظهران • الا أنها حرصت على عدم التدخل فى سياسـة الدول العربية السعوديه وذلك حتى عهد قريب • وتجبى الحكومة السعودية أموالا ضخمة نظير الامتياز الممنوح لشركة أرامكو كما تجبى دخلا كبيرا من الحجاج فى موسم الحج السنوى الا أنها تعانى من الدين • وهى تجرى فى حكمها على أساس النظام الاقطاعى ، وتنفق ثلث ما يدخل خزانتها من مال على مناعم أعضاء الاسرة المالـكة وهى كثيرة العـدد للغاية (كان لابن سعود الذى توفى عام ١٩٥٤ أكثر من مائة ابن) والحاكم الحالى هو عبد العزيز بن سعود • وقبائل الدولة السعودية غير مستقرة بل مازالت تجوب الصحراء كما ألفت من قبل • وهى متعصبة للاسلام بطريقة تدل على ضيق الافق فانه من المحظور دخول أى مسيحى الى العاصمه الرياض • والرق منتشر فيها وشائع •

وتشبه اليمن السعودية من أوجه كثيرة وان تكن دولة صغيرة • فان على سفوحها حقولا متجاورة وهى تنتج الكثير من الجلود الصالحة للمدباغة والاخشاب والقهوة • والرق قائم فيهـا • ويجمع جيشهـا بوصفه حرسا خاصا ، وهو مجهز فى الغـالبية ببنـادق تحشى من فوهتها وسيوف مقوسة وان كانت قد حصـلت أخيرا من الاتحـاد السوفييتى على دبابات وطائرات • وأئمة اليمن يحكمونها حكما فرديا وقد تميز هذا الحكم حتى فى الفترة الاخيرة بكثرة ما يقع من حوادث الاغتيال ولم تسمح بدخول الاجانب اليها الا منذ عهد قريب وان كان لم يدخلها منذ ذلك الوقت الا عدد قليل منهم • ولكن تملك اليمن بوقوعها فى آخر البحر الاحمر مركزا استراتيجيا هاما • (يعطيها موقعها هذا أهمية أيضا فى محاربة الجراد التى يجب أن تتم على نطاق دولى حتى يمكن القضاء عليه •)

وليبيا عضو آخر فى الجامعة العربية وهى صورة ثانية من الاردن • وقد كانت مستعمرة ايطاليا من قبل فلما انتهت الحرب اقترح وضعها تحت الوصاية فتقدم عندئذ الاتحاد السوفييتى طالبا أن يكون الوصى

عليها فبادرت بريطانيا والولايات المتحدة الى خلق دولة مستقلة منها . وليس لليبيا موارد ولا فيها حكام قادرون (وان يكن لها دستور حديث على النسق الديمقراطى) وهى تعتمد اعتمادا كليا على الاعانات التى تتلقاها حكومتها نظير استعمال القواعد فيها . وقد أقامت الولايات المتحدة فى ويلاس فيلد *Wheelus field* بها مركزا لقوة الطيران الاستراتيجية رقم ١٧ ويمتد مجال عمل هذه القوة حتى حتى يمتد من اسبانيا الى الباكستان (كان هذا المركز قائما فى رباط بمراكش حتى عام ١٩٥٥) وأغلب أهالى ليبيا يمتهنون الرعى ، وادراك ولاياتها الثلاث طرابلس وبرقة وفزان ضئيل بالنسبه لشعور الوحدة وكذلك ولاؤها للملك أدريس رأس القبيلة السنوسية . ولكن الشعور بالقومية العربية حى حتى فى ليبيا ، فعندما قامت أزمة السويس عام ١٩٥٦ أعلنت حكومتها فى جلاء أنها لن تسمح باستعمال القواعد المنشأة فيها ضد مصر .

* * *

مشكلة اسرائيل

تولى هتلر حكم ألمانيا فى عام ١٩٣٠ وقد فر منها خلال ذلك العام آلاف من اليهود هربوا من اضطهاده لهم باحثين عن ملجأ لهم فى أرض الميعاد ، ومنذ ذلك الوقت ازدادت تعقدا مشكلة اقامة « وطن قومى » لليهود فى فلسطين : وتعبير « وطن قومى » هو تعبير غامض وقد اختار الصهيونيون أن يفسروه بأن المقصود هو اقامة دولة لهم . وقد حاولت بريطانيا أن تتجنب مغبة ذلك بأن تجعل من فلسطين مقاما لكل من اليهود والعرب بحيث يتشارك الجنسان معا فى حكمها ، ولكن سرعان ما تبينت أن المشكلة لن تحل بسهولة . فان اليهود وافقوا على الحل الذى اقترحته مشترطين أن تكون الاغلبية فى فلسطين لهم ، ولكن رفض العرب قبول هذا الحل الا على أساس من بقاء اليهود اقلية . ونتج عن ذلك أن نشب الصراع حول عدد اليهود الذين يسمح لهم بدخول فلسطين ، وثار الشغب بين الطرفين وأخذ يزداد خطورة . كان عدد اليهود فى فلسطين يبلغ ٦٠٠ر٠٠٠ يهودى فى عام ١٩٣٩ فى مقابل مليون عربى فأصدرت بريطانيا عندئذ « الكتاب الابيض » وأعلنت فيه

عن عزمها على تحديد الهجرة بحيث لا يزيد عدد من يسمح لهم من اليهود بدخول فلسطين عن ٧٥٠٫٠٠٠ يهودى • ولم تلبث أن نشبت الحرب العالمية فنحيت هذه المشكلة جانبا •

ثم تجددت ثانية فى عـام ١٩٤٥ ولم يلبث الموقف أن بلغ درجة الخطورة • فلما حاولت بريطانيا أن تنفذ السياسة التى أعلنتها فى عام ١٩٣٩ لجأ اليهود الى تهريب المهاجرين • وبالرغم من ذلك فلم تكف بريطانيا عن بذل جهودها فى جمع الفريقين على اتفاق يرضيانه تجنبا لتقسيم البلد ، وقد كادت تنتهى هذه الجهود الى النجاح لولا أن القى الرئيس ترومان تصريحا انتخابيا حث فيه على زيادة حصة المهاجرين فأدى ذلك الى تشدد اليهود وفشل المناقشات • وقد غضبت بريطانيا من هذا التدخل كما أنها رفضت أن تفرض حلا لا يقوم على أساس من رضا الجانبين عنه ، لذلك تخلت لهيئة الامم عن الوصاية الممنوحة لها على فلسطين • وقد ناقشت هيئة الامم هذه المشكلة فى عام ١٩٤٧ وعينت لجنة وضعت خطة للتقسيم فى ديسمبر من ذلك العام • وعندئذ أعلنت بريطانيا أنها سوف تغادر فلسطين فى ١٥ من مايو ١٩٤٨ ، ورغم كثرة المناقشات التى دارت فى هيئة الامم عقب ذلك فانها لم تقرر كيف سيتم هذا التقسيم عندما يحل الميعاد الذى حددته بريطانيـا لجلاء جيوشها عن البلد • فلما حل يوم ١٥ مايو لم يكن فى فلسطين الا حفنة من موظفى هيئة الامم • وعندئذ سارع اليهود فأعلنوا قيام دولة اسرائيل ، أما العرب فقد كانوا عبأوا جيشـا للتحرير وأعلنوا أنهم سيقذفون باليهود الى البحر ، فساروا نحو الحدود • (قدمت الولايات المتحدة اقتراحا أيدتها فيه الروسـيا يقضى باستعداء ميثاق الهيئة واعماله على أساس قيام حالة حرب فرفضت ذلك بريطانيا فقد نظرت إلى الامر نظرة تكون عاطفية واستعملت حق الفيتو لايقافه على أساس أن هذا الاقتراح يعنى الاعتراف باسرائيل كدولة • وهى قد أيدت على أى حال القرار الذى يقضى بالكف عن القتال •)

اذا تأمل المرء الموقف على الورق وجد ٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ عربى يواجهون ما يقل عن مليون يهودى فى بلد لم ينفسح أمامها من الوقت ما يكفى لتنظيم نفسها ، فيبدو العرب عندئذ قادرين على تنفيذ ما هددوا به • ولكن العرب هم الذين منوا بالهزيمة • وقد أدى تدخل هيئة الامم الى ايقاف القتال مرتين لاجراء مفاوضات • ولكن لم يلبث أن نشب القتال

ثانية مرتين أيضا . فى نقاط متفرقة فى المرة الاولى ثم على نطاق كامل فى المرة الثانية . فلما توقف القتال نهائيا بعد ذلك فى عام ١٩٤٩ بموجب اتفاقات متفرقة باقرار الهدنة ــ لم يكن عقد اتفاق بالهدنة يشمل كل الدول العربية ــ مد اليهود حدود دولتهم الى مدى بعيد وراء ما اختطتة لهم هيئة الامم فى عام ١٩٤٧ واذا غضضنا النظر عن عدم كفاءة الجيوش العربية وعجزها فان السبب الرئيسى فى هزيمتهم انما يرجع الى عدم قدرتهم المطلقة على التعاون فيما بينهم . فعبد الله مثلا لم يكد يوفق فى ضم الجزء الذى يواجــه دولتــه من فلســطين وراء نهر الاردن وذلك فى الفترة الاولى من الحرب حتى فقد كل اهتمام له بها فرفض أن يشتبك فى القتال حتى يرفع الضغــط عن المصريين الذى كان اليهود قد أجلوهم فى المرحلة الثانيه من الحرب الى قطاع غزة . ولم يكن بيد سوريا أن تقدم عونا ذا شأن . ولم تسهم باقى الدول العربية بالكثير فى هذه الحملة .

ان الهدوء شبه مستتب الآن فى هذه المنطقة ولكنها قابلة للالتهاب فى أى وقت . فالعرب يقومون بالاغارة على حدود اسرائيل قصد الاضرار بها ، ويرد اليهود عليهم بهجمــات منظمة . وقد حظر كلا الفريقين التعامل مع الفريق الآخر ، وهذا يؤدى الى الاضرار الشديد بكليهما . ولم يمكن الوصول الى اتفاق دائم بين الفريقين ولذلك ستظل الحالة خطيرة بينهما الى درجة شديدة كما سيتعذر اقامة نظام مقنع لكفالة السلام فى كل منطقة الشرق الأوسط الا اذا تم هذا الاتفاق. وسياسة الغرب التى يتبعها الآن سياسة مؤقتة لا يرمى ورائها الا الى مجرد المحافظة على السلام حتى يفىء الفريقان الى التعقل فيصلا الى اتفاق يرضيانه . وقد تجلت هذه السياسة واضحة فى التصريح الثلاثى الذى صدر فى عــام ١٩٥١ والذى أعلنت فيــه بريطانيــا وفرنسا والولايا المتحدة أنها سوف تحد من مد الفريقين بالاسلحــه حتى لا يقوى أحدهما على الآخر . فاذا اعتدى أحدهما فانها ستخف الى نجدة المعتدى عليه . وهذه السياسة قد فشلت على أى حال فشلا بينا . فلم يعتقد العرب ولا اليهود أن الوعــد بالدفاع عن الدولة المعتــدى عليها ــ لم يوضح هذا الوعــد الا بطريقة مبهمــة ، واشتراطاته غير جلية ــ سوف ينفذ حقا . ولم يؤد تطاول الزمن الى ما كان مأمولا من تخفيف حدة التوتر تدريجيا فاستمرت الشكوك والعداء بل لقد زادت عما كانت عليه . فمن الملوم من الفريقين فى عدم الوصول الى اتفاق ؟

هناك ثلاثة أمور يجب الوصول الى حل لها : أولها حدود اسرائيل، وثانيها العرب اللاجئون ، وثالثها تعمير وادى الاردن • أما الامرالاول فان العرب يطالبون بانسحاب اليهود حسب التقسيم الذى رسمته هيئة الامم فى عام ١٩٤٧ واليهود يرفضون هذا المطلب بحجة أن العرب قد رفضوا قبولهذا التقسيم فى البدايه ، ثم أن أرض اسرائيل حتى بوضعها الحالى تكاد تضيق بسباكنيها • وان تكن اسرائيل قد أبدت استعدادها لقبول المفاوضه فى اجراء طفيفة ببعض المواقع على الحدود • ويطالب العرب بممر فى خلال اسرائيـل يصل بين الاردن ومصر ـ كان التقسيم العجيبالذى وضعته هيئة الامم لحدود اسرائيل عام ١٩٤٧ قـد راعى ذلك ـ واليهود على استعـداد لمنح العرب حق الترانسيت فى طرق معينة عبر النقب يستطيعون المرور فيها . وبيت المقدس مشكلة عسيرة الحل، فالاردن واسرائيل تقتسمانها ، على حين يقضى تقسيم هيئة الامم بتدويل هذه المدينة ، وقد عمـدت الاردن أخيرا الى اقامة برلمانها فيها تأكيدا لتبعية الجزء الذى تحتـله لهـا • (بيت المقدس مدينة مقدسه لدى كل من اليهود والمسلمين •)

أن مسلك العرب ازاء موضوع الحدود يدل على استعدادهم لبلوغ اتفاق بشأنها وان اختلف ذلك عما يدأب قادتهم على أعلانه من أنه لن تحل هذه المشكلة الا بعد تدمير اسرائيل كدولة • وهذا هو مسلكهم ازاء مشكلة اللاجئين وان لم يصرحوا به • ويبلغ عدد أولئك اللاجئين نحـو ٩٠٠ر٠٠٠ لاجىء فهم ٥٠٠ر٠٠٠ فى الاردن ، ١٠٠ر٠٠٠ فى لبنان و ٨٠ر٠٠٠ فى سوريا و ٢٠٠ر٠٠٠ فى قطـاع غزة • وتقوم باعانتهم الآن منظمة خاصة فى هيئة الامم المتحدة هى *UNWRA* التى كررت عرضها بان تتحمل نفقات تمويل هؤلاء اللاجئين بقصد اقامتهم أقامة دائمة فى الدول العربية • ولكن تنفيذ هذا الاقتراح يتطلب تعاون الدول العربية ـ تستطيع العراق استيعاب عدد ضخم من هؤلاء اللاجئين ـ ولكن ليس من المنتظر أن يتحقق هذا التعاون سريعا ، ثم أن العرب يرفضون على أى حال كل اقتراح لا يؤدى الى اعادة هؤلاء اللاجئين الى أرضهم الاصلية فى داخل اسرائيل • وهذا أمر غير معقول على الاطلاق . فان اليهود يعترضون علىذلك بأن اعادة أولئك اللاجئين اليها سوف يعصف بأمنهم داخل اسرائيل وانهـا لا

تتسع حتى لسكانها الحاليين ٠ ويكفى أن لدى اسرائيل ٣٥٠٠٠٠ر٣٥٠ لاجىء من الدول العربية (فضلا عن ذلك فانه ما يزال فى اسرائيل ٦٠٠٠٠٠ر٦٠٠ عربى ٠)

تنطوى مشكلة اللاجئين على مشكلة أخرى هى التعويضات ومطلب العرب من هذه التعويضات شديد الضخامة ٠ ويجيب اليهود على هذا المطلب بأن الحصار الذى فرضه العرب حولهم يضعف من قدرتهم على الدفع الى درجة كبيرة .. وقد ضغطت الولايات المتحدة أخيرا على اسرائيل فاستجابت لها حتى يبدو فعلها هذا كاشارة بالمصالحة بأن افرجت عن ٣٠٠٠٠٠٠ر٣ دولار تشمل الحسابات الصغيرة من مجموع مبلغ قدره ٥٠٠٠٠٠٠ر٥ دولار تخص ٦٠٠٠٠ر٦٠ عربى فى بنوك اسرائيل ٠

والموضوع الثالث الذى يدور عليه الخلاف بين الفريقين هو تعمير وادى الاردن أو استصلاحه وهذا اقتراح يرجع معظم الفضل فيه الى الولايات المتحدة ٠ فقد قام مهندسوها بتخطيط مشروع لاستصلاح هذه المنطقة لحساب هيئة الامم بحيث يشمل اقامة خزانين الغرض من اقامتهما اخصاب الارض في ذلك الوادى وهذا مما يؤدى الى تسهيل اقامه اللاجئين ، كما يخفف الضغط الواقع على اسرائيل والذى يدفعها الى طلب التوسع ــ هذا هو السبب لرئيسى الذى برر به العرب رفضهم لهذا المشروع لعدم امكان تصورهم استمرار بقاء دولة اسرائيل ــ ويتيح تنفيذ هذا المشروع لسوريا ولبنان والاردن أن تحصل على ثلثى ما ينتج منه من ماء ، الا أن هذه الدول رفضت الاشتراك فى أى مشروع يقتضى التعاون مع اسرائيل أو يؤدى الى ما فيه نفع لها ٠

لا شك اذن أن العرب هم الذين يقيمون العوائق أمام قيام صلح نهائى ٠ ووراء كل تصريح يدلون به فى أى مناسبه من المناسبات يجثم تصميمهم بأنه لا يمكن قيام السلام الا بعد القضاء على اسرائيل ٠ والواقع أنه ما من سياسى عربى يستطيع الموافقة على عقد صلح مع

اسرائيل فى الوقت الراهن ، فان مؤدى ذلك انتحاره سياسيا • ويعتقد كثيرون فى الغرب أن ثمت ظلما فادحا قد وقع بالعرب ، وان الغرب مسئول عن ذلك الى حد كبير باقامة اسرائيل • ولكن ذلك أمر قد تم ومن المستحيل اعادة عقرب الساعة الى الوراء كما يطلب العرب• ويؤدى ذلك الى الاعتقاد بأنه لا يمكن ايجاد حل الا اذا أرغم العرب على قبوله • فانه من المستحيل أن يقوم الاتفاق بين العرب واليهود عن طواعيته منهمـا فعلى الغرب أن يواجه هذه الحقيقة طوال رفض العرب واليهود أن يصلا الى قرار يرضاه الجانبان •

وتؤدى هذه المشكلة الى شل كل سياسة يمكن اتخاذها فى الشرق الاوسط فى الوقت الراهن • فليس بامكاننا اقناع الدول العربية بتهديد الروسيا لهما بسبب انشغال هذه الدول • انشغـالا كاملا بوجود اسرائيل ، كما لا يمكننا أيضا أن نسلح قوات هـذه الدول تسلحا كاملا يكفى لسلامة هذه المنطقه ازاء روسيا • فان كل سلاح سنقدمه للعرب سوف يستعملونه ضد اليهود • وفضلا عن ذلك فان كل وقاية نقدمها الى اليهود انما نفقدها من تأييد العرب لنا على حين تقوم عليهم كل مشروعاتنا لتقويه الدفاع عن هذه المنطقة ودعمه • وبالرغم من ذلك فلو أننا تدخلنا تدخلا حاسما بين العرب واليهود ــ باعلان صريح نبدى فيه تصميمنا على اسرائيل سوف تظل قائمةـ فان ذلك سيجعل العرب ينظرون الى الامر نظرة أكثر واقعية •

* * *

اسرائيل الآن

لقد أنشأت أمة اسرائيل بين القلاقل العنيفة وصمدت لها . وتتكون هذه الامة من خليط عجيب غير متجانس ، وأكثر من نصفها قليلا من الشرقيين والباقى غربيون • وبين أولئك الذين جاءوا ليعيشوا فى هذه الدولة على نسق عيشه ابراهيم فيها طوائف مسرفة فى تطرفها تحاول أن تقيم نظما اشتراكية غاية فى التقدم • فهنـاك من ناحيـة الكيبوتز *the Kibbutzin* أى القرى الجماعية حيث تجد كل شيء ــ حتى الاطفال فى بعض الاحيان ــ يعتبر ملكا مشاعا بين الجميع،

بينما تجد في الناحية الاخرى طوائف تدعوا الى تحريم التشريح الامر الذي عاق دراسة الطب في بعض المدارس فترة طويلة ، أو الى تعطيل المواصلات العامة في أيام السبت • ويعتمد النظام الانتخابي في اسرائيل على التمثيل النسبي ولذلك يشتمل البرلمان الاسرائيلي على عدد كبير من الاحزاب • وقد كان من الملحوظ في انتخابات عام ١٩٥٦ أن الاتجاه العام لم يؤيد الاحزاب المتوسطة بل أيد المتطرفين من الجانبين وهذا علامة على وجود انقسام عميق في الدولة يجعل من المتعذر أن تقوم فيها حكومة ائتلافية وطيدة • ولكن هذا التناقض الواضح في معتقدات الامة سرعان ما يتحول الى توافق كامل وثابت ملحوظ في وجه المصاعب والكوارث حين تقع •

والوضع الاقتصادي وحده يكفي لتثبيط همة اليهود لولا شجاعتهم الفائقة • فان اقامة دولة جديدة في صحراء فلسطين يتطلب نفقات بالغة ، والعبء الذي وضع على أكتاف شعبها وتعداده مليون نسمة لهو عبء مجهد . وتعتزم اسرائيل توطن مليونين آخرين من المهاجرين في العشر سنوات القادمة وهذا يتطلب زيادة في النفقه (كان من المعتزم انفاق ٠٠٠ر٠٠٠ر٧١٠ر١ دولارخلال المدة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ منها ٠٠٠ر٠٠٠ر٤٢٠ دولار قيمة تعويضات ألمانيا عما انزله النازيون باليهود من اضطهاد) وميزان اسرائيل التجاري ليس في صالحها بتاتا ، فضلا عن أنها مضطرة الى الاسراف في التسلح ، كما أن الحصار الذي أقامه العرب حولها قد آذاها أذى اقتصاديا بالغا ، فان هذه الدول العربية هي السوق الطبيعية لاسرائيل • وتعتمد اسرائيل اعتمادا كليا على الاعانات التي تأتيها من الخارج ومعظمها تبرعات من الجمعيات اليهودية في الولايات المتحدة . ولا ينتظر أن تستطيع اسرائيل الاعتماد على نفسها لسنوات كثيرة قادمة • (لم يكن بامكان كافة الاسرائيليين أن يحتملوا هذا النضال ، لذلك غادرها نحو ٠٠٠ر٥٠ من مستوطنيها في السنوات الاخيرة •

* * *

الجلاء عن قاعدة « السويس »

استمرت بريطانيا عقب انتهاء حرب فلسطين في بذل جهدها من أجل اقامة منظمة للدفاع عن الشرق الاوسط وان كانت لم تلق في ذلك نجاحا . فقد وجهت دعوة في عام ١٩٥٢ الى الجامعة العربية لتكون دولها مركز الوسط في منظمة الدفاع تلك ، ولكن الجامعة رفضت هذا العرض . وان ظلت بريطانيا مصرة رغم ذلك على سياستها هذه فترة من الزمن ، بل انها سعت الى تحسين علاقاتها بالدول العربية ولكن كان احتلالها لقاعدة منطقه قناة السويس من أهم الاسباب التي تحول دون تحسين هذه العلاقات . ولما كانت أقامة بريطانيا في القاعدة تنتهي في عام ١٩٥٦ وذلك حسب معاهدة عام ١٩٣٦ لذلك قامت مباحثات في فترات متقطعة بين بريطانيا ومصر بهذا الخصوص بدأت منذ عام ١٩٤٦ فأكدت مصر تصميمها على وجوب تخليص أرضها من القوات البريطانية ــ وهذا كان تصميم مصر منذ البداية ــ عقب انسحاب البريطانيين من مصانع تكرير الزيت في عبدان بايران في عام ١٩٥١ (سنعالج هذا الموضوع في الفصل القادم) وكان من الممكن الوصول الى اتفاق بين الدولتين بخصوص قاعدة قناة السويس لولا مشكلة السودان (سنبحث هذه المشكله في الفصل القادم) وهي تتشابك دائما بموضوع القاعدة وقد تم اتفاق تمهيدى بين الحكومتين في عام ١٩٤٦ على أساس شبيه بما قامت عليه المعاهدة الأخيرة ، ولكن قضى عليه بالفشل بسبب عدم امكان ايجاد حل لمشكلة السودان . فنقلت مصر خلافها مع بريطانيا الى هيئة الامم المتحدة في عام ١٩٤٧ حيث فشلت فشلا ذريعا بسبب عدم استعداد دول الهيئة للوم بريطانيا فألغت من جانبها في عام ١٩٥١ المعاهدة التي تربطها ببريطانيا . ثم شجعت الجمهور المصرى على احداث قلاقل مثيرة تجعل بقاء الاحتلال الانجليزى أمرا متعذرا . ولكن بريطانيا وقفت موقفا حازما نظرا لاهمية هذه القاعدة التي أنشأتها لاقامة ٨٠٫٠٠٠ جندي . ثم اضطرت في النهاية الى اتخاذ اجراءات كثيرة منها الاستيلاء على مركز بوليس الاسماعيلية الذى دافع عنه جنوده المصريون الى آخر رجل منهم . وقد كان مركز البوليس هذا مبعثا لكثير من المضايقات لبريطانيا ، وجعلها في موقف شائك ازاء الرأى العام العالمي .

فلما قام الجيش بقيادة الجنرال نجيب والكولونيل ناصر بعزل الملك في عام ١٩٥٢ واقامة حكومة مطلقة السلطان أمل البريطانيون أن تكون هذه الحكومة أكثر ميلا الى الواقع فى تقدير أهمية هذه القاعدة وامكان رعاية ما بها من معدات تبلغ قيمتها ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه استرليني فيمكن بذلك الوصول الى اتفاق معقول . وقد أمكن الوصول الى هذا الاتفاق فعلا فى أكتوبر عام ١٩٥٤ فتنازل كل من الطرفين بموجب هذا الاتفاق عن بعض وجهات نظره للآخر . فلقد أصرت بريطانيا على وجوب بقاء فرقة من جنودها للمحافظة على القاعدة ، وأصرت مصر على عدم بقاء أى جندى أجنبى فيها بملابسه العسكرية ، وأخيرا سلمت بريطانيا لمصر بما ارادته . فلما تباحث الفريقان عن الظروف التى تبيح لبريطانيا العودة الى احتلال القاعدة أصرت مصر على أن يكون ذلك قاصرا على الحالات التى تتعرض فيها احدى دول الجامعة العربية الى هجوم خارجي ، ورأت بريطانيا أن تضم تركيا الى هذه الدول ولم تكن مصر موافقة على ذلك . وفى هذه المرة استجابت مصر لطلب بريطانيا . وأخيرا تم الاتفاق بين الدولتين كالآتى :

١ ـ يتحتم أن يتم جلاء كافة القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس في خلال ٢٠ شهرا . (وقد تم الجلاء فعلا قبل الموعد المضروب .)

٣ ـ مصر مسئولة أيضا عن المحافظة على مرافق المنطقة .

٣ ـ مصر مسئولة أيضا عن المحافظة على مرافق المنطقة .

٤ ـ تقوم شركات مدنية بالاشراف على مافى القاعدة من أجهزة بحيث يشرف عليها ضباط انجليز تكون القاهرة مركزهم . ولهم أن يستخدم لهذا الغرض مالا يزيد عن ١٫٢٠٠ رجل يؤخذ ثلثهم من مصر .

٥ ـ تحق لبريطانيا العودة الى القاعدة في حالة وقوع هجوم على أى دولة من الدول المشتركة فى الجامعة العربية ، أو تركيا .

٦ ـ يجب مشاورة بريطانيا ومصر فى حالة وقوع خطر يهدد المنطقة .

٧ - يجوز نقل معدات الى داخل القاعدة أو الى خارجها ، ولكن يجب الا يزيد ما فيها عما هو متفق عليه ، الا بموافقة مصر ٠

٨ - من حق سلاح الطيران البريطاني أن يمارس الطيران فوق القاعدة بشرط سبق الاخطار عن ذلك ٠

٩ - يعاد النظر في هذه المعاهدة بعد سبع سنوات ٠

لماذا رضيت بريطانيا أن تفرط في هذه القاعدة التي كانت تعتبرها جزءا هاما من تنظيمها الدفاعي عن العالم ؟ لقد ذكرت تبريرات كثيرة لهذا التصرف عندما نظر مجلس العموم في أمر الاتفاقية ٠ من هذه التبريرات التي ذكرت تقدم الاسلحة الذريه ، فقد قيل أن تقدم هذه الاسلحة الذرية قد جعلت الدفاع عن القاعدة أمرا متعذرا بسبب تركيز ما بها من القوات ، كما أنه قلل من قيمتها نظرا لبعدها عن المناطق التي تقع شمالي تركيا والتي تعتبر الآن ذات أهمية بالغة بسبب تطور الاوضاع ٠ وسوف نعود الى هذه النقطة بتفصيل أوفى) ولكن اذا أدى ذلك الى انتقاص قيمة القاعدة فانه لا يؤدي الى التخلي عنها اذا كان استبقاؤها أمرا ممكنا ٠ ولكن كان ثمت عامل أهم من ذلك هو رغبة بريطانيا في مصادقة الامم المشتركة في الجامعة العربية ، وهذه المصادقة أمر ضروري اذا أريد اقامة سياسة ثابتة في المنطقة ٠ ولم يكن من الممكن بلوغ هذا الهدف ما ظل الخلاف ناشبا بسبب احتلال بريطانيا للقاعدة ٠ وفضلا عن ذلك فان الاجراءات التي اضطرتنا الى اتخاذها للدفاع عن جنودنا في هذه القاعدة ازاء تدخل الشعب المصري قد أثارت ضدنا شعور العداء في كثير من انحاء العالم ٠ ولكن كانت أهم الاسباب التي دعت الى انسحابنا هو ما كنا نعانيه من الارهاق فيما يتعلق بالاقتصاد من ناحية وبالرجال من ناحية أخرى فلم يكن من السهل تزويد هذه القاعدة بـ ٨٠٫٠٠٠ جندي ٠ وقد قيل لمجلس العموم آنذاك أن السلطات العسكرية تدرس امكان الاقامه في مكان آخر يكون أقل اتساعا ويمكن تزويده بعدد من الجنود ، وان كانت هذه الدراسة قد انتهت فيما بعد الى أن أي موضع آخر أصغر من قاعدة السويس لا يساوي عبء المحافظة عليه ٠ فاذا نحن أردنا البقاء في الشرق الاوسط فان علينا أن نحتفظ بكل منطقة السويس ، فاذا نحن فعلنا ذلك فسيبقى المصريون على عدائهم لنا ، وسيتحتم علينا عندئذ

أن نستبقى الـ ٨٠٫٠٠٠ جندى فى القاعدة حتى يمكن تأمين مرافقها والمحافظة على خطوط تموينها . ولم تكن القاعدة لتساوى كل هذا العناء .

كان المغزى الذى خرجنا به من هذه التجربة هو أنه لا يمكن اقامة سياسة ثابتة فى هذه المنطقة الا على أساس من تأييد شعوبها . أما قيام قاعدة لنا بين شعب يعادينا فهو أمر يتطلب من الجهود ما يجعل بقاءنا فى هذه القاعدة عديم الجدوى من الناحيه الحربية .

* * *

حلف بغـداد

كان اتفاق بريطانيا مع مصر على الجلاء عن قاعدة السويس خطوة فى سياستها التى هدفت من ورائها الى تحسين علاقاتها بدول الجامعة العربية ، ولكن نشأت فى هذه الفترة سياسة أخرى للدفاع عن المنطقة لا تشترك فيها دول الجامعة العربيـة وذلك باقـامة حلف من الدول الشمالية . وهذه السياسة أمريكية فى الاصل ولكن لم تلبث أن وافقت بريطانيا عليها . والمقصود من هذه السياسة هو انشاء منطقة دفاعية تقوم فى شمالى الدول العربية . وقد بدأ تنفيذ هذه السياسة فى أبريل عام ١٩٥٤ بتوقيع معاهدة بين تركيا والباكستان بتشجيع من الولايات المتحدة . ولما كانت الباكستان بعيدة بآلاف الاميال عن تركيا ، لذلك كان من المتعذر على احداها أن تخف لنجدة الاخرى أو أن تقوما بوقاية الشرق الاوسط ، ولذلك بدأ واضحا أن هذه المعاهدة ليست الا البداية فحسب وان لها مابعدها . ولقد قيل صراحة أن دولا أخرى من جيران تركيا والباكستان سوف تنضم الى هذه المعاهدة حتى تتصل الحدود بين الدولتين .

وكان الدافع الى اتخاذ هذه السياسة سببان . أولهمـا : الأثر الثورى الذى أحدثته الاسلحة الذرية فى تطور سير الحرب ، فقد جعلت اختراق خطوط المواصلات أمرا ميسورا عن ذى قبل ، فأدى ذلك الى تغير الموقف فى الشرق الاوسط تغيرا بينا . فان كل مواضع الهجوم

التى تستطيع الروسيا النفاذ منها الى الشرق الاوسط انما تقوم فى أماكن عسيرة ـ عند حافتى جبال القوقاز أو عند حدود الصحراء الواقعة شرقى بحر الخزر ، ثم تعبر بعد ذلك هضبه كردستان الشديدة الوعورة فى شمال ايران ـ معظمها لاتخترقها السكة الحديد ، فاذا أريد مدها استلزم ذلك اقامة العديد من الانفاق والكبارى • وفى استطاعة القنابل الذرية أن تحطم أى اتصال فى هذه الجهات فتجعل من العسير للغاية على اتحاد السوفييت أن يبدأ هجوما واسع النطاق فى هذه المنطقة . والدفاع عن هذه المنطقة ممكن ـ بل لقد صار أكثر امكانا عن ذى قبل ـ ولكنه فى حاجة الى قواعد لقاذفات القنابل الخفيفة والمتوسطة على مسافات متقاربه ، مع اقامة قوات محدودة العدد على الارض وراء هضبة كردستان ، وذلك حتى يحشد المعتدى عددا ضخما من قواته عند اعتزامه شن الهجوم • ولذلك يعتقد العسكريون الآن أنه يتحتم اقامة التنظيم الدفاعى عند هذه المنطقة وليس عند قناة السويس • والمنطقة الاخيرة هى التى تتخذها جامعة الدول العربية مركزا لدفاعها •

أما السبب الثانى الذى أدى الى انتهاج هذه السياسة فهو أن الفكرة التى دعت الى قيام منطقة الدفاع الشمالية انما ترجع فى أساسها الى ما تملك الغرب من غضب ازاء العرب بعد أن فشلت كل الجهود التى بذلها فى سبيل الحصول على معاونتهم له ، فرأى الاجدى أن يبدأ فى اقامه خط دفاعى جديد على أساس غير الاساس الاول • وأن لم يكن فى نيته أن يستبعد العرب عن خط دفاعه الجديد استبعادا تاما • فقد كان واضحا أنه يجب أن تشترك بعض الدول العربيه على الاقل فى منطقة الدفاع الشمالية حتى تصبح لها جدوى حقيقية • فهى فى حاجة الى أن تدعم بواسطة انضمام دول أخرى اليها ابتداء من أول البحر الابيض حتى منطقة الخطر الحيوية • وهكذا تلتقى السياستان الى حد معين فى وجوب نيل تأييد بعض الدول العربية على الاقل • ولكن فشل الغرب فى الحصول على تعاون جامعة الدول العربيه بتمامها ، وهذا أمر لا يدرك له سبب ، قد جعل من المحتم عليه أى الغرب أن يبدأ محاولته من جديد فى مكان آخر • وتحقيق قيام منطقه الدفاع الشمالية هذه يعنى اذن حدوث انشقاق مؤقت على الاقل فى جامعة الدول العربية •

وقد انضم العراق الى منطقة الدفاع الشمالية فى أبريل عام ١٩٥٥ فكان انضمامه نقطة تحول هامة في شئون الشرق الاوسط • ولقد تم انضمام العراق بواسطة عقده معاهدة دفاع مشترك مع تركيا وكان ذلك في بغداد (سمى هذا التنظيم منذ ذلك الوقت باسم حلف بغداد • ولم ينضم العراق الى معاهدة تركيا ـ باكستان ، بل أن باكستان هى التى انضمت بعد ذلك مباشرة الى حلف بغداد) وقد عرف عن العراق من قديم أنه المنافس الاول لمصر على زعامتها للعرب وانه ترتبطه بالغرب علاقات صداقه لم ترض مصر عنها • ولقد قبل العراق قبل انسحاب الانجليز من قاعدة السويس أن تمده الولايات المتحدة بالمؤن العسكرية رغم شدة المعارضة التى أبدتها مصر بسبب ذلك • وقد كان من المعروف أن انضمام العراق الى ذلك الحلف سوف يثير معارضة عنيفة من مصر ، ولكن كان من المأمول أن ترتد مصر الى صوابها وتنظر للأمر نظرة أكثر جدية فتحسن تقدير الفائدة التى يجنيها الدفاع عن الشرق الاوسط من قيام هذا الحلف • والواقع أن النية كانت منصرفة الى حث دول عربية أخرى على الانضمام للعراق ، وكان من المأمول أيضا أن مصر لن تلبث هى الاخرى أن تنضم اليه فى النهاية • ولكن رد الفعل فى مصر كان عنيفا للغاية وكان له تأثير مدمر أكثر مما كان منتظرا فأسفر ذلك عن نتائج بعيدة المدى •

عندما انضم العراق الى حلف بغداد طلب من بريطانيا ومن الولايات المتحدة كذلك أن تنضما الى ذلك الحلف • وقد فعلت بريطانيا ذلك • أما الولايات المتحدة فانها قد رفضت ـ وقد أثار رفضها هذا عجب بريطانيا فان الولايات المتحدة هى صاحبة الفكرة فى اقامة هذا الحلف وهو متفق مع امتداد سياستها ـ ولقد صرح علنا بأنه من المأمول انضمام كل من افغانستان وايران الى ذلك الحلف • الا أن العداء الناشب فى ذلك الوقت بين باكستان وافغانستان جعل انضمام الاخيرة أمرا غير مرجح فى تلك الاثناء • أما ايران فانها دولة ضعيفة للغاية ويكاد نفوذ حكومتها الا يصل حتى الى حدودها ، ولذلك كان الرأى أن ينصرف الجهد الى تقويتها أولا • ولكنها رغم ذلك لم تلبث أن انضمت الى الحلف فى أكتوبر وقد قوبل انضمامها هذا بدهشة عامة • ومن المحتمل أن تكون ايران بوضعها الحالى عبئا على الحلف وليس سندا يشد أزره •

لم تكد تنضم بريطانيا الى حلف بغداد حتى عمدت الى التغلب على مصدر للشكوى طالما ضج العراق منه • فاعادت النظر في المعاهدة التى عقدتها معه فى عام ١٩٣٠ وسلمت اليه مطارى الحبانية وشيبة • وكان قد سبق أن توصلت حكومتا الدولتين فى عام ١٩٤٧ الى اتفاق شبيه بهذا ، ولكن لم تكد تذاع بنوده حتى أعلنت جماهير بغداد ثورتها عليه ، فقد كان من رأى المتطرفين أن بريطانيا لم تتنازل للعراق بما فيه الكفاية • فرأت الحكومة العراقية وكان على رأسها حينذاك نورى السعيد الذى عاد بعد ذلك الى الحكم فى عام ١٩٥٥ أن تسحب توقيعها • ويقضى هذا الاتفاق الاخير أن يتسلم العراق المطارين وأن يظل من حق سلاح الطيران البريطانى أن يستعملهما وأن يقوم الفنيون الانجليز بصيانتهما على أن تسحب بريطانيا حاميتها العسكرية منهما . كما يقضى أيضا بأن تلتزم بريطانيا بمعاونة العراق فى تنمية سلاح الطيران العراقى وتدريب قواته ، وان يقدم لها العراق فى داخل حدوده كل التسهيلات اللازمة للدفاع عنه فى حالة نشوب حرب •

لقد نجحت مصر كما نجح العراق بعدها فى اقامة علاقتهما ببريطانيا على أساس من المساواة ، فتقدمت الاردن عندئذ الى جامعة الدول العربية طالبة قيام الحكومة البريطانية بدفع اعانتها السنوية الى الحكومة الاردنية مباشرة • وقد رفضت بريطانيا هذا المطلب وأصرت على رفضها له •

يجرى العمل فى منظمة حلف بغداد بواسطة اجتماعات يعقدها من حين الى آخر وزراء الدول المشتركة فيه ، أما باقى العمل فهو ملقى على كاهل لجنتين احداهما للشئون العسكرية والثانيه للشئون الاقتصادية ، وهما تجتمعان بصفة دائمة • وقد قيل الكثير فى بداية قيام الحلف عن كونه وسيلة هامة لتوزيع المساعدات الاقتصادية فى منطقة الشرق الأوسط ، ولكن لم تقدم الا مساعدات ضئيلة للغاية . واذا كانت الولايات المتحدة قد رفضت الانضمام الى الحلف الا أنها رضيت بالمساهمة فى الجانب الاقتصادى منه وعينت ممثلا لها فى لجنته الاقتصادية • وقد دارت مناقشات كثيرة عن سخاء الغرب فى بذل معاونته الاقتصادية لدول الحلف باعتبار هذه المساعدة وسيلة ثانية لصيانة منطقة الشرق الاوسط من الشيوعية • وقد بدأ أمرهذه

المساعدة على غاية من الاهمية أول قيام الحلف ، ولكنها لم تنته الى ثمرة ذات قيمة • فكل المشروعات التى تم تنفيذها فعلا لا تتجاوز تيسير المواصلات بين الدول الاعضاء ، وهذا أمر تدعو اليه الاغراض الحربية •

وترجع بعض أسباب التهويل فى أمر المساعدات الاقتصادية الى الرغبة فى اجتذاب باقى الدول العربية للانضمام الى الحلف • (تنص

بنود حلف بغداد على دعوة الدول العربية للانضمام اليه ، واذا كان انضمام دول أخرى الى ذلك الحلف يتوقف على موافقه الدول الاعضاء فيه فأن قبول الدول العربية يتم بمجرد الانضمام اليه • وقد تداخل عرض المعونة بالحلف الى قيام بعض الصعوبات فانه من العسير القول بأن معونة هذا شأنها تخلو من اشتراطات ـ وان يكن قد تمت الموافقة على امكان تقديم هذه المعونة الى الدول غير المشتركة فى الحلف أيضا•) ولكن لم تلبث مصر أن شنت حملة ساعدتها فيها السعودية لابعاد باقى الدول العربية عن العراق ، ولتحول بينها وبين الانضمام الى الحلف • ومن هنا نشأ النزاع بين بريطانيا ومصر فكانت مصر هى الغالبة •

وترجع شدة معارضة مصر لحلف بغداد الى أسباب أهمها أن ذلك الحلف خليق بأن يحدث تصدعا فى الجامعة العربية ، فضلا عن أنه يتحدى زعامة مصر للعالم العربى ـ وهى قد ازدادت تمسكا بهـذه الزعامة أكثر من ذى قبل بعد أن تولى جمال عبد الناصر الحكم فيها • وكان الرد الذى أجاب به عبد الناصر ـ ويبدو أن حكومات الغرب لم تكن تتوقعه ـ أن اشترى أسلحة تشيكوسلوفاكيا فى سبتمبر عام ١٩٥٥ وقد كانت الدول العربية شديدة المعارضة لحظر بيع الاسلحة الذى فرضه عليهـا الغرب تنفيـذا للتصريح الثـلاثى : فلمـا حرر عبد الناصر نفسه بهذه الخطوة من سلطان الغرب نال تقديرا عظيما فى نظر العرب . وكان قد حاول خلال شهرى مايو ويونيو أن يكون جبهة ضد العراق تضم مصر والسعودية العربية وسورية ولكن فشل فى ذلك فان سوريا بعد أن أبدت موافقتها عادت فتراجعت ازاء ما أبدته تركيا لها من أسباب • ولكن صار من الممكن الآن اقامة هذه الجبهة ، وسرعان ما تحقق ذلك •

لقد صار عبد الناصر لسان القومية العربية وتبدى سلطـانه فى شهر ديسمبر عند محاولة ضم الاردن الى حلف بغداد · فقد ذهب جنرال تمبلر الى عمان ليبحث مع الحكومة الاردنية اقتراح انضمامها الى الحلف ، فشبت المظاهرات المعادية بتشجيع من مصر والسعودية العربية مما أدى الى فشل الاقتراح · وقد كان اغداق الذهب من ناحية وتحريض عملاء الشيوعية من ناحيـة أخرى سببـا فى أثارة هـذه المظاهرات ، ولكنها كانت أيضا دليلا على توثب الشعور القومى الذى أصبح عبد الناصر الآن قائده · وكان قيـام الملك حسين فى نفس الشهر يطرد الجنرال جلوب قائد الجيش العربى دليلا جديدا على ذلك· فقد كان الملك حسين يفضل فى دخيلة نفسه استبقاء علاقته التقليدية ببريطانيا الا أن ذلك أفقده محبة شعبه ، مما جعل عرشه معرضا للخطر ولذلك أضطر الى ابداء العطف على القضية القوميـه · لقـد كانت بريطانيا وشيكة أن تفقد الاردن فان المعاهدة التى تربط بينهما كانت شارفت نهايتا التى يتحتم على بريطانيـا عنـدها أن تسلم للاردن قاعدتيها فى عمان والمفرق ، وان تحل العروض التى قدمتهـا مصر والسعودية محل الاعانة التى كانت تدفعها الى الاردن · وقد اتخذت هذه الخطوات فعلا فى مارس عام ١٩٥٧ بعد أن فقدت بريطانيا جانبا آخر من منزلتها فى العالم العربى ·

كانت الضربة التى وجهها عبد الناصر مثيرة لحيرة الغرب · فهو لم يكتف بأن حال دون تطور حلف بغداد بحيث يصبح منظمة عسكرية كانت الاحوال تستدعى ضرورة قيامها ، بل تسبب فى اتاحة الفرصة الروسيا أن تسبق أهداف الحلف بأن جعل لها قدما فى الدول العربية فى حين لم يقم هذا الحلف الا بغرض ابعادها عن هذه المنطقة . (ليس يحبو عبد الناصر الشيوعية بالعطف ، وهو يحاول استغلالها معتقدا أنه قادر على كبح جماح الشيوعيين ، ولكن الصلات العـديدة التى يقيمها الآن بين الكتلة الشيوعية والعالم العربى تثير مخاوف خطيرة لدى الغرب) .

وفضلا عن ذلك ، فهو بفتحه باب جديد لاستيراد السلاح صار يمثل خطرا شديدا على اسرائيل وهذا مما زاد من حدة التوتر القائم فعلا بصدد مشكلة فلسطين ـ خاصه أن العزب مابرحوا يصرحون علنـا بتبييتهم النية على تدمير اسرائيل · ولذلك أصبح متوقعا أن يعمد الغرب الى اتخاذ اجراء مضاد لما فعله عبدالناصر ·

عبد الناصر وسد أسوان

كان الغرب قد عرض على مصر مساعدته المالية لهـا فى تشييـد السد العالى بأسوان . ومشروع هذا السـد هام للغـاية بالنسبـة لعبدالناصر وربما كان بقاؤه فى الحكم مرهون بتنفيذه لهذا المشروع. فلما سحب الغرب عرضه بالمساعدة كان ذلك منه اجراءا مضادا لما أتاه عبد الناصر ، أو أنه على الاقل قد بدا بهذه الصورة .

عندما قامت جماعة الضبـاط التي يتزعمها جمـال عبـدالناصر بثورتهم فى عام ١٩٥٢ فعزلوا فاروق واوقفوا العمل بنظـام الحكم البرلماني ،انما كانوا يحاولون تنظيف ما تراكم فى حقـل السياسـة المصرية من أوضاع . وقد أثارتهم بوجه خاص الفضائح التى حدثت خلال امداد الجيش بالاسلحة فى حرب فلسطين، والتى نتج عنها أن كثيرا من الذخائر قد ثبت فسادها عنـد الاستعمـال . فنهجوا نهج كمال أتاتورك معتزمين أن يحققوا الاصلاح الاجتماعي الذى كانت مصر فى أشد الحاجة اليه وما كان ذلك ليتيسر لها فى ظل برلمانها الفـاسد ، حتى اذا تم ذلك وتحقق قيام أساس سليم للديمقراطية ، عادوا الى النظام البرلمانى . ونظرا لسلامة طويتهم ، ولما تعج به مصر من تآمر ومؤمرات فانهم اتبعـوا خطتهم هـذه سرا دفينـا الى أن أذن الوقت بتنفيذها بعد خمسة أعوام .

ولقد اجتاز النظام الذى أقاموه عددا من الازمات منذ بدأ فى عام ١٩٥٢ فـلم يـكن هؤلاء الضبـاط يتوقعـون فى بادىء الامر أنهم سيأخذون أمر الحكم على عاتقهم ولكن لم يلبثوا أن تبينوا أن مامن أحد من المصريين له سياسة انشائية بنـاءه ، ولذلك اضطروا أن يتولوا الحكم بأنفسهم . وما كادت تنقضى شهور قليلة على ذلك حتى جعلتهم اراؤهم التقدميـة موضع عـداء لدى الاخوان المسلمين الذين عرفوا بالتعصب والرجعية . فلجأ الاخوان الى طريقتهم المعهودة فحـاولوا اغتيال نجيب × الذى كان وقتذاك على رأس جماعة الضباط ولقد حل الضباط لذلك السبب جمـاعة الاخوان المسلمين ، وتبع ذلك وقت

× كالأصل صفحة ٣٢١ من الكتاب .

عصيب عليهم ، الى أن استبان أن لهم من التأييد أكثر مما للاخوان المسلمين رغم قوتهم . ولم يكن نجيب قد دعى الى اجتماعات جماعة الضباط الا قبل قيامهم بالثورة بقليل ، وهم لم يختاروه لرياسة حركتهم الا لما كان يتمتع به من محبة شعبية ، فبدأ يتأثر من دوام تعطيل النظام الديمقراطى ، فلم تكن له مثل قوة عبدالناصر أو تصميمه هو ورفاقه وثقتهم فى خطتهم . فعزلوه من منصبه وأقاموه فى منزله تحت الحراسة ، وأخذ عبدالناصر مكانه . وقد كان نجيب يتمتع بتأييد قوى من الشعب، ولذلك بدأ النظام وكأنه على كفة ميزان فى يد القدر ، ولكنه استطاع مرة أخرى أن يجتاز الازمة .

وقد حقق هذا النظام تقدما كبيرا فى ميدان الاصلاح الاجتماعى ، وكانت اعادة توزيع الارض الزراعية حجر الزاوية فى هذا التقدم . فقد كان ٦٥٪ من الاراضى الزراعية فى مصر عند قيام الثورة فى أيدى ٦٪ من مجموع الشعب . فحددت مساحه الارض التى يمكن تملكها بحيث لا تتجاوز مائتى فدان للفرد وثلاثمائة للأسرة . ودفعت الحكومة تعويضات عن الارض التى استولت عليها يبلغ عشرة أمثال القيمة الايجارية ، وهى تعتزم اعادة توزيع ٧٠٠ر٠٠٠ فدان على ١٥٠ر٠٠٠ أسرة خلال خمسة أعوام وبالاضافة الى ذلك فانها أرغمت خريجى كليات الطب وسواهم على قضاء فترة تدريبهم فى الريف وبذلك أتاحت استخدام ما أفاءه الغرب عليهم من نعمة العلم فى أشد الاماكن حاجة اليها . ولقد نشأت فى مصر روح جديدة من الامل والاعتزام .

لكن المصاعب التى تواجه أولئك الضباط ما تزال عديدة . فلن يؤدى برنامج اعادة توزيع الاراضى الى علاج المشكلة القائمة بسبب زيادة عدد السكان ، فالارض ليست بكافيه حتى توزع عليهم . ولن تكون الزراعة أبدا كافية لتزويد جموع الشعب المصرى بحياة لائقة. وفى امكان الصناعة وحدها أن تفعل ذلك وان تكن الدولة مفتقرة الى كل الموارد اللازمة للصناعة . ويكاد يكون من المستحيل أن يحقق الضباط وعدهم لمواطنيهم ـ وليس باستطاعتهم الآن ان يلقوا على بريطانيا ـ كمألوف عادتهم ـ اللوم على ما تعانيه مصر .

يتبين مما سبق قوله مدى ما يعلقه عبدالناصر من أهمية على مشروع السد العالى بأسوان • فان جوهر المشكلة فى استغلال النيل تكمن فى تخزين مياه الفيضان السنوية حتى يمكن الاستفادة بها على مدار العام ، والحيلولة دون ذهابها هدرا الى البحر المتوسط . وترمى خطة انشاء السد الى جعل ارتفاعه ٣٦٥ قدما بحيث يكون طوله ثلاثة أميال، وبذلك تتكون بحيرة مساحتها ٧٥٠ ميل مربع • والماء الذى سيخزن فى هذه البحيرة سوف يتيح رى ١ر٣٠٠ر٠٠٠ فدان جديدة تضاف الى أراضى مصر الخصبة ــ كما يتيح أيضا تحسين الرى فى مساحات أخرى أكبر من ذلك بكثير • وتبلغ قوة الكهرباء الذى ستنتج ٧٥٠ر٠٠٠ كيلوات وهذه سوف تجعل امداد مصر يبلغ نحو الضعف مرة أخرى عما كانت عليه من قبل • والزمن الذى سيستغرقه انشاء السد يقدر بفترة تمتد من ١٢ الى ١٦ عاما ، وتبلغ نفقات تشييده ١ر٣٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار (اعترض السودان على ما سيؤدى اليه تنفيذ المشروع من اغراق بعض الاراضى الزراعية والمنازل فيه ، وهو يدعى أنه ثمت مواقع أخرى أكثر صلاحية لاقامة السد يكون فيها بخر الماء أقل : والنيل يحتاج الى دراسة تستوعبه من كافة نواحيه حتى يحسن استغلاله ، ومن المحتمل ادخال تحسينات على مشروع اسوان •)

ان أهم عقبة تعترض اقامة السد هى طبعا تكاليف انشائه • وقد تبودلت المحادثات مع الغرب بشأن اقتراح عقد سلفة لهذا الغرض ولكن بدا أن هذه المحادثات لم تتقدم الا قليلا حتى أواخر عام ١٩٥٥ ثم أعلن فى شهر أكتوبر عقب صفقه الاسلحة التشيكوسلوفاكية أن الاتحاد السوفيتي قد عرض تقديم قرض بـ ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار بفائدة مخفضة قدرها ٢٪ وأعقب ذلك أن أعلن فى ١٧ ديسمبر أن البنك الدولى يعرض ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار والبنك الدولى خاضع لادارة الولايات المتحدة) بالاضافة الى ٦٥ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار تعرضها الولايات المتحدة و ١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار تعرضها بريطانيا ، وهذه المساعدة كافية لانجاز المراحل الاولى من المشروع ، مع الوعد ببذل العون فى اتمام باقى مراحل التنفيذ • وقد أوحى هذا التصرف بتلهف الغرب على سبق الروسيين (هناك شك من أن ذلك العرض الروسى قد قدم فعلا •)

ثم عاد الغرب في ١٩ يوليو عام ١٩٥٦ فسحب العرض الذى تقدم به . وقد علل ذلك بأنه بعد دراسته لاحوال مصر الاقتصادية وجد أنها لن تستطيع دفع فوائد القرض ولا سداد قيمة ما تقترضه ، فان القطن وهو وسيلتها الاولى فى السداد قد باعت محصوله سلفا بسنوات كثيرة قادمة نظير الاسلحة التى تسلمتها من الدول الشيوعية . وقد يكون الغرب محقا فى سحبه لاقتراح عقد القرض ، ولكن الطريقة التى تم بها ذلك كان ينقصها اللباقة ، وهذا أقل ما توصف به . فلم يكن ثمت معلومات هامة تتعلق بموقف مصر ظلت فى ستر الحلفاء ثم تجلت بعد ذلك فى منتصف عام ١٩٥٦ (عقدت مصر صفقة الاسلحة فى سبتمبر قبل شهور من تقديم عرض الغرب بتمويل السد) ولذلك فان عبدالناصر وباقى العالم قد فسروا هذا التصرف بأنه اهانة مقصودة .

* * *

قناة السويس

وجد عبدالناصر ورقة أخرى رابحة فى يده ، فلعب بها . فقد أمم فى ٢٦ من يوليو شركة قناة السويس . وهو قد أعلن أنه سيعوض المساهمين فيها تعويضا كاملا ، بان يدفع لهم حسب سعر الاقفال فى اليوم السابق للتأميم فى بورصة باريس (كان المساهمون رغم هذا التصريح فى ريب مما سوف يكون) وانه سينفق ايراد القناة البالغ ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا فى اقامة السد .

جرت الحوادث سراعا بعد التأميم ، وهى لم تزل ماثله فى الاذهان فلا حاجة بنا الى تلخيص تفصيلاتها ، اللهم الا بعض تعليقات قليلة يتصل أولها بوضع القناة قبل التأميم . فقد أخذ الشعور القومى لدى المصريين يتزايد ضد الشركة قبل عام ١٩٥٦ بسنوات كثيرة . ولذلك فقد زيد منذ عهد قريب رسم الامتياز الذى تأخذه مصر ، كما زيد

أيضا عدد المديرين المصريين فى مجلس ادارة الشركة فبعد أن كانوا أربعه من ٣٢ عضوا يتكون منهم مجلس الادارة صاروا ١٢ من أربعين عضو • كما أخذت الشركة على نفسها أن تزيد عدد مستخدميها من المصريين وخاصة فى الوظائف الكبرى. وكان امتياز الشركة سينتهى فى عام ١٩٦٨

ان العمل فى قناة السويس مقيد باتفاقية عام ١٨٨٨ وتقضى بفتح القناة أمام كافة السفن فى السلم وفى الحرب ولم تستثن الا سفن الدول التى تكون مصر نفسها فى حالة حرب معها فى أى وقت كان • وقد ادعت الحكومة البريطانية أن تأميم القناة عمل غير مشروع ولكن كان من المشكوك فيه أن تجد تأييد لما تقوله • كما ادعت أيضا أن التأميم قد غير من واقع الحال الذى عقدت فيه الاتفاقية بينما هو جزء منها دون حاجة الى النص على ذلك ، ولذلك فان التأميم قد ألغى هذه الاتفاقية . وبقيت بريطانيا لشهور عديدة تعتزم اتخاذ اجراء حربى ، وكان ذلك هو الاعتقاد العام • ولكن لم تلبث أن نحت هذه الفكرة جانبا ـ كان ذلك قبل هجوم الجيش الاسرائيلى على مصر بفترة طويلة ـ وعمدت بدلا من ذلك الى انهاء المسألة بالوسائل الدبلوماسية• بواسطة هيئة المنتفعين من القناة وهى هيئة تكونت خصيصا من أجل هذا الغرض • كانت بريطانيا تبغى اقامة اشراف دولى على القناة وعلى سير العمل فيها ، وقد رفض عبدالناصر هذا الاقتراح طبعا ، ولم يؤيد بريطانيا فى هذا الموقف الا عدد قليل من الدول ، وأبت الولايات المتحدة أن تشد من أزر بريطانيا فتمكنها من اتخاذ هذا الاجراء الواسع المدى (كان دلاس على استعداد دائما لتأييد بريطانيا فى المفاوضات التى تدور على أساس من هذا الاقتراح ، ولكنه على استعداد للتنازل عن موقفه هذا فى سبيل المساومة للحصول على اتفاق يرضى الجميع ، ولم تكن الحكومات البريطانية على استعداد للمساومة) وكان من الواضح أنه اذا سار الامر بالطريقة الدبلوماسية فان من المحتمل بلوغ حل له على أساس الاقتراح الذى تقدمت به الهند وهذا يعنى قيام مصر بادارة القناة مع اقامة مجلس دولى لسماع مطالب الدول المنتفعة وشكاويها •

اعقب ذلك على أى حال في نوفمبر عـام ١٩٥٦ هجوم اسرائيل وتدخل بريطانيا وفرنسا • وكان القلق قد ازداد طبعا فى اسرائيل وهى ترى امداد الشيوعية للدول العربية بالسلاح ، ولكن من المحتمل أنها لم تتخير ذلك الوقت بالذات لشن هجومها الا لعلمها بأن مصر على علاقة سيئة بكل من فرنسا وبريطانيا ـ وهما من الدول التى وقعت التصريح الثلاثي الذى يلزمها فى الظروف العادية باتخاذ اجراء ضد المعتدى• فلما بدأ التدخل دهشت حكومة بريطانيا عندما رأت الولايات المتحدة تتخذ موقفا عدائيا ازاءه • (ذلك رغم أن هذه الدول قد تعمدت اخفاء أغراضها عن الحكومة الامريكية •) وعلى عكس ما يعتقده العرب، فقد كان واضحا أن ضغط الولايات المتحدة وليس تهـديد الاتحـاد السوفييتى باتخاذ اجراء ضد بريطانيا وفرنسا هو الذى دعاهما الى الانسحاب • وساعد الولايات المتحدة فى ضغطها أنه كان من المنتظر أن يعقب هذا الاجراء من الدولتين أن تقوم فيهما أزمة دولار ، فأبدت أنها لن تنظر بعين العطف الى طلبهما المساعدة بهذا الخصوص مالم يسارعان بالانسحاب • والذى دعا الولايات المتحدة الى اتخاذ هـذا الموقف هو شعور الامريكيين المعادى للامبريالية ـ أن تدخل بريطانيا وفرنسا لفرض ارادتهما بالقوة على دولة ضعيفة قد بدا لسوء الحظ عملا امبرياليا ـ وفضلا عن ذلك فقد خشيت الولايات المتحدة أن تفقـد تأييد مجموعة الدول الافروسية غير المنحازة • وربما بدا لها فقدان صداقة هذه المجموعة الكبيرة من الدول أشد على الغرب من ترك ممر السويس يتعرض للخطر • وبعبارة أخرى ، لقد وجهت بريطانيـا وفرنسا ضربة شديدة الى مصالح أمريكا الحيوية •

منذ توثقت علاقات الروس بالدول العربيـة نشـأ الخوف من أن يؤدى تجدد الحرب بين العرب واليهود الى قيام حرب عالمية بين عالم الشيوعية والغرب • ولكن ذلك أمر بعيد الاحتمال. ان من الممكن دائما قيام حرب صغيرة تنتشر وتتطور ولكن من الواضح أن الروس لن يشتركوا فى حـرب عالميـة ذرية لأجل العرب • فان مصلحتهم فى الشرق الاوسط اثارة كل ما يستطيعون أثارته من مصاعب فى وجه الغرب ، وان يحولوا دون حصوله على قواعد فيه •

* * *

سياسة أمريكا

بعد حادث السويس

أخذت الولايات المتحدة تحاول بعد حادث السويس أن تسد الفراغ الذى حدث فى الشرق الاوسط بعد أن تلاش النفوذ البريطانى فيه • وهى لم ترض أن تشترك اشتراكا كليا فى مطالب الدفاع المشترك المتعلقة بحلف بغداد ، ولكنها قبلت الاشتراك فى عضوية اللجنة العسكرية فيه بعد أن سبق لها قبول عضوية اللجنة الاقتصاديه ، وقد عوض مشروع ايزنهاور الى درجة كبيرة عن عدم اشتراكها الكامل فى الحلف • وقد صدر مشروع أيزنهاور فى ٥ يناير عام ١٩٥٧ وتعهدت فيه الولايات المتحدة أن تقدم معونتها الاقتصادية والحربية الى من تحتاج المعونة من دول الشرق الاوسط بقصد دعم استقلالها • كما تعهدت أيضا أن تمتشق الحسام فى سبيل أى دولة من دول الشرق الاوسط تطلبمنها ذلك اذا تعرضت لهجوم عسكرى ويتفق هذا المشروع مع ميثاق هيئة الامم وهو « خاضع لسلطان مجلس الامن بالهيئة • »

اتخذت الولايات المتحدة اجراء حاسما فى ابريل عام ١٩٥٧ ردت به على مؤامرة قامت فى الاردن ضد الملك حسين ، وذلك عندما بعثت باسطولها السادس الى شرق البحر الابيض المتوسط • وقد تم القضاء على المؤامرة دون تدخل من القوات الامريكية التى لم تصل الى الاردن • ولقد تعهدت الولايات المتحدة أن تدفع للاردن الاعانة التى وعدتها مصر وسوريا بدفعها وان لم تتلق منها شيئا • وحاول ايزنهاور فى خلال عام ١٩٥٧ أن يوثق علاقات الصداقة بالملكسعود• ولكن لم يؤد ذلك الا الى نتائج قليلة منها تجديد الترخيص ببقاء الولايات المتحدة فى قاعدة الظهران الجوية الهامة ، وذلك نظير تزويد السعودية بمعدات حربية والقيام بتدريب جيشها •

ولقد وقعت احداث مؤسفة فى هذه المنطقة فى عام ١٩٥٨ بدأت بتكوين الجمهورية العربية المتحدة باتحاد مصر وسوريا مع اشتراك اليمن فيها على نحو ما . فقد أدى ذلك الى اتساع سلطان ما يدعواليه عبدالناصر من القوميه العربيـة ، والى تململ الهاشميين العراق والاردن . ولقد اجابتا على ما فعله عبـد الناصر بأن أنشأتا بينهمـا اتحادا عربيا .

ثم بدأت بعد ذلك حرب أهلية فى لبنان تشابكت فيها المنازعات الشخصية مع الخلافات السياسيه بين الرئيس شمعون ومعارضيه من الثوار . وكانت ميول الثوار متجهة مع عبد الناصر ، وقد نفذ صبرهم ازاء سياسة شمعون التى أقامها على أساس التوازن بين عبد الناصر والغرب . وقد هبت فى العراق ثورة الجيش فاجتاحته فى يوليو ، وقتلت الجماهير فيصل الثانىوولى عهده الامير عبد اللهونورى السعيد. وأعلنت جمهورية على رأسها الاميرالاى قاسم . وحل الاتحاد الذىكان قائما بين الاردن والعراق . وقد استجابت الولايات المتحدة الىدعوة وجهها اليها شمعون فارسلت حشدا ضخما من قواتها القت مراسيها فى لبنان ، بينما سارعت القوات البريطانية الى الاردن لحماية حكم الملك حسين فيها .

لقد توتر الموقف فترة ولكن لم يلبث أن استقر بعد ذلك . فظلت العراق داخل حلف بغـداد ، وتوضح أن قاسمـا ليس من الموالين لعبد الناصر . واعتزل شمعون الحكم بعد أن انتهت مدة رياسته ، واشتركت احزاب الثوار فى الوزارة . ثم انسحبت القواتالامريكية والبريطانية من المنطقه فى شهر كتوبر .

ويدل مشروع ايزنهاور على اعترافأمريكا بأهمية الشرق الاوسط، ولكنه محدود الى درجه خطـيرة . فهو لم يفعل شيئـا لحل مشـكلة فلسطين ، كما أنه حاول تجنب موضوع القواعد . والقواعد الغربية أمر هام للغاية فى ضمان أمن هذه المنطقة . واذا أدى ذلك الىالتورط

فى مشاكل العرب السياسية فان هذه صعوبة لا يمكن تجنبها ، وقد عرفت بريطانيا ذلك من أمد بعيد . ولقـد صرف أيزنهـاور أغلب اهتمامه ـ ومعه حق فى ذلك ـ الى المساعدات الاقتصاديه أكثر مما اهتم بالمساعدات العسكرية ، الا أن هذه المساعدات الاقتصادية رغم ضخامتها فانها أقل بكثير من أن تكفى حاجة هذه المنطقة ، كما أنه لا يمكن التمويه فيما يختص بمشكلة الدفاع . أن الصعوبة الرئيسية ـ وهى أن يشترك الغرب اشتراكا ايجابيا مع العرب فيمـا يتعلق بالشعور بالقومية العربية والاصلاح الاجتماعى ـ مازالت أمرا بعيدا عن الحل تحت قيادة الولايات المتحدة كالشأن أيام كانت بريطانيـا هى وحدها صاحبة السلطان .

* * *

الفصل الخامس «١٥»

الشرق الأوسط

(ب) ما يتاخمه من بلدان

تقع قبرص عند حافة الشرق الاوسط ، وهى قريبة من هذه المنطقة بما يكفى لاثارة المصاعب أمام بريطانيا حين تحاول الاحتفاظ لنفسها بحق البقاء فى هذه الجزيرة ، فان انبعاث الروح القومية بين سكانها مما يحول دون ذلك • وقبرص هى آخر بقعة لم تزل بريطانيا تحتفظ بسيادتها عليها فى البحر الابيض المتوسط وما حوله • ولهذا ، فانها حينما اضطرت الى الانسحاب من منطقة قناة السويس ، اختارت قبرص مركزا لقاعدتها الجديدة فى الشرق الاوسط • وكانت السلطات الحربية البريطانية بعد ما تبينت مصاعب التغلب على ما أثاره المصريون فى وجهها من عداء تعتقد أن هذه المصاعب انما تزايدت بسبب رفض رجال البوليس المصرى أن يتعاونوا معها ، ولذلك فانها أملت اذا نشأ عداء ضدها شبيه بذلك فى قبرص أن تتغلب عليه بسهولة ، فان بوليس قبرص خاضع فى ادارته لبريطانيا • الا أنه نقل القاعدة الى قبرص قد أثار هياج القبرصيين واليونان وجعل بريطانيا تقف موقفا غاية فى الحرج •

ان الروح القوميه فى أساسها مجرد شعور قد لا يكون له ركاز من منطق واضح ، وتنشأ هذه الروح نتيجة الاحساس بالتعبية الى جماعة من الناس تعتقد فى نفسها أنها أمة • ولذلك فان الحركة التى قام بها الاينوسيون × — هى مطالبة ٤٠٠ر٠٠٠ قبرصى يتكلمون اللغة اليونانية بالانضمام الى اليونان ، وهذا العدد يبلغ أربعة أخماس

مجموع عدد سكان الجزيرة الذى يبلغ نصف مليون ـ انما هى حركة قوميه حقا • وكثيرا ما ذكر أن قبرص رغم أن شعوبا عديدة قدحكمتها خلال تاريخها الطويل ، الا أنها لم ترتبط باليونان قط • ولكن هذا لا علاقة له بالموضوع • (أن موجة المهاجرين التى أقامت فى الاصل فى قبرص هى نفسها التى انشأت مدائن اليونان •) يكفى أن نعلم أن يونانيى قبرص يتكلمون اللغة اليونانية، وهم يتلقون بها تعليمهم، وبه توضع امتحاناتهم الدراسية • فاذا التحقوا بجامعة فهى جامعة أثينا وبكليات المعلمين فى اليونان ، ثم أنهم أعضاء فى الشعبة القبرصية من الكنيسة الارثوذكسية ـ وفوق ذلك جميعا فانهم بشعرون أنهم يونانيون ، وفى هذا الكفاية كل الكفاية حتى يتقرر الامر •

وليس هياج الاينوسيين بالحديث الجديد • فقد حكم الاتراك الجزيرة منذ عام ١٥٦٠ ثم تنازلوا عنها لبريطانيا فى عام ١٨٧٨ نظير تعهدها بحماية تركيا من اعتداء الروسيا عليها ، فلما وصل اليها أول حاكم انجليزى ليتولى سلطانه فيها قابله على الميناء مندوبون من الكنيسة يطالبون الانضمام لليونان (بدا هذا التقليد عجيبا فى أعين البريطانيين، وقد اكتسب رئيس الكنيسة القبرصية صفة المتكلم نيابة عن الشعب فى أموره السياسية نتيجة لاقامة الاتراك الطويلة فى الجزيرة ، فهذه احدى تقاليدها التى نشروها فى كل الاقاليم التى حكموها •) ولكن لم يهتم البريطانيون كثيرا بهذا المطلب فى ذلك الوقت ، ولا بعد ذلك بأعوام عديدة • وقد تكرر هذا المطلب كثيرا ولكن لم ير فيه البريطانيون مطلبا جديا • أتيحت فرصه ذهبية لتغيير منهج تفكير القبرصيين فى عام ١٨٨١ عندما قدم حاكم قبرص اقتراحا باقامة التعليم فيها على أساس من النظام الانجليزى ، ولكن رفضت وزارة المستعمرات الاخذ بهذا الاقتراح مستندة فى رفضها الى أسباب اقتصادية ، وقد جاء هذا القرار متفقا مع تقاليد الحكم البريطانى فقد أعطينا الجزيرة نظاما تعليميا يتميز بالاقامة ولكنه لا يدفع الى التطلع واثارة الخيال •

استحقت بريطانيا جزيرة قبرص بها عندما لشبت الحرب بين بريطانيا وتركيا فى عام ١٩١٤ ، وقد عرضتها كرشوة على اليونان فى عام ١٩١٥ نظير انضمامها الى الحرب الناشبة وقتذاك ، ثم اتخذت

منها مستعمرة تابعة للتاج البريطانى فى عام ١٩٢٥ وأقامت لها مجلسا تشريعيا • وقد أثارت المنظمات الاينوسيه بعض القلاقل نتج عنهسا اشعال النـار فى مبنى الحكومة فأدى ذلك الى ايقاف العمل بالدستور فى عام ١٩٣١ ورغم ذلك فقد كان الاينوسيون لا يلقون حتى ذلك الوقت تأييدا حماسيا • ولم يكن اشعال النار بالامر المتعمد كما أن الحاكم كان متسرعا فى الاجراء الذى اتخذه ، ولكن برغم ذلك فقد ظل قرار ايقاف الدستور نافذا حتى الحرب العالمية الثانية •

قامت بريطانيا بمحاولة جديدة بعد انتهاء الحرب بعرضها الكريم الذى اقترحت بموجبه فى عام ١٩٤٨ أن ينشأ لقبرص مجلس تشريعى لا تختار الا أربعة أعضاء فحسب بين ٢٦ عضوا • ويعرف كل من له خبرة بدساتير المستعمرات أن تأثير مثل هذا العدد من الاعضاء المعينين ضئيل للغاية • ولكن قادة قبرص قد رفضوا هذا العرض بحماقة بسبب الرغبة التى كانت تساورهم فى تجريد الحاكم من سلطانه • ورغم ذلك فان بريطانيا تركت لهم الحق أن يقبلوه فى أى وقت ، فتنفذه • ولكنها عادت فسحبته فى عام ١٩٥٤ واستبدلت به عرضا آخر باقامة دستور قيوده أضيق بكثير من الذى اقترحته فى عام ١٩٤٨ ويكون الاعضاء المنتخبون فيه أقليه • وكان هذا الاقتراح الجديد السبب فى قيام الازمة •

استقبل القبرصيون هذا التغيير فى سياسة بريطانيا بمعارضة شديدة • فقد كان مؤدى الاقتراح البريطانى الجديد أن تنزل الجزيرة عدة درجات من سلم التقدم كمستعمرة • ولقد دفع بريطانيا الى سلوك هذا السبيل ما اعتزمته من أن تجعل قبرص قاعدتها فى الشرق الاوسط • فان السلطات الحربيه خشيت أن تواجه مثل تجربتها فى مصر مرة أخرى ، فأرادت أن تؤمن نفسها فى قبرص بأن تستبقى الكثير من صور السيادة فيها فى أيدى البريطانيين • وقد كان هذا القرار خاطئا لا ينم عن أدراك سليم ، كما كان البيان الذى أدلى به سير أنتونى ايدن بعد ذلك أوغل فى الخطأ ، وهو البيان الذى رد به على احتجاج القبرصيين • فلقد صرح بأن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد باعتبار قبرص من املاك بريطانيا فلها الحق فى أن تفعل بها ما تشاء • فانه لم يعد من الممكن الآن بمثل ذلك القول عن ملكية الآدميين • ولو أن بريطانيا ذكرت أن قبرص لازمة لها حتى تتمكن

من الوفاء بالتزاماتها نحو باقى منطقة الشرق الاوسط لكان ذلك أكثر القول أكثر جدية في مساق الجدل . ولكن لما كان من الممكن القول بأن مصالح حلف الاطلنطى فى جزيرة قبرص لا تقل عما لبريطانيا من مصالح فيها ، لذلك كان من العسير استبعاد الاقتراح الذى قام فى تلك الآونة فى كثير من دوائر الاحرار بان يتولى حلف الاطلنطى شأن هذه الجزيرة ، فتمنح الحق فى حكم نفسها بنفسها الى مدى بعيد فى ظل هيئة مشتركة يمكن أن تتكون على صورة مجلس تمثيل فيه كل من بريطانيا واليونان وتركيا . وهذا هو أفضل الحلول نظرا لانه ليس من الممكن الوصول فى مثل هذه الظروف لحل ترضى عنه كافة الاحزاب رضاءا تاما ، فان هذا النظام يكفل نوعا من المشاركة بين القبرصيين واليونانيين ولو من بعيد ، وهذا أهم ما طلبه القبرصيون. ولم يكن من المحتم أن تستسلم بريطانيا الى مطالب القبرصيين لولا ما وقع من خطأ فى بداية معالجة المشكلة . فقد وقع الخطأ أساسا عندما أرادت السياسة البريطانية أن تأخذ القبرصيين بالقسر كرها ، فتكسر شوكتهم في البداية حتي تلجئهم الى الرضوخ بعد ذلك . ولكن ليس هذه بالطريقة التى يمكن أن ينال بها البريطانيون ما أرادوه من تسهيلات تخص القاعدة ، فقد كانت السبيل الوحيد الى ذلك أن يبدأوا بالحصول على معاونة السكان المحليين وان ينالوا تأييدهم .

وثمت عامل آخر يحول دون التسليم بمطالب الاينوسيين عدا خشية البريطانيين على سلامه القاعدة ، ذلك هو مسلك القبرصيين ممن يتكلمون اللغة التركية ويبلغ تعدادهم خمس السكان ، وهم سلالة الاتراك الذين حكموا الجزيرة قبل عام ١٨٧٨ فانهم يعترضون بشدة على الخضوع لحكم الاغلبية ممن يتكلمون اليونانية من القبرصيين ، وتؤيدهم الحكومة التركية فى مسلكهم هذا . وفضلا عن ذلك فقد أعلنت تركيا أن هذه الجزيرة تواجه معظم موانيها الجنوبية وهى لذلك لا تستطيع أن توافق على انتقال السيادة فيها الى غير يد بريطانيا . والواقع أن المتحدث التركى قد هدد بضم الجزيرة لتركيا اذا تم أى تغيير فى تبعيتها . وقد زاد الاتراك بتعنتهم هذا من المصاعب التى تواجه بريطانيا فقد كان الاولى بهم أن يقدروا حقيقة الروح القومية التى نشأت فى قبرص . وعلى أية حال ، فان اقتراح انشاء هيئة مشتركة تشرف على الحكم فى قبرص أمر لا يتنافى مع اعتراضاتهم .

أن من دأب الحكومة اليونانية أن تكون شديدة الموالاة لبريطانيا ، وهى قد حافظت على ذلك المسلك عدة أسابيع فظت مترددة خلالها دون الخوض فى هذا الامر · ولكن لم يلبث أن تزايد تيار الرأى العام شدة ، وبالاضافة الى ذلك فقد بدرت من جانب البريطانيين اشارات غير لبقة نوهوا فيها بما تعانيه الحكومات اليونانية من ضعف وعدم استقرار ، فادى ذلك الى تأييد الحكومة اليونانية للاينوسيين · وبذلك نشأ شعور عميق بالضيق بين الدولتين القائمتين على الجناح الشرقى من حلف الاطلنطى لم يلبث أن أدى الى الغـاء المنـاورات البحرية المشتركة التى كان معتزما اقامتها فى عام ١٩٥٥

تطور الموقف فى هذه الاثناء فى الجزيرة بما لم يكن فى الحسبان · فقامت مظاهرات حاولت الحكومة قمعها فنتج عن ذلك شغب أعقبـه القبض على كثيرين · وقـد أعتبر أولئك المقبوض عليهم شهـداء أو ضحايا فى نظر مواطنيهم ، ولم تلبث الغوغاء أن استبدلت بالاحجار التى كانت تلقيها قنابل ورصاص . وكلما ازدادت اجراءات الحكومة فى قمع الجماهير ازداد عنفها حدة . وقد عاملت الحكومة من يلجأون الى العنف بوصفهم مجرمين ، الا أن مؤيدى الاينوسيين لم يروا فى ذلك الا مظهرا من مظاهر الاضطهاد والتنـكيل فى حرب مقـدسة · والواقع أن ذلك الصراع كان فى حقيقته اصطدام دموى بين العقائد · (وفضلا عن ذلك فان اصرارنا على وجوب التزام القبرصيين بالوقوف عند حد الوسائل الدستورية انما هو تجاهل منا للطريقة الخـاطئة التى قابلنا بها احتجاجاتهم السلمية فى بادىء الامر : فأى طريقآخر غير المظاهرات قد بقى أمامهم حتى يسلكوه ؟ ومن ناحية أخرى ، فان نوع النشاط الذى لجىء اليه لما يثير الاحتقار فى أغلبية ·) لم يكن الارهابيون الا قلة ضئيلة للغايه من مجموع الشعب ، بينمـا ظلت الاغلبية الساحقة منه ساكنه ، واكتفتبتأييدها السلبى للاينوسيين· ورغم ذلك فقد استطاعت هذه القلة الضئيلة أن تقضمضجع السلطات وان تكن حشدت ضدهم قوة تبلغ ٣٥ر٠٠٠ جندى ·

كان لابد للحكومة من أن تستسلم · فعـادت الى فتح الموضـوع الذى كانت أعلنت أنها قد أغلقت بابه · وشرعت فى مناقشة الاسقف مكاريوس ، وهو رجل عنيد وليس على حذق بفنون التفاوض ، وقد سلمت الحكومة بأمور كثيرة منهـا الاعتراف بحق قبرص فى تقرير

مصيرها بنفسها ، وهذا أمر يحتمل أنه لم يكن له داع من قبل • الا أن بريطانيا رفضت العفو عن مرتبكي حوادث العنف ، كما رفضت تحديد نسبة الاعضاء المنتخبين فى البرلمان الذى منحته الى قبرص ، ولم يرض مكاريوس عن رفض بريطانيا لهذين الامرين • ولقد اعترضت مكاريوس بضع نقاط أخرى جعلته يعتقد أنه حيال قضية حلها غير يسير • فقد استفسر مثلا عن عدد المقاعد التى ستخصص للقبرصيين اليونانيين فى المجلس التشريعى ، فأجابته بريطانيا بأن ذلك الامر سيبحث فيما بعد ضمن التفاصيل الاخرى ، ولكن هذا الموضوع هو بالتأكيد أشد ما انعقد عليه الخلاف • ففضت المباحثات • والقى القبض على مكاريوس ، ونفى • ويبدو أن الحكومة لجأت الى اتخاذ هذا الاجراء وهى تعتمد على قيام متحدث آخر باسم القبرصيين واليونانيين يكون أقل صلابة من مكاريوس ، ولكن لم يتحقق هذا الرجاء • فلم يظهر متحدث آخر ، وظلت الحال متوقفة مثلما كانت عليه من قبل •

أدى حادث السويس الى القاء مزيد من الضوء على أوجه الخلاف الناشبة فى قبرص • فان الجيوش البريطانية والفرنسية التى اشتركت فى الهجوم على السويس قد تجمعت فى مالطة وليس فى قبرص ، فكان ذلك من العوامل الرئيسية التى أدت الى تأخر نقلها مما أثار حيرة الرأى العام فى بريطانيا • وهذا يؤكد أمرا لاحظه كثير من المراقبين الحربيين من قبل ، هو أن قبرص ليست بالمركز الملائم لتصبح قاعدة للشرق الاوسط • فانها تصلح لعمليات قاذفات القنابل الاستراتيجية ، الا أنها غير صالحة حتى للعمليات الصغيرة بالنسبة للاسطول أو الجيش • فانه ليس فى قبرص الا ميناءان هما فاماجوستا *Famagusta* و ليماسول *Limasol* وكلاهما قليل الصلاحية • ومن المستطاع فى الحروب الحديثة أن تنقل الجنود سريعا من الجزيرة بواسطة الطائرات ، ولكن ليس من المتيسر استخدام هذه الوسيلة فى نقل العتاد الثقيل اللازم لاى عملية هامة • وقد جاءت من قبرص امدادات الى المحاربين فى السويس ، الا أن طول المسافة التى تعين قطعها بالطائرات كاد يجعل هذه الامدادات أمرا عديم الجدوى • والواقع أن السلطات الحربية طالما بينت أنه لا يمكن اتخاذ قبرص قاعدة لمنطقة الشرق الاوسط بدلا من قاعدة السويس ، فان الاخيرة « مركز الاعصاب » من المنطقة • فان باستطاعة القيادة

فيها أن تدير ما تشاء من العمليات فتوجه قواتها من القواعد الاخرى في المنطقة لتدفع غائلة الخطر عن الاراضي المهددة · وحتى اذا تيسر فض الخلافات الناشبة في قبرص ، فان ذلك لن يحل مشكلة الشرق الاوسط الرئيسية وهي اعداد قواعد صالحة للدفاع عنه ·

عهد الى لورد رادكليف *Radcliffe* في أغسطس عام ١٩٥٦ بدراسة مشكلة الدستور في قبرص ، وقد أعد اللورد تقريره بهذا الخصوص وأصدره في شهر ديسمبر خلال أزمة السويس · وهو قد أوصى هذا التقرير بانشاء مجلس تشريعي للجزيرة يتكون من ٣٦ عضوا قد نص على وجوب تعيين ٦ منهم (لا يكونون من الموظفين) و ٢٤ يمثلون القبرصيين الذين يتكلمون اليونانية و ٦ أعضاء يمثلون القبرصيين الذين يتكلمون التركية ·وقد أوصى بأن يكون لهذا المجلس سلطان مطلق فيما يختص بالشئون الداخليه للجزيرة واستثنى من ذلك الامن الداخلي ، وان تظل شئون الدفاع والشئون الخارجية والامن الداخلي في يد الحاكم · واقترح اقامة مجلس مشترك يكون حلقة اتصال بين الفريقين المتوليين للحكم · وان يمنح ضمان الى الاتراك فيما يختص بعقيدتهم الدينية ونظام التعليم والمؤسسات الخيرية واللغة ، وان يدرج هذا في صلب الدستور مع تعيين وزير من القبرصيين الاتراك لشئون طائفته · كما اقترح اضافته الى ذلك ، وعدم تخويل المجلس التشريعي حق اقرار أى تشريع يتعلق بالشئون الداخلية للقبرصيين الاتراك الا بعد موافقه ثلثي ممثلي هذه الطائفة في ذلك المجلس · وان تنشأ محكمة خاصة لنظر الشكاوى المتعلقة بشئون الاجناس ، أما الشكاوى التي تتعلق بالقوانين فانها تنظر أمام المحكمة العليا ·

ما كادت تعلن الحكومة قبولها لتقرير لورد رادكليف ، حتى اقترح لينوكس بويد *Lennox Boyd* هو الآخر امكان تقسيم الجزيرة · وقد بدا هذا الاقتراح غير حكيم فقد كان خليقا باثارة مشاكل عديدة · وقد رفضت الحكومتان اليونانية والتركية والاخذ بما جاء بتقرير لورد رادكليف ، وتمسكت تركيا باقتراح التقسيم باعتباره المخرج الوحيد من استمرار الحاله الراهنة في قبرص ·

ناقشت الجمعية العامة بهيئة الامم المتحدة القرارين المتعارضين لحكومتي بريطانيا واليونان · ثم انتهت في فبراير عام ١٩٥٧ الى

قبول قرار الهند التى دعت فيه الى « حل عادل يقوم على أساس من الرغبة فى السلام وسيادة الديمقراطية ، وعرض حلف الاطلنطى فى شهر مارس أن يتوسط فى حل الخلاف ولكن رفضت اليونان هذا العرض منه ، وأعلنت وجوب قيام المفاوضة بين بريطانيا والقبرصيين .

استجاب الاسقف مكاريوس الى ما اشترطته عليه الحكومة البريطانية ، فاصدر فى نهاية شهر مارس نداء ناشد فيه جمعية أيوكا أن تكف عن أعمال العنف . وقد أفرج عنه بعد أن ظل مبعدا ثلاثة عشر شهرا ، واشترطت عليه الحكومة البريطانية أن يذهب أنى يشاء ما عدا قبرص ، فاختار الذهاب الى اليونان . وقد خففت الحكومة بعد ذلك من اجراءات الطوارىء فى الجزيرة . وعرض مكاريوس الدخول فى مفاوضات مزدوجة مع الحكومة البريطانية وأصر أن يشرك فيها معه ممثلين لباقى الاحزاب . وقد رفضت الحكومة اليونانية أن تشترك فى هذه المفاوضات ، وأعلنت أن الاسقف مكاريوس هو الذى سيقوم بها وحده . وتوقف الامر عند هذا الحد .

وقد أعلن متحدث بلسان الحكومة البريطانية فى شهر سبتمبر أن لبريطانيا توافق على اتخاذ الجزيرة قاعدة لحلف الاطلنطى ، ولكن ظلت الحكومة اليونانية متمسكة بموقفها حتى بازاء مقترحات حلف الاطلنطى ، فتجدد الارهاب مرة أخرى فى انحاء الجزيرة .

* * *

السودان

لاحظنا فى الفصل السابق أن مشكلة السودان كانت العقبة الرئيسية التى اعترضت اتفاق بريطانيا ومصر بشأن قناة السويس . فقد أصرت بريطانيا دائما أن تربط كلا الموضوعين بالآخر ، وهى قد اتفقت مع مصر فى عام ١٩٤٧ اتفاقا تمهيديا فيما يتعلق بالقاعدة ولكنه ألغى لعدم امكان الاتفاق بشأن السودان . لقد غزا كتشنر باسم مصر اقليم السودان فى عام ١٨٩٩ ومنذ ذلك الوقت حكمته الدولتان نظريا ، أما فى الواقع فان دور مصر فى حكم السودان كان ضئيلا لسنوات عديدة . (نشأت خلافات بين بريطانيا ومصر تتعلق

بشروط خدمة المصريين في السودان ومؤهلات طالبي الوظائف فيه ٠) ولقد أصرت مصر دائما أن السودان جزء من مصر أو أنه يجب أن يكون كذلك نظرا للصلات التاريخية والثقافية والاستراتيجية والاقتصاديه التي تربط بينهما ٠ فكاد رد بريطانيا على ذلك أن السودانيين هم الذين سيقررون بأنفسهم أمر مستقبلهم ٠ (عندما قامت حكومة أوغندا بأنشاء خزان في منابع النيل الابيض عند شلالات أوين طلبت مصر تعليته مترا فوق ما كان معتزما انشاؤه من قبل وذلك لفائدتها هي الخاصة ، وهي قد دفعت ثمن هذه التعلية ٠ فكان ذلك اعترافا من مصر بأن السيطرة على النيل — وكانت هذه حجتها في وجوب تبعية السودان لها — انما يجب أن تبدأ من أقصى الجنوب ٠ كما يجب اشراك أثيوبيا أيضا في هذا الامر فان منابع النيل الازرق واقعة داخل حدودها ٠ والواقع أنه يجب اشتراك كافه الدول التي يمر النيل بها حتى يمكن اتخاذ خطة مشتركة بين هذه الدول قبل القيام بمحاولة السيطرة عليه ٠) وفي عام ١٩٥١ عندما ألغت مصر المعاهدة التي سبق أن وقعتها مع بريطانيا في عام ١٩٣٦ بادر فاروق فأعلن نفسه ملكا على السودان ٠

وبالرغم من عزل الملك فان مجلس قيادة الثورة زاد من تقربه الى السودان ٠ ولم يكد ينقضي وقت طويل على قيام الثورة حتى اتفقت الحكومه الجديدة مع بريطانيا في فبراير عام ١٩٥٣ على تخويل السودانيين حق اختيار مصيرهم بأنفسهم ٠ وأعد العدة لاقامة برلمان وسودنة الوظائف في فترة قصيرة يتخذ السودانيون بعدها قرارهم ٠ وقد كان اتفاق بريطانيا مع مصر يقضي أن لا تحاول احداهما التأثير في السودانيين ، الا أن مصر فعلت علانية كل ما كان بوسعها أن تفعله لتميل بالسودانيين الى جانبها ٠ فخصصت أموالا وفيرة وبذلت جهودا ضخمة في الدعايه خلال انتخابات البرلمان ، وقد نجح فيها الحزب الموالي لمصر وهو حزب الاتحاد الوطني الذي يرأسه الازهري ٠ فقام بتأليف الحكومة ٠ وكانت عناصر المناقشة السياسية ترجع في أغلبها الى الاختلاف الديني بين حزب الامة وأغلبه من المهديين — أتباع عبد الرحمن المهدي بن المهدي الذي أخضعه كتشنر وهم أعداء للختمية من المسلمين السنيين ٠ وحزب الامة موال على العموم لبريطانيا ، أما حزب الختمية فقد كان يناصر الاتحاديين الوطنيين ٠ وقد نجح الازهري في النهاية في اقامه حكومة تمثل كافة الاحزاب ٠

أدى ما اعترى حزب الاتحاد الوطنى من تغيير الى تمهيد الطريق للائتلاف • فقد وقع ما يحدث عادة فى مثل هذه الظروف ، فلم يكد يتولى الحزب عنان الحكومة حتى تبدل تفكيره نحو الانضمام لمصر . لقد قامت مصر بدور ضخم فى الانتخابات ، وكان ثمت مخاوف تساور السودانيين من أنها تعتزم أن تستغل موارد الثروة الاقتصادية فى السودان من أجل نفسها . وأخيرا أعلنت الحكومة فى أول فبراير عام ١٩٥٦ قيام جمهورية السودان المستقلة • وبادرت بريطانيا ومصر الى الاعتراف بها •

أن أعقد مشكلة تواجه حكومة السودان الآن هى محاولتها اكتساب ثقة الجنوبيين • فان سكان الجنوب زنوج غاية فى التأخر وليس ثمت ما يربطهم بسكان الشمال • فسكان الشمال مسلمون من الجنس السامى وأكثر حضارة من أولئك الزنوج ، كما أنهم يشبهون المصريين فيما يتعلق بشئون الجنس والثقافة • ولقد عارض الجنوبيون دخول موظفى الحكومة الشماليين الى أراضيهم ليحلوا مكان البريطانيين ، وبلغت معارضتهم هذه حدا بعيدا أدى فى أغسطس عام ١٩٥٥ الى حدوث تمرد أريقت فيه الدماء • ولقد أظهرت حكومة السودان اعتدالا نموذجيا وهى تستعيد سلطانها فى تلك الجهات ، ونجحت محاولاتها الاولى التى بذلتها فى سبيل فض هذه المشكلة العسيرة • ولكن ساسة السودان كانوا أقل كفاءة فى باقى ميادين الحكم ، ولذلك لم يلبث قادة الجيش أن تقلدوا الحكم فى نوفمبر عام ١٩٥٨ وبذلك انضم السودان الى قائمة الدول الاسلامية الاخرى التى حلت فيها دكتاتورية الجيش مكان الحكم البرلمانى •

* * *

المحميات العربية

تقوم على حافة شبه جزيرة العرب ولايات صغيرة يحكمها شيوخ ، وأغلبها مناطق هامة فى انتاج زيت البترول • ولولا حماية بريطانيا لها لكانت السعودية العربية أو اليمن قد ضمتها اليها • وهذه الولايات الصغيرة فى أغلبها متأخرة للغاية الا أن الشعور بالقومية

العربية بدأ يستثير سكانها . وبالاضافة الى ذلك فقد بدأ يظهر الصراع ضد الطبقات الاقطاعية فى تلك المناطق التى أدى استخراج البترول فيها الى تقدمها السريع . ويمتد هذا الصراع طبعا حتى يتجه ضد الدولة الحامية . ولذلك فان من المتوقع أن تزداد التهديدات التى تتعرض بريطانيا لها فى هذا الجزء من منطقه الشرق الاوسط .

* * *

تقوم الكويت على رأس الخليج الفارسى وهى أكثر الامارات تقدما في الميدان الاجتماعي وذلك بسبب عظيم ايرادها من زيت البترول . وقد زاد انتاجها من البترول فى السنوات الاخيرة حتى جاوز ما تنتجه السعودية العربية ، فارتفع ما تناله حكومتها نظير حق الامتياز من ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار فى عام ١٩٥٠ الى ١٣٩٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار فى عام ١٩٥٢ وهذا أيراد ضخم للغاية بالنسبة لولاية يناهز عدد سكانها ٢٠٠٫٠٠٠ نسمة . وقد أدى ذلك الثراء الى اقامة كثير من مشاريع العمران الغربية فان المستشفيات مثلا مجهزة باسراف على أحدث الطرز الاوربيه . وهى تضم الآن خطا من الانابيب لنقل الماء العذب اليها تأتى به من بعد يبلغ خمسة عشر ميلا . الا أن هذه المشاريع غير كافية لتهدئة خواطر المعارضة التى تقوم ضد حكام الكويت الذين يحكمونها حكما أوتوقراطيا ، كما لم تكف للحيلولة دون غضبهم ازاء الاموال الضخمة التى ما تزال تبعثر على أعضاء الاسرة الحاكمة ، وخاصة على أطفالها عندما يعودون من مدارسهم من وراء البحار .

والحال فى البحرين مماثل لما هو فى الكويت ، وان كانت ثروتها لم تبلغ المدى الخيالى الذى أدركته الكويت . فقد بلغ قيمة ما تلقته نحو ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار فى عام ١٩٥٢ ولا يزيد تعداد سكان البحرين عن ١٠٠٫٠٠٠ نسمة . والبحرين جزيرة لها ميناء حسن اتخذت منه بريطانيا قاعدة حربية لها منذ عهد بعيد ، ويقوم فيها الآن أيضا مطار حسن الاعداد ويستعمل فى أغراض التجارة ، كما تستعمله أيضا قوة الطيران البريطانيه ، ويشتمل الميناء كذلك على معمل تكرير يساهم فى تكرير الزيت الذى تنتجه السعودية العربية . وتتقدم مشاريع العمران

الاجتماعية فى الجزيرة حثيثا بأكثر من السرعة التى كانت تسير عليها حتى قبل الحرب ، وقد نشأت بذور الصراع لذلك السبب وما لبثت أن أخذت فى النمو ٠

* * *

وقطر هى ثالثة هذه الامارات فى انتاج البترول ٠ وأحوالها ما تزال بدائية وهى متأخرة للغاية رغم أن ميزانية البترول لديها أكثر من البحرين فان عدد سكانها ٢٥٫٠٠٠ نسمة ٠ وقد تعددت حوادث الاضراب ضد شركة البترول فيها ـ وهذا علامة على نشأة الوعى فى هذا الاقليم ٠

* * *

تقوم على ساحل الخليج جنوبى قطر مجموعة أخرى من المحميات لم يتم حتى تخطيط الحدود بينها وبين السعودية العربية ٠ ويتوقف مستقبل هذه الامارات الصغيرة على نجاح أو فشل عمليات التنقيب التى تقوم بها شركات البترول فى هذه الانحاء ، وان كانت هذه العمليات لم تسفر عن نتيجة حتى الآن ٠ وقد قامت بريطانيا بتأييد احدى هذه الولايات وهى ولاية ابو ظبى *Abu Dhabi* ضد السعودية العربية فى عامى ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ثم فى عام ١٩٥٥ فى النزاع المعقد الذى نشأ بسبب واحات البوريمى ٠ وقد نشأ هذا النزاع عندما ترجح احتمال وجود البترول فى المنطقة التى تقوم فيها هذه الواحات ، ثم هدأت حدة النزاع أخيرا عندما ظهر احتمال عدم وجوده ٠

* * *

وتقوم فى الجنوب بعد ذلك سلطنة مسقط وعمان ، وهى لا تمتاز عن مثيلاتها من الولايات الا بكونها أوسع منها رقعة ٠ وهى قد استرعت اليها انظار العالم فى عام ١٩٥٧ بسبب الثورة التى قامت

ضد سلطانها وامامها السابق غالب بن على ، وقد يمكن من قمع هذه الثورة بمساعدة المعونة التى قدمتها اليه بريطانيا تنفيذا للشروط معاهدة الحماية المعقودة بينهما ٠

* * *

وتمتد مستعمرة عدن وكذلك محميات عدن على طول الساحل الجنوبى من شبه الجزيرة ٠ وعدن ميناء يخزن فيه الفحم والبترول ، وفيه معمل تكرير عظيمالاهمية قد تم تشييده عام ١٩٥٤ وعدن لاتقل عنميناء ليفربول فى كثرة ما يردها من سفن ، وبالاضافة الى ذلكفان فيها ميناء جوى مزدحم دائما . وقد أنشىء مجلس تشريعى فى عدن عام ١٩٤٧ وسمح بدخول أعضاء منتخبين اليه فى عام ١٩٤٩ وقد أدى ذلك الى نشوء طائفة تطالب بسرعة السير نحو تحقيق الحكم الذاتى للمستعمرة ـ وهذه الاشارة على جانب كبير من الاهمية ٠ والاراضى التى أثارت اهتمام البريطانيين فى داخل شبه الجزيرة وراء عدن تنقسم الى محميتين : الشرقية والغربية ٠ وهما مجموعة من قبائل بمنأى عن المدينة وهذه المنطقة من أشد مناطق العالم تأخرا ٠ وقد حاولت بريطانيا خلال السنوات الاخيرة أن تدعو حكامها الى تكوين اتحاد فدرالى بينهم حتى تقوى هذه المنطقة ويمكن ادخال العمران اليها ورلكنها لم تلق نجاحا فى محاولتها هذه ٠ وأكثر هؤلاء الحكام غير نافذىالامر بين متبوعيهم، وبعضهم على أىحال غير راغب اطلاقا فيما كان ارتضاه من حماية بريطانيا ٠ وقد أثارت اقتراحات بريطانيا شكوك أولئك الحكام وأهاجت نوازع الغيرة بينهم ، كما أنها بعثت مخاوف كثيرين من أتباعهم القبليين ممن لا يريدون أن يروا النظام والقانون يسودان هذه المنطقة ٠ وبذلك ازداد الموقف تعقدا ٠ وقد أدى ذلك الى اتساع مدى اهتمام اليمن بهذه المنطقة فهى تطالب بها كاملة ، ولم توافق أبدا على فصل الحدود بينهما٠ فاذا حاولت بريطانيا أن تسيطر على هذه المنطقة من الجو بواسطة الطائرات فسوف يؤدى ذلك دون ريب الى اثارة الارتياب فيها ٠

* * *

تركيا

ان تركيا الآن هى أقوى دول الشرق الاوسط وأشدها استقرارا ومقدرة • ولذلك لا نعجب حين نرى ميل الطبقات المتعلمة وخاصة ضباط الجيش فى الدول العربية الى الاقتداء بها بعد أن تبينوا عدم جدوى نظام الحكم البرلمانى • فهم قد اتخذوا منها مثلا يدلهم على كيفية تطوير بلادهم نحو المدنية حتى يبلغوا بها مدارج الكفاية والقوة • وقد رأينا ثورة الجيش فى مصر قد نحت الاحزاب السياسية جانبا لفترة من الوقت ، واستطاعت قيادتها القومية فأعادت تشييد المجتمع المصرى حتى صار قاعدة صالحة لاقامة نظام ديمقراطى فعال • وقد حدث ذلك فى سوريا أيضا ، وسنرى فيما بعد أن هذا ما يصبوا ايران أيضا الى بلوغه • ويستطيع قادة هذه الدول أن يشيروا نحو تركيا كمثل لما سوف يفعلونه ، فقد سادها دكتاتور الى أن أمكنه أن يوجه الامة نحو الطريق الصواب ، فلما تم ذلك ، تنحى الدكتاتور عن سلطانه عن طيبة خاطر كما سبق أن وعد أمته ، وأعاد اليها النظام الديمقراطى •

كمال أتاتورك هو الذى أدخل الحضارة الى تركيا ، فقد صبغ بها كل أنحاء وطنه بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى . لقد حشد مواطنيه بطريقة تثير الاعجاب ليقاوموا المهانة التى حاول الحلفاء أن يفرضوها عليهم بعد هزيمتهم فى الحرب ، ثم ألغى الخلافة عام ١٩٢٣ ومنذ ذلك الوقت شرع فى نشر مدينة الغرب فى وطنه فحطم دون مبالاة كل قوى المعارضة التى حاولت الوقوف فى وجهه وعلى رأسها السلطات الاسلامية التى كانت أشدها له عداء • وقد عارضوه وحاولوا التشهير به الا أنه نجح فى فصل الدين عن الدولة وحرمهم من كل سلطان سياسى ، كما أخضع التعليم للنظام المدنى وحظر ارتداء الطربوش (هذه ضربة شديدة قد وجهها الى الاسلام) وأمر باتخاذ الابجدية اللاتينية أساسا للكتابة (الابجدية العربية شيء مقدس لدى المسلمين) كذلك صبغ نظام الزواج بالصبغة الغربية • وقد قسر مصطفى كمال المرأة التركية فخلعت الحجاب ، وحظر تعدد الزوجات ، وأوجب تسجيل كل زواج يتم تسجيلا قانونيا ، كما أنه حظر الطلاق وأعطى المرأة حق الانتخاب •

كان مصطفى كمال يصرح دائما أن غايه ما يقصده هو اقامة نظام ديمقراطي لحكم البلاد • ولقد ظل حزب الشعب الجمهوري الذى أنشأه آخذا بنظام الحكم الدكتاتوري على أيه حال حتى توفى فى عام ١٩٣٨ وهكذا ترك الامر لخليفته عصمت أينونو فعقد انتخابات حرة فى عام ١٩٤٦ أسفرت عن نيل الحزب أغلبية ساحقة مكنته من البقاء فى الحكم، ولكن حين عقدت الانتخابات التالية فى عام ٥٠ ثم فى عـام ١٩٥٤ استطاع الحزب الديمقراطي الذى يعارضه أن ينال انتصارات مكتسحة تحت لواء رئيسه عدنان مندريس • وقد أتاح الحزب الديمقراطى حرية أوسع نطاقا فيما يختص بالعوائد العقائدية ــ وهذه خطوة رحب بها الشعب التركي الذى لم تزل عواطفه الدينية قوية وخاصه فى المناطق الزراعية ــ الا أن ذلك لم يؤثر فى مبدأ فصل السلطات الذى أصبح قاعدة مرعية ، وليس من المنتظر أن تقوم حركة رجعية تعيد للاسلام سلطانه السياسى فى هذه البلاد •

وتساور المطلعين الغربيين بعض الريب لما يعتور سياسة تركيا من اضطراب • فلقد أقلقهم ما فرضته الحكومة أخيرا من قيود كممت بها الصحافة ــ قد يكون لهذه القيود ما يبررها نظرا لقلة تقدير أصحاب الصحف لمسئوليتهم ازاء ما ينشرونه من نقد ــ كذلك ساءهم ما رأوه من تدخلها للتأثير فى القضاء أخيرا ، الا أن الديمقراطية فى تركيا راسخة الدعائم بما يجعل بقاءها أمرا متوقعا •

ليس فصل الدين عن الدولة في تركيا ولا نشر المدنية فيهـا مما يعنى أنها بلغت الغاية من ذلك • فان أربعة أخماس سكانها يشتغلون بالزراعة فى أقاليم لم تمس الاصلاحات فيها الا السطوح فحسب ، فلم تبلغ قرارة النفوس • فمعظم الفلاحين مثلا فى أغلب القرى قد سجلوا زيجاتهم كما هو مطلوب منهم ، ثم عمد كثيرون بعد ذلك الى تبـادل زوجاتهم فيما بينهم ، وهكذا لم يتكبدوا مشقة الطلاق ؟

وذلك هو حال الصناعة أيضا • فلقد اهتم الجمهور بتصنيع تركيا ولكن ما تزال الصناعات فيها ضئيلة الشأن ومتأخرة ، كما أن تكاليف انتاجها كبيرة • وقد خطا الديمقراطيون خـطوات أوسع مما خطـاه الجمهوريون فى نشر الصناعة ، وكانوا أقل منهم اهتماما فيما يتعلق بمهابة الدولة من اعتبارات • ومستوى المعيشـة فى تركيا ما يزال

شديد الانخفاض اذا نحن قسناه بمثله في الدول الغربية ، وعليها أن تستمر فى اعتمادها على الزراعة سنوات كثيرة قادمة ، وهى قد أولت التوسع فى الزراعة والاهتمام بارتقائها الكثير من عنايتها فأسفرذلك عن نتائج مشجعة • فكان لدى تركيا ٠٠٠ر٢ جرارا فى عام ١٩٤٨ فأخذت تتقدم حتى استطاعت استخـدام ٠٠٠ر٣٥ جرارا فى عـام ١٩٥٣ وهى مستمرة فى التقدم منذ ذلك الحين فيما يتعلق بالانتاج الزراعى بأكثر من أى دولة أخرى • ويرجع السبب الرئيسى فىضعف انتاج تركيا عامة الى قلة وسائل المواصلات فيها ، وهى قد اهتمت رغم أن هضبتها الصخرية المترامية الاطراف تجعل انشاء الطرقخلالها أمرا ضخم الكلفة للغاية • ولكن ما يزالاقتصاد تركيا ضعيفا ، وليس دخلها القومى كافيا لتحمل ثقل أعباء التسليح الباهظة • وميزانهـا التجارى فى حالة خطرة • وهى تتلقى من الولايات المتحدة معاونة سخية من الناحيتين الاقتصادية والحربية •

أن الذعـر يداخـل قلب تركيا ، ويزداد بمقـدار ما يزداد تسلح الروسيا • فالروسيا عدوتها منذ أزمان بعيدة وعامل مهدد لسلامتها ، ولذلك لم تتوان عن التصريح بعزمها على بذل كل ما تقدر عليه من جهد حتى ترد أى عدوان يقع عليها • وكانت الروسيا قد نالت بموجب اتفاقية مونترو *Montreux* المعقودة عام ١٩٣٦ حق مرور سفنها الحربية خلال مضيق الدردنيل ـ وهذا أمر لا حق لدولة أخرى فيه الا بموافقة من تركيا ـ ثم عادت فى نهاية الحرب الاخيرة فطالبت بمزيد من الامتيازات فى المضيق • كما أنها طلبت فى عام ١٩٤٥ انشاء قواعد لها فى هذه المنطقة ، وقد رفض هذا المطلب •

يبلغ عدد الجيش التركى حوالى ٠٠٠ر٤٠٠ مقاتل وهذه أكبر قوة فى الشرق الاوسط ، وللجيش التركى كفاءة حربية عظيمة بدت فى أثناء الحرب الكورية • وهى عضو فى حلف الاطلنطى وبمثابة الحلقة الاخيرة فى خط الدفاع عن أوروبا ، كما أنها عضو فى حلف بغداد • وأثرها فى منطقة الشرق الاوسـط قـد أوضح أهميتهـا القصـوى بالنسبة للغرب •

* * *

اليونان

ذكرنا من قبل أثناء الحديث عن حلف الاطلنطى أن اليونان جارة تركيا على الشاطىء الاوروبى تشاركها أهميتها البعيدة المدى في خط الدفاع فان تراقيه Thrase وهى شقة الارض الضيقة التى تتصل الدولتان فيها ، مكشوفة حيال ما يأتيها من هجوم عن طريق الساحل الغربى للبحر الاسود ، وكان حلف البلقان الذى وقعته يوغوسلافيا معها فى عام ١٩٥٤ كبير الاهمية لهما بالنسبة لما تستطيع يوغوسلافيا أن تقوم به للدفاع عن نقطة الضعف هذه ، فان فى امكانها أن تتصدى لهجوم الطائرات على هذه المنطقة • ولكن لم تلبث يوغوسلافيا لسوء الحظ أن فتر اهتمامها بهذا الحلف منذ أن تناقص عداء الروسيا لها ، كما أن الشقاق الواقع بين اليونان وتركيا بشأن قبرص قد زاد من تناقص أهمية هذا الحلف • وقد كان بين نصوص ذلك الحلف أن تنشأ جمعية بلقانية يحضرها مندوبون عن برلمانات الدول الثلاث ، ولكن لم يسمع أحد بشأن هذا الاقتراح منذ زمن •

تعانى اليونان الفقر منذ مدى طويل ، ويرجع ذلك الى تأخرها والى شدة ازدحامها بالسكان • ويمثل هذا الفقر تهديدا حقيقيا لضمان الاستقرار فى هذه المنطقة ، وهو مشكلة لا تنجح الحلول القصيرة المدى فى علاجها • وقد قدمت الولايات المتحدة اعانات سخية اليها منذ حملت عن بريطانيا فى عام ١٩٤٧ عبء مساعدتها هى وتركيا حتى تدعم استقرارهذه المساعدة • ويتآلف الفقر والتخلف الاجتماعى عادة مع عدم الاستقرار سياسيا ، وسياسة اليونان تقوم فى أغلبها على أساس من الاشخاص ، وكانت الحكومه الائتلافية التى أقامها الفيلد مارشال باباجوس الذى حاز نصرا حاسما فى انتخابات عام ١٩٥٢ هى أول حكومة يونانية منذ الحرب ظلت تمارس سلطانها أكثر من عامين ، وقد ظلت قائمة حتى توفى باباجوس فى عام ١٩٥٦ بعد أن استطاع بحسن ادارته أن يحسن وضع بلاده الاقتصادى الى حد كبير ، وان كان حلفاؤه لم يستطيعوا السير على منواله •

استطاعت اليونان أن تقمع بمعونة بريطانيا ثورة الشيوعيين الخطرة التى قاموا بها خلال عام ١٩٤٦ فانقطع تهديدهم منذ ذلك الوقت •

وتذكر الابناء أنه لم تعد لهم قدرة على دعم تنظيماتهم السرية . ولكن ذلك لم يؤد الى مافي توزيع الثروة من تفاوت شديد ، وهذا هوالشأن أيضا في الدول العربية ، ومن المحتمل أن تتحول طوائف المتعلمين ممن لم يتعمقوا ثقافتهم الى جانب الشيوعيين في المستقبل • ومن الواجب أن يزداد اهتمام الغرب باليونان فان فيها ما يثير بعض القلق •

* * *

ايران

ايران هي دولة أخرى من دول الشرق الاوسط في حاجة ماسة الى التطور اجتماعيا ، وانه لمن دواعي السخريه أن نجد نظامها البرلماني الحديث الذي تأخذ به حكومتها ، يعوقها عن بلوغ ما تنشده من ذلك التطور•وايران هي أيضا احدى الدول التي يوليها الاتحاد السوفييتي اهتماما بالغا ، وهي شديدة الضعف بالغة التأخر لدرجة تعجز معها حكومتها عن السيطرة على أراضيها ، فما بالك حين تحاول أن تذود عدوا قادرا ؟ وفضلا عن ذلك فان الاكراد في الشمال وهم أشد عناصر شعب ايران تمردا قد أبدوا في مناسبات كثيرة أنهم متحيزون للنفوذ الروسي • وقد حل حزب تودة رسميا في عام ١٩٥٤ ولكن ما تزال منظماته السرية على جانب كبير من القوة • وايران هي أيضا الدولة التي يقع خلالها الطريق الطبيعي لخطوط تقدم الروسيا نحو الشرق الاوسط •

كانت الروسيا قد اشتركت في احتلال ايران في أثناء الحرب ووافقت على أن يتم الانسحاب منها عقب انتهاء هذه الحرب بستة أشهر ، ولقد أبدت الروسيا اهتماما بايران في عام ١٩٤٦ حين رفضت الانسحاب منها • وكان الاعتقاد السائد آنذاك أن هدفها الرئيسي من ذلك أن تحصل على نصيب من بترول ايران ، ولكنها طالبت بامتيازات لها في الشمال • كما طالبت أيضا بتعيين بعض أعضاء حزب تودة وزراء ، وهذه من وسائل الروسيا التي لجأت اليها في شرق أوروبا فدل ذلك على أن هذه هي خطواتها الاولى نحو ايران

احدى الدول التى تدور فى فلكها • وقد وافقت ايران مبدئيا على منح الروسيا امتيازات بزيت البترول كما عينت زعيمين من رؤساء حزب فى الوزارة ، فلما تم ذلك انسحبت الروسيا • ثم رفض البرلمان الايرانى أن يقر منح الروسيا امتياز البترول ، كما تم طرد الوزيرين الشيوعيين من الحكومة • ولقد استطاعت ايران بذلك أن تنجو وكانت على شفا جرف هاو •

كان رضاخان أحد ضباط الفرسان ممتلئا حيوية ، وقد نودى به شاه على ايران فى عام ١٩٢٣ فحاول أن ينشر الصناعة باعتبارها جزءا من المشاريع التى تحقق طموحه للارتقاء بوطنه ، الا أنه لم ينفذ من ذلك الا القليل حتى عزله الحلفاء فى عام ١٩٤٢ ويعتمد ثلثا الايرانيين البالغ مجموع عددهم ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة على الزراعة ، بينما يعيش الخمس أشبه بالرعيان • ويملك الفلاحون ٣٠٪ فحسب من الاراضى الزراعية ، والقاعدة السائدة الا ينال الزراع الا ١٥٪ مما ينتجه من المحصول • ولذلك فان الحاجة ماسة الى اعادة توزيع الارض • وبقوم فى ايران برلمان على الطراز الحديث قد انشأه الشاه الحالى محمد رضا عند توليه بعد عزل والده ، والانتخاب لهذا البرلمان عام ولكنه واقع طبعا تحت سلطان « الالف أسرة » وهم طبقة من الثراة من ملاك الاراضى • والشاه يؤثر فى قرارة نفسه القيام باصلاحات تمتد الى الجذور ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك والا انفض ملاك الارض من حوله ، وهذا يؤدى الى قيام ثورة ضده • وليس فى ايران كلها الا طائفتان أخريان لهما نفوذ سياسى ؛ هما الشيوعيون ، والوطنيون ذوو الاتجاه الدينى المتعصب •

ان القلق الذى يساور ايران بسبب الوضع الاجتماعى فيها قد تآزر مع تعصب الوطنيين ليكونا سببا فى اثارة مشكلة معامل تكرير البترول فى عبدان • لقد زار الشاه الولايات المتحدة فى عام ١٩٤٩ رجاء أن ينال قرضا يعين على تطور ايران اجتماعيا ، ولكن صادفت زيارته آنذاك سقوط الكومنتنج الامر الذى أدى الى كراهية الامريكيين لمنح قروض خارجية ، فلم ينل الا ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار • وبعودته الى ايران ، بدأ الهياج من أجل الحصول على المال المطلوب بأن تزيد الدولة رسوم الامتياز التى تدفعها شركة الزيت الانجليزيه الايرانية (للحكومة البريطانيه نصيب كبير فى هذه الشركة) من أرباح

الشركات الامريكية ، وقد صارت هذه النسبة المرعية ، الاتفاقات الاخيرة · فعرضت الشركة البريطانية فتح باب المساومه ، فرفض العرض · وكان رئيس وزراء آنذاك رازامارا وهو رجل معتدل قد عينه الشاه فى ذلك المنصب ، فاغتاله جماعة الاخوان المسلمين التى أخذت تؤلب خواطر الجماهير حتى أرغمت الشاه على تعيين مصدق رئيسا للوزراء فقام بتأميم هذه الصناعة ·

لم يلبث الايرانيون أن تبينوا أنه ليس فى تملكهم هذه الصناعة ما يكفيهم ، فانه لم يكن ؛ باستطاعتهم بيع البترول · بينما قد كفى انتاج البترول في دول الشرق الاوسط الاخرى الى سد الحاجة منه ، وبذلك اتضح لهم أنهم انما أضروا بأنفسهم ضررا بالغا · وسرعان ما شعروا بالآثار الاقتصادية القاسية التى ترتبت على ما فعلوه ، فأدى ذلك الى عزل مصدق وحل محله زاهدى الذىعرف عنه الاعتدال· وقد توسطت الولايات المتحدة فى بلوغ اتفاق ظلت الملكية بموجبه فى حوزة ايران ، أما صناعة الزيت فتقوم بها شركة جديدة تساهم فيها الشركة الانجليزية السابقة بـ ٤٠٪ من رأس مالها ، كما تساهم خمس شركات أمريكية معها بمبلغ ٤٠٪ أخرى ، وتدفع شركة هولندا الملكية ١٤٪ أما الـ ٦٪ الباقية فتقوم بدفعها شركة فرنسية وقد تعهدتايران بأن تدفع من نصف الارباح فى الشركة التى يخوله لها نصيبها فيها مبلغا قدره ٢٥ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه انجليزى تقدمه الى الشركة السابقة بوصفه تعويضا تدفعه على مدى عشر سنوات ، وان تدفع الدول الاخرى أيضا الى نفس الشركة مبلغا جملته ٢١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ جنيه انجليزى ·

كما تم الاتفاق أيضا على تدريب الايرانيين واستخدامهم فىوظائف رفيعة مع موالاة زيادة عددهم فيها ، وأخذت الشركة المؤممة وهى الشركة الايرانية للبترول على عاتقها أمر اقامة المساكن اللازمة وتزويدها بالمياه وتهيئة وسائل النقل وما الى ذلك من مستلزمات · وقد عاد انتاج البترل الى مستواه السابق · وفى عبدان الآن نحو ١٠٠ أوروبى فحسب من جنسيات شتى ـ بينما كانوا قبل التأميم نحو ٢ر٥٠٠ ـ والمغزى الذى نخرج به من هذا الحادث أن علىالشركات المشتغلة باستغلال البترول أن تكون بعيدة النظر اذا هى أرادتتجنب وقوع الاضطرابات · وقد لا يستريح قصار النظر من مديرى هذه الشركات الى تدريب شبان من المواطنين التى نالوا منها امتيازاتهم ،

الا أنه يجب أن يفعلوا ذلك ، وأن يصلوا بأولئك الشبان الى أرفع مناصب الادارة المحلية فى شركاتهم ٠

منذ تم الامر على هذا النحو ، حصل الشاه على مساعدة سخية من الولايات المتحدة حتى يستعين بها فى تطوير وطنه ٠ وايران على أية حال دولة من المألوف فيها أن ينفق المال دون أن تبدو لذلك نتيجة ظاهرة ٠ وقد أبدى بعض أعضاء الكونجرس الأمريكى أخيرا مخاوفهم بشأن ما يحدث لما تناله ايران من دولاراتهم ٠ ويبذل الشاه فى الوقت نفسه محاولات جديدة لحل مشاكل وطنه الاجتماعية ٠ ولقد حاول أن يقصر حق الانتخاب للبرلمان فى عام ١٩٤٩ على الملمين بالقراءة والكتابة ، ولكن لم تلبث « الالف أسرة » أن أحست بالخطر الذى يهدد سلطانها اذا نفذ هذا الاقتراح ، فخذلوه فى البرلمان ٠ وقد تنازل الشاه أيضا عن معظم ما يملك من أراضى ٠ ثم عزل زاهدى بعد أن استقر الامر فى عبدان ، وعين مكانه حسين على الذى كان يتولى منصب رئيس ديوانه ، وتنعقد الآن اجتماعات مجلس الوزراء فى قصر الشاه ٠ وقد انضمت ايران الى حلف بغداد ولم يكن ذلك بالامر المتوقع فقد كان المقرر أن تقوى أولا قبل أن تنضم الى الحلف ، ويبدو أن ضم ايران الى الحلف هو خطوة قصد من ورائها دعم سياسة ايران ٠ ان على الشاه لواجبا ضخما عليه أن يؤديه ، وان يكن ضعف ايران فى الوقت الراهن قد جعل من انضمامها الى الحلف عبئا على الدولة المشتركة فيه أكثر مما جعل منها عونا لهذه الدول ٠

لقد عقدت ايران معاهدتين أتاحتا للروسيا بعض التدخل فى شئونها ٠ عقدت الاولى منهما فى عام ١٩٢١ وهى تخول للروس حق التدخل فى شئون ايران اذا هى انضمت الى حلف يناصبها العداء ، كما تخول لها المعاهدة الثانية المعقودة فى عام ١٩٢٧ نفس الحق اذا أقامت فى أرض ايران قوات أجنبية ٠ ولكن لا داع الى ذكر الاعتبارات القانونية لهاتين المعاهدتين اذا نحن لاحظنا انكشاف ايران أمام أى غزو خارجى ٠ وان المرء ليشك فى أنه الخوف فحسب من قيام حرب ذرية هو الذى حال بين الروسيا وغزو ايران حين انحازت الاخيرة الى الغرب انحيازا كاملا ٠ ومن المتوقع أن يزيد الاكراد الذين يقيمون فى الهضبة الشماليه فيما يقومون من اعمال تخريبية ٠ وايران هى أحد المراكز التى تبدو مركزا لاشتداد الخطر ٠

* * *

شمال أفريقيا الفرنسى

يشتمل شمال أفريقيا التابع لفرنسا على محميتين تونس ومراكش ومستعمرة الجزائر وهى جميعا واقعة على حافة منطقة الشرق الأوسط، كما أنها مسرح للصراع الناشب بين دول الغرب وتوثب الروح القومية . وينقسم الكفاح الوطنى فى كل اقليم من هذه الاقاليم الثلاثة الى جناح يمثل الاعتدال فتجده يطالب بالحكم الذاتى وعيناه على باريس باعتبارها عاصمة بلاده الثقافية وملجأه اذا احتاج الى مساعدة لنشر العمران فى بلاده ، أما جناح المتطرفين فقد اتخذ من القاهرة قبلته . وتقيم فيالاقسام الثلاثة طائفة كبيرة من «المستوطنين الفرنسيين» يخشون اذا تخلت فرنسا عن سلطانها فى هذه الانحاء أن يتعرضوا للخطر . ولقد همت الحكومة الفرنسية مرات عديدة أن

تترضى شعور الوطنيين بأن تسلم لهم بمطالبهم المعقولة، ولكنها كانت لا تكاد تهم بذلك حتى تتراجع خشية من هزيمتها فى البرلمان ازاء النواب المؤيدين « للمستوطنين » .

نشبت الثورة أول ما نشبت فى المحميتين فى أوائل عام ١٩٤٥ فحشدت فرنسا لها قواها . ولكن لم يلبث أن طار منديس فرانس الى تونس فى يوليو عام ١٩٥٤ فكانت هذه الرحلة نقطة تحول هامة فى تاريخ التونسيين ، فقد أعلن تسليمه المطلق بحقهم فى أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم . وقد بدأ تنفيذ هذا التصريح فى عام ١٩٥٥ فصدر الدستور التونسى متضمنا النص على حماية « المستوطنين » وبهذا تحقق لتونس أن تحكم نفسها بنفسها بواسطة حكومة معتدلة على رأسها المسيو بورقيبه .

ولقد حاولت احدى الحكومات السابقة فى فرنسا أن تحل مشكلة مراكش بأن عزلت سلطانها محمد بن يوسف الذى كان يؤازر الوطنيين المراكشيين . ولكنها لم تكد تتم عزله فى عام ١٩٥٣ حتى تدهورت الاحوال فى مراكش الى درجة اضطرت فرنسا الى اعادة سلطان مراكش الى عرشه فى أواخر عام ١٩٥٥ لمفاوضته على أساس شبيه بما تم فى تونس . وكان دافع فرنسا الى تغيير سياستها هو

خشيتها من أن تمتد عدوى الثورة الى الجزائر التى انتشر الارهاب فيها فجأة فى ٣١ آكتوبر عام ١٩٥٤ ولما كانت فرنسا قد اعتبرت الجزائر دائما بمثابة مستعمرة نموذجية لها ، بل كان الفرنسيون ينظرون للجزائر بوصفها جزءا من فرنسا وخير مثال لسياستهم الاستعمارية التى تؤدى الى « الاندماج » لذلك كانت هبة الجزائريين ضربة قوية أصابة كبرياء فرنسا ٠

وقد ظلت الجزائر حاملة راية الكفاح الى أن تولى الجنرال ديجول الحكم فى فرنسا ٠ وليس باستطاعت حكومة فرنسا أن تقمع المنظمة الوطنية فى الجزائر التى تعرف باسم جبهة الحرية الوطنية كما ليس باستطاعتها أيضا أن تسلم بما تريد ٠ وقد أصبح الموقف رهيبا للغاية منذ قام قادة الجيش برفع الجنرال ديجول الى منصة الحكم ، فقد كان أولئك القادة يعملون مع زعماء المستوطنين فى لجان الامن تحت شعار « فرنسا للفرنسيين » ٠ وهم يدعون أن كثيرين من المسلمين يؤيدونهم وان يكن المطلعون يستريبون فى ذلك ٠ وديجول يعمل بحذر متناه ، وهو لا يكشف عن سياسته الا خطوة بعد خطوة ، فقد دعم سلطانه على الجيش أولا وحل لجان الامن ، ثم جعل للجزائريين حقا فى التصويت للبرلمان الجديد يعادل ما للاوروبيين من حق ٠ وقد نظم أمر الانتخابات بحيث تتم فى آخر عام ١٩٥٨ ولكن لم يتقدم أحد من المسلمين للترشيح حتى أغلق بابه فى شهر نوفمبر ، وذلك خشية من عداء جبهة الحرية الوطنيه لهم ٠ ويبدو أن سياسة ديجول قد فشلت ٠

* * *

الفصل السادس «١٦»

مشكلة الأسلحة الذرية

طرقنا باب الحديث عن الاسلحة الذرية مرات عديدة خلال المواضيع التى تناولناها بالدراسة في الفصول السابقه . الا أن هذه المشكلة هامة للغاية بالنسبة لعصرنا الحالى هذا ولذلك افردنا هـذا الفصـل للحديث عنها ، وعن مشكلة أخرى متصلـة بهـا هى مشـكلة نزع السلاح .

لقد تحدثنا عن الاسلحة الذرية ، ولكن من العسير فهم مشكلتها فهما واقعيا . أنها باختصار ثورة فى أساليب مختلفة تماما عن كل تطور حدث فى الوسائل الحربية من قبل ، مهما بدت جسامة هذا التطور أول ما اخترع . فقد كان من الممكن فى الحروب السابقة معرفة من سيقدر له النصر أو تكتب عليـه الهزيمـة مهمـا عانت الدولة المنتصرة من نكبات قبل نيلها النصر ، فلما عرفت الاسلحة الذرية أصبح الاشتراك فى حرب عالمية انما يعنى فيما يبدو انتحارا أكيدا لكل الامم .

ان قوة هذه الاسلحة الحديثة ومدى تدميرها المخيف أوضح من أن نبينهما هنا . ولقد زادت المخترعات بعد الحرب من قوة القنبلة الذرية زيادة كبيرة ولم يكف ذلك فاخترعت القنبله الهيدروجينية . ولقد تغير الموقف الاستراتيجى منذ عام ١٩٤٥ بما طرأ من تغييرات على قوتى الغرب والكتلة الشيوعية بالنسبة لما يملكان من هذين السلاحين ومن الوسائل التى تتيح لهما استخدام هذه الاسلحة . فقد كانت الولايات المتحدة هى التى تملك القنبلة الذرية بكميات ضخمة . فلما تمكنت الروسيا من انتاج هذه القنبله بعد ذلك ، كانت الولايات المتحدة قد بدأت تتوسع فى انتاج القنبلة الهيدروجينية ، مما حفظ لها بعض التفوق . ولـكن لم تلبث الروسيـا أن انتجت قنبلتهـا

الهيدروجينيه ، واستطاعت أن تتقدم فى انتاج هذه القنابل بحيث يمكن اسقاطها من الطائرة ـ وهذه خطوة تتطلب حلا لبعض مشاكل عصيبة للغاية فيما يتعلق بصناعتها الفنية ـ وعلى ذلك ، ظل للولايات المتحدة بعض التفوق فيما يتعلق بطريقة تصويب هذه القنابل • وهى قد ظلت محتفظة بتفوقها هذا بالنسبة للمدى الذى تصل اليه هذه القنابل ، وللكمية التى تملكها منها الى العام الماضى أو الذى قبله ، فلقد تفوقت عليها الروسيا فى ذلك • ولكن باستطاعت الولايات المتحدة بما لها من قواعد فى انحاء شتى من العالم ولتمكن طائراتها من التزود بما يلزمها من وقود فى دول صديقه فى أوروبا أن تهدد كل أجزاء الاتحاد السوفيييتى ، على حين أن مدى القاذفات الروسية لا يبلغ الولايات المتحدة • ولهذا السبب استطاعت الولايات المتحدة أخيرا أن تهدد الروسيا باستعمال القنابل الذرية ، فلم ترد عليها الاخيرة ردا فعالا •

لقد أنشأت الروسيا فى العام الاخير أو نحو ذلك أسطولا كبيرا من القاذفات تستطيع الطيران الى مدى أبعد بكثير مما كان معهودا من قبل، وبذلك خفضت الى درجة كبيرة مدى امتياز الولايات المتحدة عليها • ولكن ليس فى أستطاعته هذه القاذفات حتى الآن أن تخترق جنوبى الولايات المتحدة ـ ما تزال حكومة الولايات المتحدة تحاول أن تدعم مالها من تفوق بالتوسع فى انشــاء القواعــد وزيادة ما تختزنه من القنابل ـ وان كان باستطاعتها بلوغ النصف الشمالى • والموقف بينهما الآن متعادل حقا ، ولذلك فان فى استطاعة كليهما أن ينزل بالآخر أشد أنواع التدمير هولا فى حالة وقوع حرب كبرى • وليس فى الامكان اقامة أى طريقة للدفاع تحول دون وقوع ذلك التدمير : فحتى أشد أنظمة الدفاع الجوى احكاما وهى أنظمة معقــدة تتطلب نفقات باهظة للغاية (يتكلف انشاء طائرة واحدة مقاومة لهذاه القذائف ٣٠ر٠٠٠ جنيه انجليزى) ومن المعروف أنه ليس بقدرتها أن تصد أكثر من أربعة أخماس القوة المهاجمة • فاذا أمكن بعض الطائرات المغيرة أن تبلغ الهدف صار بامكانها أن تدمر الدولة المعادية ، بل أن تبيدها • وليس باستطاعة أى دولة أن تأمل فى التمكن من تدمير دولة أخرى تدميرا كاملا بواسطة شن هجوم خاطف عليها ، ثم تبقى آمنة من أن ينالها هى أيضا مثل ذلك التدمير •

وفضلا عن ذلك ، فان الحرب الذرية لابد أن تصبح بمثابة انتحار سريع نظرا للتوسع في انتاج الصواريخ عابرة القارات ، فهى قد بلغت الآن درجة كبيرة من التقدم . وقد تمكنت الروسيا فى سبتمبر عام ١٩٥٧ من اطلاق القمر السوفييتي ، وهذا شاهدا على تقدمها الآن فى هذا الميدان وأنه صار باستطاعتها أن تطلق قنابلها الذرية فتبلغ أى هدف تشاؤه في الولايات المتحدة . ولكن لما لم يكن فى ميسور الهجوم المفاجيء أن يحول دون الانتقام ، لذلك فان الموقف ما يزال متعادلا بينهما . وفضلا عن ، ذلك فاننا يجب أن ننظر بعين الاهتمام الى ما يؤدي اليه انفجار هذه المفرقعات من انتشار مواد الراديوم المشعة . فان بعض العلماء يعتقدون أن هذه المواد قد تكفى للقضاء على الحياة فتزيلها من فوق الارض اذا شبت حرب عالمية . وحتى اذا لم يتحقق ذلك ، فلاريب أنه سيحقق الدمار كاملا بالدول التى تكون قد اشتركت فى هذه الحرب .

وبالاختصار ، فان قيام حرب عالمية تستعمل فيها الاسلحة الذرية لهو أمر من المحتمل معه ابادة المدينة ابادة تامة فى جزء كبير من المعمورة أن لم يبدها ابادة كاملة . وليس بامكان أحد من المتحاربين أن يأمل البقاء بعدها طويلا على قيد الحياة .

ولذلك ، فليس من المغالاة فى شيء أن نقول عن الاسلحة الذرية أنها قد أدت الى نشوء أشد مشكلة واجهها الجنس البشرى . ويبدو للوهلة الاولى ان الذعر المتفشى مما يسفر عن استعمال هذه القنابل من نتائج ، يؤدى الى ضآلة احتمال اللجوء الى اشعال نار الحرب . ولكن ليس الامر كذلك للاسف . ففى المرتبة الاولى ، نجد الاعتقاد بأن اللجوء الى حرب ذرية انما يعنى الانتحار المحتم هو اعتقاد لايحل مشكلة قيام حروب صغيرة ، بل أنه فى الحقيقة يعقد الموقف فى هذا المجال تعقيدا شديدا . فانه اذا وجدت احدى الدول نفسها في موقف يهيء لها الانتصار فى حرب صغيرة بواسطة استعمال الاسلحة المألوفة (المقصود بذلك الاسلحة غير الذرية ـ وان يكن ثمت اختلاف بينهما سوف نتعرض لايضاحه بعد قليل) فانها تلجأ الى شن حرب من هذا النوع معتقدة أن ذلك سيجنبها دمارا حقيقيا كاملا كان خليقا بأراضيها اذا لم يكن باستطاعة العدو أن يرد ردا حاسما على ذلك الاعتداء منها الا بواسطة الاسلحة الذرية ، فانه لن يستعملها فى هذه الحال .

ولن يكون أمام العدو عندئذ الا أن يلجأ الى الاسلحة المألوفة فحسب جاعلا همه أن يحصر الحرب في هذا المجال ـ وذلك ماحدث فعلا في كوريا . ولكن ليس باستطاعه دولة أن تستعد لمواجهة هذا الاحتمال الا بأن تدعم استعداد السلاحين لديها ؛ السلاح العادي أو المألوف ، والسلاح الذرى . وان نفقات السلاحين لباهظة الى درجة تكاد تبلغ الاستحالة حتى بالنسبة للدولتين الكبيرتين وهما الولايات المتحدة والروسيا . وهما بالتأكيد أكبر بكثير مما تستطيع دولة صغيرة أن تبذله . ولقد أعلنت بريطانيا فى كراسة الدفاع التى أصدرتها عام ١٩٥٧ أنها قد اختارت الاعتماد اعتمادا كليا تقريبا على الاسلحة الذرية . (وأعلنت بالاضافة الى ذلك أنها سوف تتوسع فى اعداد قوات سريعة الحركة من أجل « الاعمال البوليسية » ؛ ولكن ليس لذلك الا علاقة ضئيلة بأعمال الدفاع الرئيسية .) وحتى القوتان الكبيرتان أى الولايات المتحدة والروسيا قد وجدتا عبء النهوض بأمر السلاحين معا أثقل مما كانت على استعداد لتحمله ، ولذلك خفضت كلتاهما أخيرا قواتها العادية ، الى درجة كبيرة للغاية . وتبدو الولايات المتحدة على الاقل ـ بينما ما تزال لدى الروسيا قوات ضخمة تستعمل الاسلحة العادية ـ كأنما تتجه نحو موقف تصبح فيه ولا وسيلة لديها فى مواجهة أى ضرب من ضروب الاعتداء عليها ، الا بأن تلجأ الى استعمال الاسلحة الذرية . ولذلك فانها ستعجز عن الانتصار فى أى حرب صغيرة تشترك فيها ، أو أن تمنعها .

لقد أعلن الغرب سياسته وهى تقضى بعدم الالتجاء الى الاسلحة الذرية فى أى حرب تقع مهما يكن مداها أو موقعها ، ولكن التصريحات الرسمية ليست بشيء حقيقى ، وقد تبدى ذلك واضحا كما سبق القول ، فى حرب كوريا وفى أزمتى الهند الصينية وفرموزا . فقد كان واضحا فى كل هذه الحالات أن الغرب لم يستعد الاستعداد الكافى للجوء الى الاسلحة الذرية . وانه لأمر بين أن دول الغرب لن تندفع الى حرب كبرى وهى واثقة أنها ستنزل بنفسها دمارا مؤكدا ، وذلك من أجل حليفة صغرى تدور فى فلكها . ولكن هل هذه الدول الغربية على استعداد أن تفعل ذلك اذا كان ثمت اعتداء صغير يهدد منطقة ـ مثل وسط أوروبا مثلا ـ لها فيها مصالح حيوية ؟ اذا هى لم تقدم على ذلك فلن يكون لها خيار فى التنحى جانبا ، وان تدع الكتلة الشيوعية تحرز انتصارا صغيرا أثر انتصار صغير آخر ، وهكذا .

وقد وجد بعض المغلقين السياسيين مهربا من هذه الورطة بأن اقترحوا الالتجاء الى سياسة سموها « الحيلولة التدريجية » (كان كاسنجر *Henry A. Kassinger* من أبرز الذين نادوا بانتهاج هذه السياسة ، وقد استرعى كتابه « السلاح الذرى والسياسة الخارجية » « *Nuclar Weapons and Foriegn Policy* » كثيرا من الاهتمام فى عام ١٩٥٧) والمقصود هو اتباع سياسة تستهدف تحذير الشيوعيين فتوضح لهم أن أى اعتداء سوف يقابل بقوة مناسبة له تكفى لصده ۰ أى أنه بعبارة أخرى ، اذا وقع هجوم بواسطة الاسلحة العادية ، فانه سيقابل بأسلحه عادية أيضا مالم يكن على نطاق واسع فيصتبح قريبا من أن يكون حرب كبرى لا يمكن للغرب أن يواجهها بالاسلحة العادية ۰ وعندئذ فانه يلجأ الى استعمال الأسلحة الذرية ۰ ولقد قيل، وهذا أمر معقول، أن مثل هذا التصريح سوف يؤدى الى الحيلولة دون وقوع اعتداءات صغيرة ، واذا حدث أن نشنبت حرب صغيرة فانه سيكون عونا على الحيلولة دون اتساعها فلا تصبح حربا كبرى بسبب التسرع فى سوء تقدير نيات الغرب ۰

وقد استقبل هذا الاقتراح ببعض الاعتراضات على أى حال نشأ أهمها مما تقرر فى الاوقات الراهنة من تزويد القوات العادية بالاسلحة الذرية ۰ فان وحدات المدفعية الآن جهزت مدافعها بقنابل ذرية . ومن المنتظر للطائرات قاذفة القنابل أن تستعمل القنابل الذرية عندقيامها بمعاونة القوات المقاتلة فى أثناء عملياتها على سطح الارض ۰ فهل يظل التمييز بوضوح بعد ذلك بين الاسلحة الذرية والاسلحة العادية؟ أن مؤيدى « الحيلولة التدريجية » يجيبون عن هذا السؤال قائلين أن ذلك التمييز ممكن ، فان استخدام الاسلحة الذرية فى الاغراض « التكتيكية » أمر يختلف عن استعمالها فى الاغراض «الاستراتيجية» فهى تستخدم فى الاولى وسيلة الى دعم القوات الارضية بينما هى تستخدم فى الثانية كجزء من ضربة شاملة كبرى۰ وتشتمل الاهداف الاهداف الاستراتيجية » بطبيعة الحال على قواعد الطائرات ومراكز حكومية وصناعية ، أما الاهداف « التكتيكية » مثل دعم الدفاع أرضيا عن المطارات والطرق ونقط تفرع السكك الحديدية فهذا أمر محدد يمكن حصره فى منطقة تبلغ حوالى مائتى ميل أو ثلاثمائة ميل تشتمل على المساحة التى يجرى بها الالتحام ۰ فاذا اعترض أحد بأن العدو القادر يستطيع أن يجد مثل هذا التحديد ، أجابوا بأن الخوف العام من قيام

حرب عالمية سوف يجعل كلا المتحاربين يسرف فى الاهتمام بملاحظة هذه التحديدات في كل عملية يقومان بها ٠

ان الحيلولة التدريجية قاعدة صحيحة نظريا ، ولكن الاخذ بها عمليا يتطلب دعم التسلح الذرى والعادى على نطاق واسع لدى كل القوات ، والتكاليف التى تتطلبها سياسة كهذه تجعل تحقيقها أمرا يزداد مع الايام تعذرا ٠ ومنذ انتهت الحرب الكورية بلغت تكاليف صنع الاسلحة الذرية المختزنة الآن والاساطيل الكبيرة من الطائرات ذات الدرجة العالية من الكفاية مبلغا وصل الى حد من الضخامه تبدلت معه كل مشكلة الدفاع القومى فليس يستطيع دفع مثل هذه النفقات الا الدولتين الكبيرتين وحدهما فحسب ٠ وقد رأينا من قبل أن الولايات المتحدة وحدها التى ما تزال تعتزم حمل عبء التسلح المزدوج اذا وافق شعبها على ذلك ، ولكن الحكومة الامريكية بدأبها على تخفيض قواتها العادية انما تتجه باستمرار نحو موقف تجد فيه نفسها معتمدة على الاسلحة الذرية وحدها ٠ وليس ثمت الا قليلا من الامريكيين قد تبينوا الخطر الذى يؤدى اليه السير فى هذا الطريق ، فانه سيوقف الغرب موقف المشلول فى حالات الاعتداء الصغيرة ٠

أما فيما يتعلق بسياسة بريطانيا ، فقد يبدو أن قوة الجيش سريع الحركة الذى جاء ذكره فى كراسة الدفاع البيضاء الصادرة فى عام ١٩٥٧ والذى تؤيده الاسلحة الذرية فى المجال التكتيكي ، سوف يكون على جانب من الاهمية فى حالة نشوب حروب صغيرة ٠ ولكن ليس الامر كذلك ، فحتى لو أمكن ابتكار وسائل حديثة تزيد مقدرته فى قوة النيران فان لن يكون أكثر من مجرد رمز للمقاومة ازاء الجيوش التى تستطيع الكتلة الشيوعية أن تسرع بتيسيرها الى حومة القتال كما حدث فى كوريا ٠ ولذلك فان فى أمكان أمريكا وحدها أن تقرر ماذا كانت سياسة الحيلولة التدريجية هي التى سيؤخذ بها ، أم سيؤخذ بسياسة الكف عن استعمال الاسلحة الذرية بتاتا ٠ أما الامر الدقيق الذى ترك لبريطانيا لتبت فيه والذى اتخذت قرارا بشأنه منذ أعوام، فانه يتعلق بانتاجها للاسلحة الذرية وعما اذا كانت تعتزم أن تفعل ذلك بالاضافة الى ما تنتجه الولايات المتحدة من هذه الاسلحة ٠ فاذا هى قررت ذلك ، فمن أى نوع ستكون هذه الاسلحة الذرية التى ستنتجها ؟ وان ليمكن أن تطول المناقشة فى حكمة القرار الذى

اتخذته الحكومة البريطانية الذى يقضي بتزويد جيشها بالقنابل الذرية مع اعداد قوة جوية استراتيجية لالقاء هذه القنابل ، ولكن لاشك أن القرار الذى اتخذته بالبدء فى انتاج القنبلة الهيدروجينية هو قرار خاطىء • فان هذا المشروع يتطلب نفقات طائلة وحذقا عمليا وموارد صناعية نجد الميدان الصناعى فيها أحوج ما يكون اليها • ويبدو أنه اذا شبت حرب كبرى فستكون ثمت أهداف على غاية الاهمية بالنسبة لبريطانيا قد تغفلها الولايات المتحدة فى المرحلة الاولى الهامة من هذه الحرب ، ولذلك قد يستوجب الامر أن يكون لدى بريطانيا قوتها الاستراتيجية لضرب هذه الاهداف ، كما أن امتلاك بريطانيا لهذا السلاح سوف يخولها ميزات دبلوماسية هامة . ولكن ليس بمعقول أن يتم شن الهجوم على هذه الاهداف بالقنبلة الذرية بطريقة تؤثرفيها بمثل تأثير القنبلة الهيدروجينية • ومن هنا نشأ الاتجاه الخاطىء نحو انتاج القنبلة الهيدروجينية ، وليس يمكن وصف هذا القرار الا بأنه لم تدفع الى اتخاذه الا اعتبارات حمقاء تتعلق بمكانة بريطانيا . (اذا نحن اعتبرنا هذه الاهداف ذات قيمة حيوية بالنسبة لبريطانيا ، فلا محالة فى أنها ذات قيمة حيوية بالنسبة لاوروبا أيضا ، فليست أهميتها بقاصرة على بريطانيا ، ولذلك فانالهجوم عليها يجبأن يعهد به الى قوة طيران استراتيجية أوروبية أما اجهاد مواردنا فهو الذى يؤدى الى انتقاص مكانتنا انتقاصا ذريعا •)

أن مناقشة موضوع الحيلولة التدريجية لهو أمر جانبى بالنسبة لبحثنا هذا ، فان ثمت موضوع الحيلولة نقدا عميقا يجدر توجيههنحو كل السياسة الدفاعية التى تقوم على اساس من الاسلحة الذريه • بل الاخلق اعادة بحث موضوع الحروب الصغيرة ، وكذلك الاعتماد على الاسلحة الذريه ـ فان كل طرق استعمالها تبدو عملا انتحاريا • أن النظرية السائدة الآن هى أن قيام حرب عظمى انما يعنى الانتحار، ولذلك فلن تجرؤ دولة على القيام بالهجوم ، وتبعا لذلك فان السلم مستقر ومؤكد • وهذا الترتيب يصدق نظريا ، أما عمليا فان معنى الحرب يتضمن القيام بسلسلة من المغامرات الخطرة ، فاذا وقعت هذه المخاطرات فاننا سنجد أنفسنا فى موقف أقل ما يوصف به أنه موقف عجيب •

أن امكان زيادة القوة التدميريه فى هذه الاسلحة أحد الاسباب المؤدية الى ازدياد الخطر ، وذلك لقصر الوقت الذى يجب أن يتخذ فيه

القرار باستعمال هذه الاسلحة الذرية أو الكف عن ذلك . والكسب الذى يحرزه فريق لانه سابق للفريق الآخر ببضع ساعات هو كسب لابد أن يكون عظيما ، ونحن نرى منذ الآن طيارى الدول المتضادة يراقبون بعضهم بعضا فى حرص بالغ ورعب شديد ، وهم على تمام الاهبة لأن يخفوا الى الانتقام عند أول نذير بالهجوم ، وانهم لتواقون الى ذلك . أنه اذا سارت الامور وفق النظرية التى أوضحناها من قبل فلن تنشب حرب عالمية مطلقا ، ولكن النتائج التى يمكن أن تترتب على خطأ بسيط قد يقع ، أو سوء فهم لهى نتائج خطيرة ربما أدت الى القضاء على البشرية . وان عملا يقوم به شخص غير مسئول من جماعة متعصبة توترت فيها الاحوال ـ كأن يقع حادث بسيط في منطقة الحدود بين المانيا الغربية والشرقية مثلا ، فاذا بالفريق الآخر يسىء تقدير ما وقع ويعتبره اعتداء صغيرا ، وربما تسرع فخطا خطوة مشئومة فى طريق مؤدية الى اندلاع حرب صغيرة ـ أو حادث يقع عن غير قصد لما يؤدى فى خلال ساعة أو اثنتين الى اشتعال أوار حرب مدمرة .

هل هذه المغامرة الخطيرة خليقة بالدول أن تخوضها . أم الاجدر بهذه الدول أن تخلد الى الحكمة المطلقة فى هذه الظروف التى لم يعرف لها مثيل من قبل فتتخلى بتاتا عن الاسلحة الذرية ؟ الحق أن معنى ذلك هو العودة الى الموقف الذى كانت الكتلة الشيوعية هي المتفوقة فيه ، وحتى اذا كان الامر كذلك ، فان هذا بالتأكيد هو الرأى الاكثر حكمة . ولكن هل اذا بلغت الاحوال مفترق سبيلين لا ثالث لهما هما دمار المعمورة أو أن تسودها الشيوعية ، فهل يحسن الغرب عندئذ الاختيار ملتزما جانب العقل والصواب ؟ أن هذا بالتأكيد هو ما تعنيه سياسة الحيلولة التدريجية اذا كنا نعني ما نقوله حقا . أما اذا لم يكن الامر كذلك ، فاننا نكون مخادعين اذن ، وبجانب ما تنطوى عليه هذه السياسة من خطورة شديدة ، فانها أيضا غير مجدية . وانه لما يبعث الذعر الى قلب الانسان أن يتأمل الارض وهذه حالها ، ولكن سيادة الشيوعية هى بالتأكيد خير من فناء العالم . فان الشيوعية تقوم على أساس من نظريات زائفة ، ولذلك فلن يدوم سلطانها الى الابد ، وحتى لو حدث ذلك فان داعى العقل يجعلنا نقرر بالتأكيد بقاء الحياة .

* * *

نزع السلاح

كانت هذه الاعتبارات جزءا على الاقل من الجو الذى جرت فيه المناقشة خلال الاجتماعات التى عقدتها هيئة الامم المتحدة لمناقشة موضوع نزع السلاح ، وقد كان أغلبها اجتماعات فرعية قصد من وراء دعوتها نيل الموافقة الاجماعية للدول على خطة تؤدى الى نزغ السلاح بعامة • وقد كان يقين هذه الدول من النتائج المخيفة التى تترتب على هذه الاسلحة الذرية مما دعا الى اسباغ صفة الاستعجال على هذه الاجتماعات ، ولكن لم يكن ذلك شأنها الملحوظ دائما كما هو المأمول•

وقد أدت الاقتراحات التفصيلية التى قدمتها الجماعات المختلفة الى ازدياد اختلاط الامر عاما بعد عام ، الا أن المسلك العام للدول من المعسكرين الشرقى والغربى قد ظل محتفظا بنفس طابعه الاول • وقد كان الاتحاد السوفييتى متخلفا فى بادىء الامر دون الغرب فى انتاج الاسلحة الذرية ، ولذلك ظل بضع سنوات مصرا على مناقشة الغاء الاسلحة الذرية بوصفها أول ما يبحث فى مواضيع نزع السلاح ، ولهذا السبب تعثرت المناقشات فلم تتقدم الا قليلا • ولما كان مؤدى اقتراح الروسيا أن تصبح فى موقف يجعلها تماما فى قوة أسلحتها العادية ، ولذلك لم يقبله الغرب • فلما توصلت الى انتاج القنبلتين الذرية والهيدروجينيه تبدل الموقف من أساسه ، فتخلت عن اصرارها السابق ووافقت من حيث المبدأ على المشروع في نظر موضوع خفض الاسلحة العادية • ولكنها ما تزال تطالب على أية حال ، بالغاء الاسلحة الذرية وهى قد كررت هذا المطلب فى خلال مناقشات اقتراح تخفيض الاسلحة العادية ، وقد وافق الغرب من حيث المبدأ أيضا على وجوب وقف انتاج الاسلحة الذرية ، مع تحويل ماتم اختزانه منها الى الاغراض السلمية ، على أن يتم ذلك بالتدريج • (رفض الغرب أن تتعهد بابادة المختزن من القنابل الذرية فى خلال فترة التخفيض للاسلحة كاقتراح الاتحاد السوفييتى ، كما رفض الاشتراك فى توقيع وثيقة مشتركة بألا يستعمل هذه القنابل ، وذلك كاقتراح ثان تقدمت به الروسيا ــ وذلك باعتبار أن أمثال هذه المواثيق فى رأى الغرب لا فائدة منها •

وقبل قليل من انعقاد مؤتمر جنيف فى عام ١٩٥٥ كانت قد تمت الموافقة فى الواقع بين الجانبين على تخفيض القوات العادية بحيث تجند كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى والصين عددا يتراوح بين مليون ومليون ونصف جندى ، كما تجند بريطانيا وفرنسا ٦٥٠٫٠٠٠ جندى • على أن يتم التخفيض على مرحلتين تستغرق كلتاهما نحو عام (كان هناك اختلاف بسبب التحديد الدقيق لزمن التنفيذ لهذا التنظيم) وان تلغى الاسلحة الذرية فى أثناء تنفيذ المرحلة الثانية •

وكان تنفيذ هذا الاتفاق مشروطا دائما على أية حال بايجاد حل مقبول للعقبة التى ظلت دائما حائلا يعوق تقدم المباحثات — أى صعوبة ايجاد نظام مناسب للمراقبة يكون له من السلطان ما يؤكد عدم انتهاك أى من الفريقين لبنود الاتفاق، ويضمن عدم تهيئة الفرصة لمهاجمة الفريق الآخر . ولما كان احتفاظ المعتدى بأسلحة ذرية فى طى الكتمان مما يكسبه تفوقا بعيد المدى ، لذلك فان اختراع هذه الاسلحة قد أدى طبعا الى ازدياد تعقد مشكلة نزع السلاح • ولذلك لم يمكن حتى الآن الاتفاق على هذا الموضوع • (لعل من الطريف أن نذكر أنه بالرغم من ذلك فان السياسة الدفاعية التى انتهجتها بريطانيا حديثا سيؤدى الى تخفيض قواتها الحربية العادية الى أقل من الحد المقترح ، وتقوم كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى أيضا بتخفيض قواتهما بنسبة كبيرة • ولكن هذه السياسة الدفاعية التى أخذت بها بريطانيا حديثا سوف تؤدى وربما كان ذلك هو الحال أيضا فى الولايات المتحدة ، الى الاستمرار فى استخدام الاسلحة الذرية •

ظل الغرب مصرا — الى أن تم عقد مؤتمر جنيف — على عدم قبول أى نظام للرقابة الا أن يكون نظاما كاملا يمكن بموجبه تفتيش كل المنشآت الحربية ومصانع السلاح فى العالم جميعة ، وذلك بواسطة وكالة تخول لها سلطة واسعة للغاية • وقد أجاب الاتحاد السوفييتى على هذا الاقتراح بان صرح مرارا بأنه اقتراح غير عملى ، وان كان بعض المتحدثين السوفييتيين قد أشاروا الى نوع من اللجان يكون تابعا لهيئة الامم المتحدة وتحت رعايتها للقيام بالتفتيش ، مع منح هذه اللجنة سلطانا أقل مما اقترحه الغرب • ولما كانت دول الغرب تشك فى أن الروسيا لم تقل ذلك الا بقصد اتاحة الفرصة لنفسها

حتى تستخدم حق الفيتو للحيلولة دون اقامة نظام للتفتيش حقيقة ، فلذلك لم تحبذ هذا الاقتراح • وقد قدم الاتحاد السوفيتى اقتراحا يعارض به اقتراح الغرب مؤداه اقامة وحدات تفتيشية فى « نقط مراقبة » ـ أى السكك الحديدية ونقط تقاطع الطرق ، والموانى ، والمطارات وما الى ذلك ـ حيث تتاح المراقبة ويتيسر الانذار فى حالة حدوث استعدادات للقيام باعمال عدوانية • (تكون هذه الوحدات تحت اشراف لجنة تنشأ داخل هيئة الامم المتحدة •) وقد أعلن الغرب أن هذا الاقتراح غير ملائم • ولم تتخل دول الغرب عن مطلبها من أقامة تفتيش كامل ، الا أن الرئيس أيزنهاور تقدم فى أثناء مؤتمر جنيف باقتراح آخر ـ تبادل حق التفتيش الجوى مع تبادل المطبوعات الزرقاء الخاصة بالتركيبات الحربية ومصانع السلاح • وقد ظلت حكومته مصرة على هذا الاقتراح وان كان قد أثار بعض الريب أول تقديمه • كذلك قدم سير أنتونى ايدن اقتراحا فى مؤتمر جنيف كما سبق ذكر ذلك ، يقضى بتبادل حق التفتيش فى منطقته بعينها فى وسط أوروبا بحيث يتحتم تقليل ما فيها من جنود ـ هذا الاقتراح يؤكد العلاقة بين مشكلة نزع السلاح والمشكلة الالمانية • وهو لم يقدم هذا الاقتراح الا كخطوة تمهيدية تساعد على تقليل حدة التوتر وقد تتيح السبيل نحو ايجاد طريقة للوقاية أكثر ملائمة •

استمرت مناقشة هذه المقترحات بعد انفضاض مؤتمر جنيف ، وهى قد تعقدت بما أضيفت اليها من اقتراحات أخرى تتعلق بوجوب الاخطار عن تجارب التفجير الذرى ، والحدود التى يجب الا تتجاوزها ، ثم الكف عن تفجيرها أخيرا • وقد لوحظ فى هذه المناقشات استمرار السوفييت على مألوف عادتهم من الاصرار على وجوب أهمية هذا الاشتراط أمرا غير واضح • الا أن الاتحاد السوفييتى قد وافق من حيث المبدأ على الاقتراح الخاص بالتفتيش الجوى فكان ذلك أهم ما أسفرت عنه هذه المناقشات وان كان المتحدث السوفييتى قد استمر فى وصف هذا الموضوع بأنه ليس الا موضوعا جانبيا • وقد طالت المناقشات بخصوص المناطق التى يشملها هذا التنظيم • فبينما اقترحت الولايات المتحدة أن يشمل ـ فيما يختص بأوروبا ـ شبه جزيرة اسكنديناوه وشقة ضيقة من الاتحاد السوفييتى ولا يتعدى شاطىء الادرياتيك جنوبا مستبعدة جنوبى فرنسا ، فان الاقتراح السوفيتى يستبعد كل المناطق التى ذكرناها الا شقة ضيقة من

اسكنديناوه وقطاعا صغيرا من الاراضى السوفييتية ، ولكنه يمتد الى انجلترا حتى يبلغ جرينتش ثم يشمل أغلب فرنسا وايطاليا والبلقان الى حدود البانيا الجنوبية . أما فيما يختص بمنطقة المحيط الباسفيكى، فبينما الاقتراح الذى قدمته الولايات المتحدة يشتمل على آلاسكا ومنطقة مماثلة لها من سيبريا ، اذا كان الاقتراح السوفيتى يشتمل على كل الولايات المتحدة غربى البحيرات الكبرى ويعرض نظير ذلك منطقة مماثلة من أراضيها الشرقية . وقد وافقت الولايات المتحدة أخيرا من حيث المبدأ على الاقتراح السوفييتى الخاص بـ « نقط المراقبة » ولكن يبدو أن الغرب ما زال مصرا على اقامة نظام كامل للمراقبة العالمية يمتد الى مدى أبعد مما يعتزم الاتحاد السوفييتى قبوله .

وقد حرر الغرب فى أغسطس عام ١٩٥٧ ورقة تنفيذية تجلى فيها صدق المحاولة لتقرير اقتراحات معقولة تتفادى ما تقدمت به الروسيا من اعتراضات . فلقد قبل على وجه الخصوص الاقتراح السوفييتى الخاص بانشاء « نقط مراقبة » كما قبل وضع منظمة المراقبة العالمية تحت رعاية مجلس الامن بهيئة الامم المتحدة ،مع تخويل حق الفيتو لكل عضو من أعضاء لجنتها التنفيذية . وقد اقترح الغرب أن يعهد بهذه الورقة التنفيذية الى لجنة كبرى تمثل فيها ٢٦ أمة . ولقد رفضت روسيا هذه اللجنة على أية حال ونفضت منها يدها باعتبارها « لا فائدة منها » ثم انسحبت منها . وبذلك تعطلت اللجنة عن عملها .

وبالرغم من ذلك ، فان « الاجراءات الانتقامية على نطاق واسع » هى فى الواقع عمل انتحارى وان كان المقصود بها اتخاذها وسيلة للدفاع . ولذلك فانه يجدر بدول الغرب سواء رضيت الروسيا الاستمرار فى المفاوضات أم رفضت ، أن تعمل هذه الدول على الغاء الاسلحة الذرية من جانبها .


Bibliotheca Alexandrina
0683340